



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرف
عليه السلام

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْعَمَّرَ اللَّهُ لَكَ أَجْرًا كَمَنْعَمَّرَ اللَّهُ لَكَ أَجْرًا



اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	الصحيح من سيره النبي الاعظم صل الله عليه واله المجلد ٣
١٤	اشاره
١٥	اشاره
٢٠	[اتمه الباب الأول]
٢٠	الفصل الثالث: الاسراء و المعراج
٢٠	اشاره
٢٢	متى كان الاسراء و المعراج:
٢٣	الأدله على المختار:
٢٨	تسميه أبى بكر بالصديق
٢٩	الإسراء و المعراج فى اليقظه أو فى المنام:
٣٢	الاسراء و المعراج فى القرآن:
٣٣	سؤال هام و جوابه:
٣٤	الداعيه الحكيم:
٣٥	لا تدركه الابصار:
٣٩	الاسراء من المسجد:
٤٠	موسى، و فرض الصلوات الخمس:
٤٤	استبعاد الاسراء و المعراج:
٤٥	من اهداف الإسراء و المعراج:
٤٨	الأذنان:
٤٩	اليهود و المسجد فى القرآن:
٤٩	مفاد الآيات إجمالاً:
٥٠	ضرب القاعده، و إعطاء الضابطه:
٥٤	أقوال الرواه و المفسرين:

- ٥٥ رأى العلامة الطباطبائي:
- ٥٧ رأى آخر في الآيات:
- ٥٨ رأى آخر:
- ٦٠ وثمه رأى آخر أيضا:
- ٦١ و الروايات ماذا تقول:
- ٦١ الرأي الأمثل:
- ٦٢ القميين يقاتلون الاسرائيليين:
- ٦٣ الغرب و اسرائيل:
- ٦٤ الحروب الطويله و الصعبه:
- ٦٥ الفلسطينيين و الأرض:
- ٦٨ الباب الثاني: حتى وفاه أبي طالب
- ٦٨ اشاره
- ٧٠ الفصل الأول: حتى الهجره الى الحبشه
- ٧٠ اشاره
- ٧١ أهداف الإسلام:
- ٧٢ الحاجه إلى الوزير و الوصى:
- ٧٤ و أنذر عشيرتك الأقربين:
- ٧٦ التعصب الأعمى:
- ٧٧ ابن تيميه، و حديث الدار:
- ٧٨ الرد على ابن تميميه:
- ٨٣ نقاط هامه في حديث الإنذار
- ٨٣ الف- روايات لا يمكن أن تصح:
- ٨٥ ب- ما المراد بكونه خليفته في أهله:
- ٨٦ ج- لماذا تخصيص العشيره بالدعوه!؟:
- ٨٨ د- على «عليه السلام» في يوم الإنذار:
- ٨٩ ه- موقف أبي لهب:

- و- الإنذار أولاً: ٩٠
- ز- ماذا قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في يوم الإنذار: ٩١
- ح- التبشير و الإنذار: ٩٢
- ط- أخى و وصيى: ٩٤
- فاصدع بما تؤمر: ٩٤
- اشاره ٩٤
- الف: قريش لم تصل إلى نتيجته: ٩٨
- ب: سر استكبار قريش: ٩٩
- ماذا بعد فشل المفاوضات؟ ١٠١
- المعذبون فى مكه: ١٠٣
- مع المعذبين أيضا: ١٠٣
- المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر: ١٠٤
- هل عذب المشركون أبا بكر؟! ١١٠
- ملاحظه: هل كان أبو بكر رئيسا؟! ١١٢
- ملاحظه أخيره: ١١٣
- أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر: ١١٤
- عمار بن ياسر: ١١٥
- التقيه فى الكتاب و السنه: ١١٦
- ملاحظه: ١١٧
- و أما من السنه، فنذكر: ١١٧
- و أما التقيه فى التاريخ: ١١٩
- التقيه ضروره فطريه عقليه دينيه اصلاحيه: ١٢٥
- الفصل الثانى: هجره الحبشه ١٣٢
- اشاره ١٣٢
- لا بد من حل: ١٣٣
- سر إختيار الحبشه: ١٣٤

- ١٣٦الهجرة الى الحبشه:
- ١٣٨أمير الهجرة جعفر:
- ١٣٨من هو أول مهاجر إلى الحبشه؟:
- ١٣٩هجرة أبي موسى إلى الحبشه لا تصح:
- ١٤٠رقه عمر للمهاجرين
- ١٤٠هجرة ابي بكر لا تصح:
- ١٤٤فضيله عثمان بن مظعون تجعل لغيره:
- ١٤٥محاولة قريش اليائسه:
- ١٤٨قريش، و خططها المستقبلية:
- ١٥٠الثوره على النجاشي:
- ١٥١عوده بعض المهاجرين:
- ١٥١قصة الغرانيق
- ١٦٠تساؤلات حائره:
- ١٦١حقيقه الأمر:
- ١٦٤الفصل الثالث: حتى الشعب
- ١٦٤اشاره
- ١٦٥تناقضات في تاريخ اسلام حمزه عليه السلام:
- ١٦٥اسلام حمزه (رض)
- ١٦٧إسلام حمزه كان عن وعى لا حميه:
- ١٦٨سز جين أبي جهل في مواجهه حمزه:
- ١٦٩ملاحظه هامه:
- ١٦٩عبس و تولى:
- ١٧٥المذنب رجل آخر:
- ١٧٦سؤال و جوابه:
- ١٧٦الروايه الصحيحه:
- ١٧٧إتهام عثمان:

- ١٧٨ تاريخ هذه القضية:
- ١٧٨ أعداء الإسلام و هذه القضية:
- ١٧٩ أكاذيب أخرى مشابهه:
- ١٨١ قضية إسلام عمر بن الخطاب:
- ١٨٤ وثمه أو سمه أخرى:
- ١٨٤ اشاره
- ١٨٥ ١- متى كان إسلام عمر:
- ١٨٥ و نحن نشير هنا إلى:
- ١٨٦ متى أسلم عمر إذن:
- ١٩١ ٢- من سمي عمر بالفاروق!؟
- ١٩١ ٣- هل كان عمر قارئاً!؟
- ١٩٤ ملاحظه:
- ١٩٤ و ملاحظه أخرى:
- ١٩٥ ٤- هل عز الأسلام بعمر حقاً!؟
- ٢٠١ ٥- غسل عمر لمس الصحيفة:
- ٢٠٢ ٦- نزول آيه في إسلام عمر:
- ٢٠٣ ملاحظات أخيره:
- ٢٠٤ : خاتمه المطاف:
- ٢٠٨ الفصل الرابع: في شعب أبي طالب
- ٢٠٨ اشاره
- ٢٠٩ المقاطعه:
- ٢١٢ أموال خديجه (رض)، و سيف على «عليه السلام»:
- ٢١٤ حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين:
- ٢١٦ انشقاق القمر:
- ٢١٧ شبهه، و حلها:
- ٢٢٠ انشقاق القمر، الحدث الكبير

- ٢٢١امكان الانشقاق و الالتيام علميا:
- ٢٢٣دلاله الآيه القرآنيه على ذلك:
- ٢٢٥الاساطير:
- ٢٢٥نقض الصحيحه:
- ٢٢٧حنكه أبى طالب، و ايمانه:
- ٢٢٨التبليه و آثارها:
- ٢٢٩ما بعد نقض الصحيحه:
- ٢٢٩وفد من الحبشه:
- ٢٣٠من مواقف أبى طالب:
- ٢٣٢مع تضحيات أبى طالب رضوان الله عليه:
- ٢٣٥عام الحزن:
- ٢٣٦الحب فى الله و البغض فى الله:
- ٢٤٠الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش
- ٢٤٠اشاره
- ٢٤١إيمان أبى طالب «ره»:
- ٢٤٣بعض الادله على ايمان أبى طالب:
- ٢٥٤الأدله الواهيه.
- ٢٥٤اشاره
- ٢٥٤١- حديث ابن الضحاح:
- ٢٥٦٢- إرث عقيل لابی طالب:
- ٢٥٧٣- و هم ينهون عنه، و يتأون عنه:
- ٢٦٠٤- آيه النهى عن الاستغفار للمشرك:
- ٢٦٦الوجه الأخره:
- ٢٦٩خطايبات و أرجاز المدينى:
- ٢٦٩سزيه إيمان أبى طالب:
- ٢٧١ضروره سريه إيمان شيخ الاطح:

- ٢٧١ لماذا الإفتاء على أبي طالب:
- ٢٧٢ أبو لهب و نصره النبي صلى الله عليه و آله وسلم :
- ٢٧٣ سر افتعال الروايه:
- ٢٧٤ الباب الرابع: من وفاه أبي طالب حتى الهجره الى الحبشه
- ٢٧٤ اشاره
- ٢٧٨ الفصل الأول: الهجره الى الطائف
- ٢٧٨ اشاره
- ٢٧٩ لا بد من تحرك جديد:
- ٢٨٠ الهجره الى الطائف فى كلمات المؤرخين:
- ٢٨١ هجرات أخرى له «صلى الله عليه و آله و سلم»:
- ٢٨١ اشاره
- ٢٨٢ ١- ما ذكر عن عداس:
- ٢٨٣ ٢- دخوله «صلى الله عليه و آله و سلم» مكة بجوار:
- ٢٨٤ ٣- إسلام نفر من الجن:
- ٢٨٥ ٤- الطائف و علاقاتها بمن حولها:
- ٢٨٧ ٥- الإسلام دين الفطره:
- ٢٨٧ ٦- هل كانت هذه سفره فاشله؟!
- ٢٩٠ الفصل الثانى: حتى بيعه العقبه
- ٢٩٠ اشاره
- ٢٩١ المجاعه:
- ٢٩٢ عرض الإسلام على القبائل:
- ٢٩٤ بنو عامر بن صعصعه، و نصره النبي «صلى الله عليه و آله و سلم»:
- ٢٩٤ اشاره
- ٢٩٥ ١- الأمر لله:
- ٢٩٦ ٢- سمو الهدف، و النظره الضيقه:
- ٢٩٧ ٣- الدين، و السياسه:

- ٢٩٨ ٤- نتائج عرضه «صلى الله عليه و آله و سلم» دعوته على القبائل:
- ٢٩٨ زواج النبي «صلى الله عليه و آله و سلم» بسوده و عائشه:
- ٢٩٨ اشاره
- ٢٩٩ ١- سن عائشه:
- ٣٠١ من طرائف الروايات الموضوعه:
- ٣٠٣ ٢- جمال عائشه و حظوتها:
- ٣٠٥ ٣- حسد و غيره عائشه:
- ٣١٣ و ماذا بعد:
- ٣١٤ دخول الاسلام إلى المدينه:
- ٣١٤ اشاره
- ٣١٤ ١- اخبارات أهل الكتاب:
- ٣١٧ ٢- المشاكل بين الأوس و الخزرج:
- ٣١٧ ٣- تعاليم الشريعة السمحاء:
- ٣١٩ ٤- المدنيون و المكيون:
- ٣٢٢ الفصل الثالث: بيعه العقبه
- ٣٢٢ اشاره
- ٣٢٣ بيعه العقبه الأولى:
- ٣٢٥ دعوه سعد بن معاذ قومه:
- ٣٢٤ البيعه:
- ٣٢٧ صلاه الجمعة:
- ٣٢٨ بيعه العقبه الثانيه:
- ٣٣٣ و لنا قبل المضى فى الحديث هاهنا وقفات. فنشير اولاً الى: دور العباس فى بيعه العقبه:
- ٣٣٤ أبو بكر فى العقبه:
- ٣٣٤ حمزه و على «عليه السلام» فى العقبه:
- ٣٣٧ سزيه الإجتماع، و التقية:
- ٣٣٨ شروط البيعه:

- ٣٣٨ لماذا النقباء:
- ٣٣٩ المشركون في مواجهه الأمر:
- ٣٤٠ منازعه الأمر أهله:
- ٣٤٢ النبي لم يؤمر بالحرب بعد:
- ٣٤٤ الباب الخامس: من مكة الى المدينة
- ٣٤٤ اشاره
- ٣٤٤ الفصل الأول: ابتداء الهجره الى المدينة
- ٣٤٤ اشاره
- ٣٤٧ حب الوطن من الإيمان:
- ٣٤٩ دوافع الهجره من مكة إلى المدينة:
- ٣٥٣ سر اختيار المدينة:
- ٣٥٩ المؤاخاه بين المهاجرين:
- ٣٦٠ ابتداء هجره المسلمين إلى المدينة:
- ٣٦٠ المثل الاعلى:
- ٣٦١ هجره عمر بن الخطاب:
- ٣٦٤ ما هي الحقيقه إذن!؟
- ٣٦٥ ماذا عن الهجره إلى المدينة؟
- ٣٦٥ قريش و الهجره:
- ٣٦٨ الفهارس
- ٣٦٨ اشاره
- ٣٧٠ ١- الدليل الاجمالي للكتاب
- ٣٧١ ٢- الدليل التفصيلي للكتاب
- ٣٨٧ تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/ ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

ص: ٦

[تمه الباب الأول]

الفصل الثالث: الأسراء و المعراج

إشاره

الإسراء و المعراج:

بعد بعثه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و في اثناء المرحله السريه، التي استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان - على الأرجح - الإسراء و المعراج: الإسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم.

و المعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيره.

و حيث إن التفاصيل الدقيقه لهاتين القضيتين يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل و العميق. و ذلك لأن هذه القضيه، و جزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب و التزويد فيها، من قبل الرواه و القصاصين، ثم من قبل أعداء الاسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، و اظهاره على أنه يحوى الغرائب و العجائب، و الاساطير و الخرافات، لأسباب شخصيه، و سياسيه و غيرها. و لم يسلم من مكائد هؤلاء حتى رموز الإسلام، و حفظته و أئمه المسلمين أيضا.

و قد حذر الإمام الرضا (عليه السلام) من هؤلاء - حسبما روى عنه - حيث قال لابن أبي محمود: (إن مخالفتنا وضعوا أخبارا في فضائلنا و جعلوها على أقسام ثلاثه: أحدها: الغلو. و ثانيها: التقصير في أمرنا.

و ثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا.

فاذا سمع الناس الغلو فينا كَفَرُوا شيعتنا، و نسبوهم الى القول بربوبيتنا. و إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. و اذا سمعوا مثالب اعدائنا باسمائهم ثلبونا باسمائنا و قد قال الله عز و جل: و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (١).

و بعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقه لقضيه الاسراء و المعراج يحتاج الى توفر تام، و تأليف مستقل؛ و لذا فنحن لا نستطيع فى هذه الفرصه المتوفره لنا أن نعطي تصورا دقيقا عنه.

و على هذا فسوف نكتفى بالإشاره الى بعض الجوانب التى رأينا:

أن من المناسب التعرض لها؛ فنقول:

متى كان الاسراء و المعراج:

إن المشهور هو أن الاسراء و المعراج قد كان قبل الهجره بمدته وجزئه؛ فبعضهم قال: سته أشهر، و بعضهم قال: فى السنه الثانيه عشره للبعثه، أو فى الحاديه عشره او فى العاشره. و قيل: بعد الهجره (٢).

و فى مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان فى السنه الثانيه من البعثه (٣)، و قيل فى الخامسه، و قيل فى الثالثه- و هو الأرجح عندنا- و لعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الإسراء فى أول البعثه كما ذكره عنه ابن كثير (٤)

١- راجع: البحار ج ٢٦ ص ٢٣٩ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٣٠٤.

٢- راجع: السيره الحلبيه، و تاريخ الخميس، و غير ذلك.

٣- البحار ج ١٨ ص ٣١٩ عن العدد، و نقل ذلك عن الزهرى فى عده مصادر.

٤- البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٠٨.

و قال مغلطاي، بعد أن ذكر بعض الأقوال: (و قيل: كان بعد النبوه بخمسه أعوام، و قيل: بعام و نصف عام. و قال عياض: بعد مبعثه بخمسه عشر شهرا (١)).

و قال ملاء على القارى: (و ذكر النووى: أن معظم السلف، و جمهور المحدثين و الفقهاء على أن الاسراء و المعراج كان بعد البعثه بسته عشر شهرا (٢)).

و قال ابن شهر آشوب: (ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه فى السنه التاسعه من نبوته (٣)). و لكنه لم يبين لنا تاريخه باليوم و الشهر.

و قال الديرى بكرى: (فأما سنه الاسراء، فقال الزهرى: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه القاضى عياض، و رجحه القرطبى، و النووى. و قيل: قبل الهجره بسنه إلخ (٤)).

الأدله على المختار:

و أما ما يدل على أن الاسراء قد كان فى السنوات الاولى من المبعث؛ فعدا عن الأقوال المتقدمه، و لا سيما ما ذكره الزهرى و النووى، نشير إلى الامور التاليه:

١- ما روى عن ابن عباس أن ذلك كان بعد البعثه بستين (٥) و ابن

١- سيره مغلطاي ص ٢٧.

٢- شرح الشفاء للقارى ج ١ ص ٢٢٢.

٣- المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٣.

٤- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٧.

٥- البحار ج ١٨ ص ٣١٩ و ٣٨١ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٦. حيث ذكر ذلك بعد المبعث، و قبل الانذار.

عباس كان أقرب الى زمن الرسول، و اعرف بسيرته من هؤلاء المؤرخين، فاذا ثبت النص عنه قدّم على اقوال هؤلاء.

و لربما لا يكون هذا مخالفا لما تقدم عن الزهرى و غيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) إنما امر بانذار الناس بعدها.

٢- قد ورد عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): أن الاسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه (١).

و هذا هو الاصح و المعتمد.

٣- و يدل على ذلك بشكل قاطع ما روى عن: ابن عباس، و سعد بن مالك، و سعد بن أبى وقاص، و الإمام الصادق (عليه السلام)، و عمر بن الخطاب، و عائشه، من أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال لعائشه- حينما عاتبته على كثرة تقيله ابنته سيده النساء، فاطمه (عليها السلام):-

نعم يا عائشه، لما اسرى بى الى السماء أدخلنى جبرئيل الجنة، فناولنى منها تفاحه، فأكلتها، فصارت نطفه فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجه، ففاطمه من تلك النطفه؛ ففاطمه حوراء انسيه، و كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها (٢).

١- البحار ج ١٨ ص ٣٧٩ عن الخرائج و الجرائح. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ١٠ الأدله على المختار: ص : ٩

٢- تاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٧ و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٢٩، و مقتل الحسين للخوارزمى ص ٦٣/٦٤ و ذخائر العقبى ص ٣٦، و ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ و ١٦٠، و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٥، و تلخيصه للذهبي، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٢، و ينابيع الموده ص ٩٧، و نزهه المجالس ج ٢ ص ١٧٩، و مناقب المغازلى ص ٣٥٨ و البحار ج ١٨ ص ٣١٥ و ٣٥٠، ٣٦٤، و نور الأبصار ص ٤٤ و ٤٥ و علل الشرائع ص ٧٢، و تفسير القمى و نظم درر السمطين ص ١٧٦ و محاضره-

و معلوم مما سبق: أن فاطمه قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات؛ فالاسراء و المعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعه أشهر، و لعله قبل ذلك بستين. حتى أذن الله لتلك النطفه بالظهور، و الاستقرار فى موضعها.

٤- إن سوره الاسراء قد نزلت فى أوائل البعثة، و يدل ذلك:

ألف- ما رواه البخارى و غيره، من ان قوله تعالى فى سوره الاسراء: (و لا- تجهر بصلاتك، و لا تخافت بها) قد نزل بمكه، و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مختف. كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فاذا سمع المشركون سبوا القرآن، و من انزله، و من جاء به الخ (١).

و معلوم: أن اختفاء النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى دار الأرقم إنما كان فى أوائل البعثة.

و اجاب المحقق الروحانى على ذلك، بان من الممكن ان يكون (صلى الله عليه و آله و سلم) حينئذ مختفيا فى شعب ابى طالب.

و لكن، لنا ان نناقشه بان شعب ابى طالب لم يكن محل اختفاء لهم، و انما كانوا محاصرين فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك قد كان فى اوائل البعثة.

١- صحيح البخارى طبع سنه ١٣٠٩ ج ٣ ص ٩٩، و الدر المنثور ج ٤ ص ٢٠٦ عنه و عن: مسلم و أحمد و الترمذى، و النسائى، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و الطبرانى و البيهقى.

و وجود هجوم فى سورة الاسراء على عقائد المشركين، لا يضر؛ اذا كانت السوره قد نزلت فى اوائل البعته.

ب- ما ذكره البعض فى مقال له (١) من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور (٢) و سورة الحجر قد نزلت فى المرحله السريه.

و فيها جاء قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ). الامر الذى تسبب عنه الجهر بالدعوه و اظهارها.

و ايراد المحقق الروحانى هنا بان فى السوره ما يدل على وجود الصدام بين النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و المشركين. و هذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء فى دار الأرقم، و بعد الاعلان بالدعوه.

يجاب عنه بما تقدم، من أن من غير البعيد ان تكون هذه السوره قد نزلت تدريجا؛ فبدأ نزولها فى اول البعته. ثم اكملت فى فتره التحدى و المجابهه بين النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و المشركين.

و يدل على قدم نزولها أيضا قول ابن مسعود عن سور الاسراء، و الكهف، و مريم: انهن من العتاق الاول، و هن من تلادى (٣).

و ابن مسعود ممن هاجر الى الحبشه، و رجع منها، و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يتجهز الى بدر (٤).

إلا- أن يقال: إن ابن مسعود إنما هاجر الى الحبشه بعد الطائف، أى فى الهجره الثانيه، لا فى الاولى؛ فلاحظ؛ فان ذلك لا يلائم قوله: انهن

١- راجع: مجله الوعى الإسلامى المغربيه عدد ١٦٣ ص ٥٦.

٢- راجع: الاتقان ج ١ ص ١١، و تاريخ القرآن للزنجانى ص ٣٧.

٣- صحيح البخارى ج ٣ ط سنه ١٣٠٩ ص ٩٦ و الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٦ عنه و عن ابن الضريس و ابن مردويه.

٤- فتح البارى ج ٧ ص ١٤٥.

من العتاق الأول.

٥- ان سورة النجم التى يذكرون انها تذكر المعراج فى آياتها- قد نزلت هى الأخرى فى اوائل البعثة؛ فانها نزلت بعد اثنتين او ثلاث و عشرين سورة، و نزل بعدها اربعة و ستون سورة فى مكة (١)، و سيأتى فى قصه الغرانيق المكذوبه او المحرفه: أنهم يقولون: إنها انما نزلت بعد الهجره الى الحبشه بثلاثة اشهر. و الهجره الى الحبشه إنما كانت فى السنه الخامسه.

بل لقد قيل: إن سورة النجم هى اول سورة اعلن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعا (٢).

و إن كان من الممكن النقاش فى كون آيات سورة النجم ناظره الى المعراج، كما سيأتى ان شاء الله تعالى.

٦- و يؤيد كون هذه القضية قد حصلت فى اوائل البعثة: انه حين عرج به (صلى الله عليه و آله و سلم) صار الملائكه يسألون: أو قد أرسل إليه؟ (٣) فان هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان فى أول بعثته (صلى الله عليه و آله و سلم) لا بعد عشره أو اثنتى عشره سنه، فان أمره (صلى الله عليه و آله و سلم) كان قد اشتهر فى أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الايام الاولى من البعثة.

٧- ما يدل على أن الاسراء قد كان قبل وفاه ابى طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب (ره) قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، و معه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، و امر

١- راجع الاتقان ج ١ ص ١٠-١١ و ٢٥.

٢- تفسير الميزان مجلد ١٩ ص ٢٦.

٣- مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٠ / ٦٩ عن البزار و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٦، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٠.

الهاشميين باظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش، وقال: لو لم أره ما بقى منكم عين تطرف. فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيما (١).

٨- ما روى من أن جبرئيل قال للنبي حين رجوعه: حاجتى أن تقرأ على خديجه من الله و منى السلام (٢).

٩- و عن عمر: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: ثم رجعت إلى خديجه، و ما تحولت عن جانبها (٣).

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاه شيخ الأبطح، و أم المؤمنين خديجه (رحمها الله) و هما قد توفيا فى السنه العاشره من بعثه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، فكيف يكون الاسراء و المعراج قد حصل فى الحاديه عشره أو الثانيه عشره أو بعدها؟!.

تسميه أبى بكر بالصديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء و المعراج كان فى السنه الثالثه من البعثه. أى قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلاً؛ فاننا نعرف: أن الاسراء كان قبل اسلام أبى بكر بمده طويله؛ لأنه كما تقدم قد اسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً، بل إنما اسلم حوالى السنه الخامسه من البعثه، بل فى السابعه أى بعد وقوع المواجهه بين قريش و بين النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو بعد الهجره إلى الحبشه فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهه أو الهجره- على الظاهر.

١- مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٠، و البحار ج ١٨ ص ٣٨٤.

٢- البحار ج ١٨ ص ٣٨٥ عن العياشى، عن زراره، و حمران بن أعين، و محمد بن مسلم، عن الباقر (ع).

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥.

و إذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمدته طويله، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سمى صديقا، حينما صدق رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قضيه الاسراء (١)، و لا لما يذكره، من أن ملكا كان يكلم رسول الله حين المعراج بصوت أبى بكر (٢) و قد صرح الحفاظ بكذب طائفه من تلك الروايات (٣).

و الصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت على (عليه السلام) (٤). و بذلك يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل و مواقف تنسب إليه فى السنوات الثلاث الأولى من البعته.

و بعد ما تقدم نقول: جاء فى الشفاء عن أبى حمراء قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): لما اسرى بى الى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلى (عليه السلام) (٥).

الإسراء و المعراج فى اليقظه أو فى المنام:

يرى البعض: أن الاسراء قد كان بالروح فقط، فى عالم الرؤيا،

-
- ١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥، و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٤٠ مستدرك الحاكم، و ابن إسحاق.
 - ٢- المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٣٠ / ٢٩. و راجع الدر المنثور ج ٤ ص ١٥٥ و راجع ص ١٥٤.
 - ٣- راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٠٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ فإنه قد نقل هذه الروايات و تكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٠، و لسان الميزان ج ٥ ص ٢٣٥، و تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٣٨، و السيوطى فى الموضوعات، و ابن حبان، و ابن عدى.
 - ٤- المناقب للخوارزمى ص ٣٧ و ينابيع الموده ص ٨٣.
 - ٥- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣.

و يحتجون بما عن عائشه: ما فقدت جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

و عن معاويه: انها رؤيا صالحه (٢). و حكى مثل ذلك عن الحسن البصرى.

و لكن الصحيح هو ما ذهب إليه الاماميه و معظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح و الجسد معا. أما المعراج فذهب الاكثر إلى أنه كان بالروح و الجسد و هو الصحيح أيضا. و نحن نشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: بالنسبه لعائشه، قال القسطلانى: (و أجيب: بأن عائشه لم تحدث به عن مشاهدته؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا، و لا فى سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد، على الخلاف فى الاسراء متى كان) (٣).

و أما معاويه فحاله معلوم مما ذكرناه فى الجزء الأول: المدخل لدراسه السيره.

و ثانيا: قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (٤) و قال فى سوره النجم - اذا كانت الآيات ناظره إلى المعراج، و يرجع الضمير فيها إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لا إلى جبرئيل -: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (٥).

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨، و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٢، و البحار ج ١٨ ص ٢٩١ و فى المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧: أن الجهميه قالت بهذا.

٢- البحار ج ١٨ ص ٢٩١ عن: المقاصد و شرحه، و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

٣- المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٢.

٤- الإسراء: ١.

٥- النجم: ٩- ١٠.

فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح و الجسد معا، و لو كان مناما، لكان قال: بروح عبده، و إلى روح عبده.

كما أن قوله تعالى: (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغَى) ظاهر فى البصر الحقيقى أيضا (١).

أضف إلى ذلك: أن آيه سورة الاسراء، و آيات سورة النجم واردة فى مقام الامتنان. و فيها ثناء على الله، و عجب قدرته، و ذلك لا يحسن، و لا يتم لمجرد رؤيا رآها النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ إذ ربما يرى غير النبى، و حتى الفاسق الفاجر رؤيا اعظم من ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامه الناس لا تدل على عظيم قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الاوهام و الخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الاسراء و المعراج، كما هو ظاهر (٢).

و ثالثا: انه لو كان الاسراء مجرد رؤيا صالحه؛ فلا يبقى فيه اعجاز؛ و لما أنكره المشركون و المعاندون، و لما ارتدّ ناس ممن كان قد اسلم، كما سنشير اليه.

و رابعا: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج ابو طالب و الهاشميون فى طلبه (صلى الله عليه و آله و سلم). و كان العباس يناديه حتى اجابه من بعض النواحي، حسبما ورد فى بعض الروايات.

و اما لماذا ينكرون: ان يكون ذلك بالروح و الجسد معا؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك، او لأجل الحط من كرامه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) كما تقدم فى المدخل لدراسه السيره، او لعدم قدرتهم

١- راجع هذا الاستدلال فى: البحار ج ١٨ ص ٢٨٦ عن الرازى، و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٤، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

٢- راجع: تفسير الميزان ج ١٣ ص ٢٤.

على اقناع الناس بامر مبهم كهذا.

الاسراء والمعراج في القرآن:

اننا نؤمن بالاسراء استنادا إلى قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا (١)) ... فمحط النظر في الآيه هو بيان الاسراء فقط.

اما المعراج، فانه لم يذكر في القرآن صراحة، إلا ما جاء في تفسير آيات سورة النجم و هي قوله تعالى: (ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.) (٢)، ان قلنا ان الضمير فيها يرجع إلى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، لا إلى ذى المره، الذى هو جبرئيل.

مع أن الثانى هو الظاهر، و يدل عليه روايه صحيحه السند، عاليه الاسناد، عن الامام الرضا (عليه السلام). و الروايه تستشهد و تستدل بنص الآيات فى السوره. (٣).

و يدل على ذلك ايضا و يفسره قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٤)) فراجع.

و لكن كثره الاخبار الوارده فى المعراج، و حتى تواترها القطعى لا يبقى مجالاً للشك فى حصول المعراج؛ فنحن نؤمن به أيضا استنادا إلى ذلك.

١-الإسراء: ١.

٢- النجم: ٦- ١٢.

٣- راجع البرهان للبحراني ج ٤ ص ٢٤٨ و ستأتى الروايه تحت عنوان: لا تدركه الأبصار.

٤- التكوير: ٢٣.

و أما القول بوجود تعارض بين آيه سورة الاسراء، و بين الروايات الداله على المعراج، على اعتبار: ان الآيه تدل على ان انتهاء السير كان فى المسجد الاقصى، و لم يكن بعده سير.

فلا يصح؛ لأن هناك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفيه و القصد.

و قد كان انتهاء الرحله الاولى فى المسجد الاقصى، و لم يتعلق غرض فى الآيه ببيان الرحله الثانيه أصلا.

سؤال هام و جوابه:

و اما لماذا لم يذكر المعراج فى القرآن صراحه، كما كان الحال بالنسبه إلى الاسراء.

فلربما يكون السر فى ذلك هو ان الاسراء امر قريب إلى الحس، فالتصديق به يكون ايسر و أقرب.

و إذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل و استهزؤا و شنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم و حنقهم. رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقفاله التى رآها فى طريقه، و بأنها قد اضلت بعيرا، و كسرت فيها ناقه حمراء فى الوقت الفلانى، و بان لهم صدقه فى ذلك. و رغم أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) وصف لهم بيت المقدس و صفا دقيقا، يعلمون صحته و صدقه، مع علمهم بعدم رؤيته (صلى الله عليه و آله و سلم) له فيما مضى.

و أيضا، إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا، حين أخبرهم النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بقضيه الاسراء (١)، الذى هو من جمله

١- المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨، و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١، و أخرجه أبو نعيم، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٣ حياه الصحابه ج ٣ ص ٧٣ عن بعض من تقدم. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨ و ٣١٥، و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٤٠.

المعجزات القاطعه، و البراهين الساطعه.

نعم، إذا كان ذلك كله، فكيف تكون الحال إذا أخبرهم بما هو أكثر غرابه و بعدا عن أذهانهم، و هو رحلته إلى السماوات العلى، و ما شاهد فيها من عجائب الصنع، و بديع الخلق؟!.

و لهذا، فاننا نرجح: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد تدرّج في اخباره لهم بالاسراء و المعراج، فأخبرهم أولا بالاسراء، أما المعراج؛ فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل، و التعقل. ثم صار يتوسع في اخباره لغيرهم بذلك في الأوقات المناسبه، و بحسب ما تقتضيه المصلحه، و متطلبات الدعوه إلى الله تعالى.

الداعيه الحكيم:

و لعل مما تقدم يظهر: أنه اذا كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و من الضلاله إلى الهدى، فان من الطبيعي أن يهتم في الحفاظ على الركيزه الايمانيه التي يحصل عليها، و أن لا يدخلها في أجواء ليس لها قدره على استيعابها و لا على مواجهه اخطار الانحراف فيها.

و من الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضيه المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل و التفاعل معها و لا على تصورها، فانهم إذا ارتدوا حينئذ فسيكونون معذورين، و لا سيما إذا كان التصديق بهذه القضيه إنما يستند إلى المستوى الايماني لديهم بالدرجه الاولى.

و أما قضيه الاسراء، فقد كان بالإمكان أن يؤدي الاخبار عنها نفس النتيجة المتوخاه، و هي الجهه الاعجازيه ذات الطابع المعين مع امكان الاستناد في مقام الاقناع بها إلى أدله تقربها إلى الحس، و تجعل القبول بها أيسر و أسهل من تلك، و لا يعتمد فيها على المستوى الايماني

و حسب. و إذن؛ فلا يبقى ثمه مبرر لارتداد هؤلاء، و لا لعناد أولئك.

لا تدركه الابصار:

و يرى البعض، استنادا إلى قوله تعالى: (أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يُرَى، وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى إِلَخ (١)): أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، و رووا ذلك عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد (٢).

و نحن لا- نريد أن نفيض فى الحديث حول الرؤية له تعالى، فلقد أثبت علماؤنا الابرار، بما لا مجال معه للشك استحاله رؤيته تعالى، سواء فى الدنيا، أو فى الآخرة. و قد فندوا أدله المجسمه المثبتين للرؤية فى الدنيا و الآخرة، أو فى الآخرة فقط بشكل علمى و قاطع .. فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعته دلائل الصدق، و غيره من الكتب المعده لذلك (٣).

و نكتفى هنا بالاشارة إلى أن الروايه عن ابن عباس غير ثابتة، فقد روى عنه أيضا خلافها (٤).

و روى عن عائشه: أن مسروقا قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ربه؟ قالت: لقد قف شعرى مما

١- النجم: ١٢-١٤.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٤.

٣- مثل: دلائل الصدق، و غيره من الكتب الباحثه فى الشأن العقائدى.

٤- راجع فى الروايات الكثيره عنه: الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢-١٢٦.

قلت ... إلى أن قالت: من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ (١).

و عند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، وإنما رأى جبرئيل (٢).

و الروايات فى أن المقصود بالآيات فى سورة النجم هو جبرئيل كثيره جدا و كذلك الروايات التى تؤكد: على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد رآه بقلبه و فؤاده، لا بعينه و بصره، فانها كثيره أيضا. (٣)

بل إن نفس الآيات ظاهره- إن لم تكن صريحه- فى أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار:

ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل (عليه السلام)، ثم وصف جبرئيل، الذى وصفه الله بالقوه فى قوله: (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٤)) بكونه ذا مره، (أى شده و حصافه فى العقل و الرأى) (٥)، و قوله (فاستوى) أى ان ذلك الشديد، ذا المره. استقام أو استولى، و هو بالافق الاعلى. و قوله: ثم دنا، أى ذلك الشديد ذو المره دنا

١- المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٣٤ عن البخارى و مسلم، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣، و الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٤ عن عبد بن حميد، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم و ابن مردويه.

٢- المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٣٥ عن مسلم.

٣- يكفى أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢-١٢٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣/٣١٤ و المواهب اللدنيه ج ٢ ص ٣٦/٣٧ و غير ذلك من المصادر الكثيره جدا.

٤- التكوير: ٢٠.

٥- احتمال بعض المحققين: أن يكون وصف الله تعالى لجبرئيل بالشده فى مقابل التابع من الجن الذى كان ضعيفا بحيث يستطيع الإنسان أن يتسلط عليه.

من النبي و تدلى فى الافق نحو النبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

ثم، إن ذلك الشديد القوى ذا المره الذى دنا فتدلى، أوحى إلى النبي الذى هو عبد الله ما أوحى.

و رجوع الضمير إلى الله مع عدم سبق ذكره، لا ضمير فيه لوضوحه، كما قال العلامة الطباطبائى، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعه الى الله تعالى.

ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. و المرئى هو الآيات الكبرى، و منها ما تقدم من الدنوّ، و التدلى، و كون جبرئيل بالافق الاعلى.

و ليس فى الآيه ما يدل على أن الرؤيه قد كانت لله تعالى. و يدل على ما نقول قوله تعالى الآتى: (ما زَاغَ البَصِيرُ وَ ما طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى).

ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أى اتجادلونه فى رؤيته جبرئيل، و هل هذا أمر نظرى عقلى يصح الجدل و المراء فيه؟ و هل بإمكانه أن يكذب بصره و يقول: لا أراه؟! فان الكفار كانوا ينكرون الوحي له، و رؤيته الملك.

ثم قال تعالى: و لقد رآه،- و الضمير يرجع إلى ذلك الذى لا يزال يتحدث عنه-، نزله أخرى، أى فى نزول آخر، و الذى كان ينزل عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) هو جبرئيل، فانه رآه و التقى معه على صورته فى نزله ثانيه عند صدره المنتهى. و السدره نوع من الشجر.

و لا بد أن تكون هذه الرؤيه الثانيه فى الارض، و إلا لوجب أن يقول: و لقد رآه نزله أخرى، ثم عرج به الى السماء، حتى انتهى الى السدره، فرآه عندها.

و يبدو: أنه كان فى الارض- كما يراه بعض المحققين- شجره سدر

كان لقاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بجبرئيل عندها، وعند تلك السدره توجد جنه المأوى، أى جنه و بستان يؤوى إليها، أو أن الجنه فى الآخره ستكون فى تلك المنطقه.

و بعض المحققين يرى: أن المراد بالنزله الدفعه، و أنه قد رأى جبرئيل بعد العروج عند سدره المنتهى، و ان الجنه الحقيقه موجوده هناك.

و نقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بنزله. و تحقيق مكان الجنه ليس هنا محله.

و هكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظره إلى رؤيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجبرئيل على صورته الحقيقه مرتين فى نزلتين لجبرئيل.

و هذا هو ما أكده الامام الرضا (عليه السلام) فى روايه صحيحه السند عنه، جاء فيها: قال أبو قره: إنا روينا: أن الله قسم الرؤيه و الكلام بين نبين؛ فقسم الكلام لموسى، و لمحمد الرؤيه.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين، من الجن و الانس: (لا تدركه الابصار. و لا يحيطون به علما. و ليس كمثل شىء)؟ أليس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيبى ء رجل إلى الخلق جميعا؛ فيخبرهم: أنه جاء من عند الله، و أنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: (لا تدركه الابصار. و لا- يحيطون به علما. و ليس كمثل شىء)، ثم يقول: أنا رأيت به عيني، و أحطت علما، و هو على صورته البشرى؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقه أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند الله بشىء، ثم يأتى بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قره: فانه يقول: (و لقد رآه نزله أخرى)؟

فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى)، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)؛ فأيات الله غير الله، و قد قال الله: (و لا يحيطون به علما). فاذا رآته الابصار؛ فقد أحاطت به العلم، و وقعت المعرفة.

فقال أبو قره: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. و ما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثلته شيء (١).

و فى الروايه دلالة على حجيه ظواهر الكتاب، و على حجيه السياق القرآنى ايضا. صلوات الله و سلامه عليك يا أبا الحسن و على آبائك و ابناءك الطاهرين، فانكم ما زلتم حصون الاسلام، و المدافعين عنه، و الباذلين مهجكم فى سبيله، فانتم مصايح الدجى، و العروه الوثقى، و الحجج على أهل الدنيا.

الاسراء من المسجد:

صریح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، و جاء فى عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هانى (٢) و احتمل السيد الطباطبائى أن يكون

١- أصول الكافى ط سنه ١٣٨٨ فى إيران ج ١ ص ٧٤ / ٧٥. و البرهان للبحرانى ج ٤ ص ٢٤٨.

٢- السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ٤٣.

الاسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هانئ (١).

و يحتمل أيضا التجوز، و اراده مكه من (المسجد الحرام). و هو اطلاق متعارف، قال تعالى: (هَدِيًّا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ) و يقال: هو يسكن في مشهد الرضا، مع أنه يسكن في البلد المحيطة به. و أطلق في الروايات مسجد الشجره على ذى الحليفه. و مثل ذلك كثير، فان من المتعارف أن يطلق على المكان الذى فيه شئ معروف اسم ذلك الشئ المعروف.

و يحتمل أيضا أن يكون (صلى الله عليه و آله و سلم) خرج تلك الليله الى المسجد من بيت أم هانئ، ثم اسرى به من المسجد.

موسى، و فرض الصلوات الخمس:

هذا، و قد جاء فى بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، و أنها فرضت أولا خمسين صلاه فى اليوم. و حين عوده الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) التقى بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى الله، و يسأله التخفيف، لأن الامه لا تطيق ذلك- كما لم تطقه بنو اسرائيل- فرجع، و طلب إلى الله التخفيف فخففها إلى أربعين، و عاد الرسول؛ فمر بموسى، فأشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشره، ثم إلى خمسه، ثم استحيا الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) من المراجعة من جديد فاستقرت الصلوات على خمس (٢).

١- الميزان ج ١٣ ص ٣١.

٢- لقد وردت هذه الروايه فى مختلف كتب الحديث، و التاريخ عند غير الشيعه، و لذا فلا نرى حاجه لذكر مصادرها. فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ٤٥، و وردت أيضا فى كتب الإماميه رحمهم الله تعالى، و أعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج ١٨ ص ٣٣٠ و ٣٣٥ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٨ عن:

و هذه الروايه و إن كانت قد وردت فى بعض المصادر الشيعيه أيضا، الا أننا لا نستطيع قبولها، و قال عنها السيد المرتضى (رحمه الله): (أما هذه الروايه فهى من طريق الآحاد، التى لا توجب علما، و هى مع ذلك مضعفه (١)).

و نحن هنا نشير الى الأسئله التاليه:

لماذا يفرض الله على الامه هذا العدد أولا، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعه، فانه إن كانت المصلحه فى الخمسين، فلا معنى للتخفيف، و إن كانت المصلحه فى الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الاربعين، ثم الثلاثين و هكذا. و فى بعض الروايات: أنه كان فى كل مره يحط عنه خمسا، حتى انتهى الى خمس صلوات.

و قد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرى هنا ما هو إلا- نظير اضافه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) الركعتين الأخيرتين فى الرباعيه من الصلاه اليوميه؛ و نظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفا. و نظير الرفث الى النساء ليله الصيام، فقد نسخت حرمة بعد وقوع المخالفات منهم؛ قال تعالى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ؛ فَتَابَ عَلَيْكُمْ، وَ عَفَا عَنْكُمْ؛ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ (٢).

و نقول: ان ما ذكره- حفظه الله لا يكفى لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبه لتشريع الركعتين الأخيرتين فى الرباعيه من قبله (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فإن الله سبحانه قد فوض له ذلك حينما يعلم (صلى الله

١- تنزيه الأنبياء ص ١٢١.

٢- البقره: ١٨٧.

عليه وآله وسلم) بتحقيق مصلحته ومقتضيه في متن الواقع.

و اما بالنسبه لحكم الفرار من الزحف، و حكم الرفث الى النساء، فان المقصود ب: (علم أن فيكم ضعفا). و (علم انكم كنتم تختانون انفسكم) هو تحقق معلوم الله سبحانه في الخارج. أي أن الحكم السابق، و هو حرمة الفرار بملاحظه قلبه العدد، و حرمة الرفث قد استمر و بقي الى أن حصل الضعف و حصلت الخيانه و تغير الموضوع. فنسخ الحكم الاول، فنسخت حرمة الرفث و نسخت حرمة الفرار و ليس المراد علم الله بعد جهله، و العياذ بالله.

أما السيد المرتضى، فقد أجاب (رحمه الله) عن التساؤل الذي طرحناه فيما سبق بنحو آخر، و هو: أن من الممكن أن تكون المصلحه أولاً تقتضى الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحه بسبب المراجعه، و أصبحت تقتضى الخمس (١).

و لكنه جواب منظور فيه؛ فان النبي إذا كان يعلم: أن الله تعالى لا يشرع إلا وفق المصلحه، فانه لا يبقى مجال لمراجعته أصلاً؛ لأنه كأنه حينئذ يطلب تشريعاً لا يوافق المصلحه.

و لو صحّت المراجعه هنا، و اوجبت تبدل المصلحه صحّت في كل مورد، و اوجبت ذلك ايضاً، فلماذا كانت هنا. و لم تكن في سائر الموارد.

كما أن تعليل موسى للتخفيف بعدم طاقه الأمه، كأنه يدل على أنه يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحه.

و هذا محال بالنسبه الى الله تعالى. و لا يمكن صدوره لا من موسى (عليه السلام) و لا من نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال صاحب المعالم:

(المطالبه بصحة الروايه، مع أن فيها طعنا على الأنبياء بالإقدام على المراجعه فى الاوامر المطلقه) (١).

و سؤال آخر: كيف لم يعلم الله تعالى: أن الأمه لا تطيق ذلك، و علم بذلك موسى؟:

و سؤال آخر، و هو: ما المراد بعدم الإطاقه؟ هل المراد بها عدم الإطاقه عقلا؟ فيرد عليه: انه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق؟

أو المراد به ما كان فى مستوى العسر و الحرج، المنفى فى الشرع الاسلامى، كما دلت عليه الروايات و الآيات و لا سيما قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (٢) و (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٣) و غير ذلك من الآيات.

و مما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بنى اسرائيل ما لا يطيقون.

و اما قوله تعالى: (رَبَّنَا، وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) (٤).

فهو لا يدل على ذلك لعطف قوله (ربنا و لا- تحملنا ما لا طاقه لنا به) عليه؛ فيدل على أن المراد بالإصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق. و يمكن ان يكون المراد بالاصر: جزاء السيئات الثقيل و الشاق، أو المبادره بعذاب الاستيصال.

و اما طلبهم أن لا يحملهم ما لا طاقه لهم به، فليس المراد أنه

١- معالم الدين ص ٢٠٨ مبحث النسخ.

٢- البقره: ١٨٥.

٣- الحج: ٧٨.

٤- البقره: ٢٨٦.

يحملهم ذلك في التكليف الابتدائي، لأن العقل لا- يجيز ذلك، بل المراد مالا- طاقه لهم به، مما يتسبب عن المخالفه و هو العذاب الأليم، و العقاب العظيم.

و سؤال آخر هنا، و هو:

كيف نسي الله تعالى تلك التجربه الفاشله مع بنى اسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمه محمد من جديد؟!.

و لعل هذه التجربه كانت هي عذر ابراهيم الذى مر عليه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ذهابا و ايابا عشر مرات، أو عشرين (١) على اختلاف النقل. و لكنه لم يسأله عن شىء، و لا أمره بشىء!!.

و إن كنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتاليه ذهابا و ايابا؟!.

و لماذا لم يلتفت نبينا الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى ثقل هذا التشريع على امته، و التفت إليه نبى الله موسى؟ و لماذا بقى يغفل عن ذلك خمس مرات، بل سته أو اكثر و لا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لأن يرصد له الطريق باستمرار، و لولاه لوقعت الأمه فى الحرج و العسر؟.

و لماذا لا ينزل الله العدد إلى الخمس مباشره من دون أن يضطر الرسول إلى الصعود و النزول المتعب و المتواصل باستمرار؟!.

استبعاد الاسراء و المعراج:

و بعد، فلا بد لنا من الاشاره هنا: إلى أن استبعاد الاسراء

١- لأن ابراهيم حسب نص الروايه كان فى السماء السابعه، و موسى كان فى السادسه و كان موسى يرجع النبى إلى ربه، كى يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

و المعراج؛ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعه، التي تعد بآلاف الاميال فى ليله واحده ذهابا و ايابا- هذا الاستبعاد- فى غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام فى أقل من لمح البصر. و كان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

و أما بالنسبه لنا اليوم فقد اصبح التصديق بالاسراء و المعراج اكثر سهوله، و الاقناع به أقرب منالا، و لا سيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع ١٣ كيلومترا فى ثانيه واحده، و لربما يتضاعف ذلك عدده مرات فى المستقبل. كما أنه قد اكتشف أن سرعه النور هى حوالى ثلاثمائه الف كيلومتر فى الثانيه (١)، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئيه للجاذبيه تستطيع أن تقطع العالم بلحظه واحده من دون حاجه إلى الزمان ..

و بعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيده بهذه السرعه المذهله ليس مستحيلا على هذا الانسان المحدود، الذى بقى الاعوام الطوال يفكر و يستعد، و يجمع الخبرات و الامكانيات، فهل يستحيل على خالق الانسان و الكون، و مبدعه أن يسرى بعبدته الذى اصطفاه رسولا للبشرية جمعاء، ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، و إلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟!.

من اهداف الإسراء و المعراج:

اننا اذا أردنا معرفه الأهداف و الحكم، و المعجزات، و التأثيرات

العميقه للإسراء و المعراج، فلا بد لنا من دراسه كل نصوصه، و فقراته، و مراحلہ بدقه و عمق. بعد تحقيق الصحيح منها. و حيث ان ذلك غير متيسر بل هو متعذر علينا في ظروفنا الحاضرہ، فاننا لا بد ان نكتفي بالإشاره الى الامور التاليه:

أولاً: ان حادثه الإسراء و المعراج معجزه كبرى خالده، و لسوف يبقى البشر الى الأبد عاجزين عن مجاراتها، و ادراك أسرارها و لعل اعجازها هذا اصبح اكثر وضوحا في هذا القرن العشرين، بعد ان تعرف هذا الانسان على بعض اسرار الكون و عجائبه. و ما يعترض سبيل النفوذ الى السماوات من عقبات و مصاعب.

و اعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عن طريق الخضوع لمعجزته الخالده، و هي القرآن، او اليقين بصدقه (صلى الله عليه و آله و سلم) عن أى طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجبا لليقين بصدق اخباراته كلها؛ فاذا اخبر (صلى الله عليه و آله و سلم) بهذه الحادثه، فان اخباره مساوق لليقين بوقوعها. و هي حينئذ تكون معجزه خالده تتحدى هذا الانسان على مدى التاريخ.

و ثانياً: يلاحظ: ان هذه القضية قد حصلت بعد البعثه بقليل، و قد بين الله سبحانه الهدف من هذه الجوله الكونيه؛ فقال في سوره الاسراء:

(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا).

و إذا كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) هو الأسوه و القدوه للإنسانيه جمعاء، و اذا كانت مهمته هي حمل اعباء الرساله الى العالم بأسره، و اذا كان سوف يواجه من التحديات، و من المصاعب و المشكلات ما هو بحجم هذه المهمه الكبرى، فان من الطبيعي: أن يعدّه الله سبحانه إعدادا جيدا لذلك، و ليكن المقصود من قصه الاسراء

و المعراج هو ان يشاهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) بعض آثار عظمه الله تعالى، فى عمله تربويه رائعه، و تعميق و ترسيخ للطاقيه الإيمانيه فيه، و ليعده لمواجهه التحديات الكبرى التى تنتظره، و تحمل المشاق و المصاعب و الأذى التى لم يواجهها احد قبله، و لا بعده، حتى لقد قال حسبما نقل (ما أودى نبى مثلما أوديت). و على حسب نص السيوطى، و المناوى، و غيرهما: (ما أودى احد ما أوديت) (١) و لا سيما اذا عرفنا: ان عمق إدراك هذا النبى الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) - و هو عقل الكل، و إمام الكل - لاطار الانحرافات فى المجتمعات، و انعكاساتها العميقه على الاجيال اللاحقه كان من شأنه أن يعصر نفسه ألما من اجلهم، و يزيد فى تأثيره و عذاب روحه حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ (٢)).

و أيضا، فانه بالاسراء و المعراج يفتح قلبه و عقله ليكون أرحب من هذا الكون، و يمنحه الرؤيه الواضحه، و الوعى الاعمق فى تعامله مع الأمور، و معالجته للمشكلات. و لا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤوليه قياده الأمة و العالم بأسره.

و كذلك ليصل هذا النبى الأمي إلى درجه الشهود و العيان بالنسبه إلى ما أوحى إليه، و سمع به عن عظمه ملكوت الله سبحانه، و لينتقل من مرحله السماع إلى مرحله الرؤيه و الشهود، ليزيد فى معرفه يقينا، و فى الايمان رسوخا.

و ثالثا: لقد كان الانسان - و لا سيما العربى آنئذ - يعيش فى نطاق ضيق، و ذهنيه محدوده، و لا يستطيع أن يتصور أكثر من الامور الحسيه، أو

١- راجع: الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٤ و كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٣.

٢- فاطر / ٨.

القريبه من الحس، التى كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب.

و ذلك من قبيل الفرس، و السيف، و القمر، و النجوم، و الماء و الكلاء، و نحوها، و يشعر بالحب، و البغض و الشجاعه و غير ذلك.

فكان- و حاله هذه- لا بد من فتح عينى هذا الانسان على الكون الارحب، الذى استخلفه الله فيه، لي طرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، و يبعث الطموح فيه للتعرف عليه، و استكناه أسرارها، و بعد ذلك احياء الامل و بث روح جديده فيه، ليبدل المحاوله للخروج من هذا الجو الضيق الذى يرى نفسه فيه، و من ذلك الواقع المزرى، الذى يعانى منه.

و هذا بالطبع ينسحب على كل أمه، و كل جيل، و إلى الابد.

و رابعا: و الأهم من ذلك: ان يلمس هذا الانسان عظمه الله سبحانه، و يدرك بديع صنعته، و عظيم قدرته، من اجل ان يثق بنفسه و دينه. و يطمئن الى أنه بإيمانه بالله، إنما يكون قد التجأ إلى ركن و ثيق لا يختار له إلا الأصلاح، و لا يريد له إلا الخير، قادر على كل شىء، و محيط بكل الموجودات.

و خامسا: و اخيرا، انه يريد ان يتحدى الاجيال الآتية، و يخبر عما سيؤول اليه البحث العلمى - من التغلب، على المصاعب الكونيه، و غزو الفضاء؛ فكان هذا الغزو بما له من طابع اعجازى خالد هو الأسبق و الاكثر غرابه و ابداعا؛ و ليطمئن المؤمنون، و ليربط الله على قلوبهم، و يزيدهم ايمانا كما قلنا.

الأذان:

و نحن نعتقد: أن الأذان قد شرع فى مناسبه الإسراء و المعراج كما جاء فى الخبر الصحيح، و لكنهم إنما يذكرون ذلك بعد الهجره؛ فنحن نرجى الحديث عنه إلى هناك، إن شاء الله تعالى.

اليهود و المسجد فى القرآن:

قال تعالى:

وَ قَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَ لَتَغْلُنَّ أَعْلُوًا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا، أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنِينَ، وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْنَا لِيَوْمِكُمْ، وَ إِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا؛ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ؛ لِيَسُوؤُوا وَجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ لِيُبَيِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا. عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم، وَ إِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا، وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا، إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١).

مفاد الآيات إجمالاً:

فهذه الآيات الكريمة تتضمن:

أ: أحداثاً أربعة هامة، هى التالية:

١- إن بنى اسرائيل سوف يفسدون فى الارض، و يعلون علوا كبيرا، بعد أن كتب الله عليهم الجلاء، و ضرب عليهم الذل و المسكنه، و باؤا بغضب من الله.

٢- إن عبادا لله أولى بأس شديد سوف يحاربون الاسرائيليين، بعد فسادهم و علوهم، و يطأون بلادهم، و يجوسون خلال ديارهم جزاء على بغيهم و فسادهم، و يدخلون المسجد الاقصى ايضا.

٣- إن بنى اسرائيل سوف تكثر بعد ذلك أموالهم، و أولادهم، و ذلك يحتاج إلى مده طويله نسيبا، و لسوف يجهزون جيشا أعظم من جيش أولئك العباد، و تكون الكره لهم عليهم.

٤- ثم انهم بعد ان يعودوا إلى الافساد من جديد؛ فى مهله زمنيه لا- بأس بمقدارها يعود أولئك العباد إلى حربهم، ليسوؤا وجوههم، و ليتبروا ما علوا تتبرا.

ب: إن حصول المرتين الاولى و الثانيه، يعنى الافساد و الاول من بنى اسرائيل ثم إرسال الله تعالى عبادا له عليهم، أمر حتمى، لقوله تعالى: (وَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا). أما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بنى اسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الامرين.

فلأجل ابراز عنصر الاختيار هذا و التشكيك بصدوره منهم، عبّر ب (ان): **إِنْ أَحْسَيْتُمْ الْخ ..** لانها تستعمل فى مقام الترييد و الشك فى صدور الإحسان منهم.

ضرب القاعده، و إعطاء الضابطه:

ثم إنه بالنسبه للافساد الثانى قد اختار التعبير ب (إذا) كما استعمل نفس هذه الكلمه بالنسبه لافسادهم الأول، و ذلك لافاده أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمى. و لا شك فيه لما يعلمه الله فيهم من خصائص، و طموحات.

و لكن جواب الشرط قد جاء بصيغه المضارع لافاده حصول سوء الوجوه و التتبير بصوره تدريجيه، ليكون ذلك أدعى فى الاذلال، و أدلّ على المساءه و لكن هذا المضارع إنما هو بملاحظه زمان تحقق الشرط فى المستقبل.

و يلاحظ هنا: كثره المؤكدات على صدور ذلك منهم؛ فلاحظ قوله

تعالى: قَضَيْنَا الْمَشِيرَ إِلَى حَتْمِيهِ ذَلِكَ لَكِنْ لَا عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ، وَإِنَّمَا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ بِمَا هُوَ حَتْمِي الْوَقْعَ بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ أحوالِهِمْ.

ثم عبر بكلمته: فِي الْكِتَابِ الْمَفِيدِهِ إِلَى نَوْعِ التَّأْكِيدِ أَيْضًا.

ثم أتى بلام الإبتداء في أكثر من مورد، فقال: لَتَفْسِدُنَّ، وَ لَتَعْلُنَّ. ثم أتى بنون التوكيد. مشفوعه بإذا التي تستعمل في مقام الجزم بتحقيق الشرط.

وعقب على ذلك باعتاره وعدا قد جاء بصيغته التحقق والوقوع، حيث قال: فَإِذَا جَاءَ وَعْدٌ وَ لَمْ يَقُلْ: وقت أو موعد و هو يقتضى الحصول و التحقق أيضا، ثم الحقه بكلمه: بَعَثْنَا، وَ لَمْ يَقُلْ: سَنَبْعُ، ليشير إلى أنه أمر حاصل لا محاله، فهو يخبر عن وقوعه.

ثم عاد فكرر كونه وعدا و لكن بصيغته تؤكد وقوعه و حصوله حيث قال: وَ كَانَ وَعْدًا ثُمَّ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: مَفْعُولًا.

و نلاحظ أيضا أنه لم يزل يعبر ب: (أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا) بصيغته الخبر عن أمر حاصل، و اظهارا للثقة بحصوله أيضا. فلاحظ الآيات.

ج: إن الاستفادة من هذه الآيات هو: أن من سوف تجرى لهم مع بنى اسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحده، يجوسون خلال ديار بنى اسرائيل أولا، ثم ترد الكره لبنى اسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بنى اسرائيل ضربه تسوء لها وجوههم، و يتبروا فيها ما علوا.

و ذلك لأن الضمائر فى: (جاسوا، و عليهم، و ليسوا، و ليدخلوا، و دخلوه و ليتبروا) - كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحده، عبر عنها بقوله تعالى: عِبَادًا لَنَا، و ليس غيره فى الآيات يصلح مرجعا لهذه الضمائر - أصلا.

د: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد

مرتين. و أن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد فى المرتين معا، أى بالقوه و القهر، و الغلبه كما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

ه: إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الأربعة عاد فقال: **وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا** و هو لبيان قاعده كلييه، و سنه إلهيه فى مواجهه طغيان بنى اسرائيل و فسادهم، و هو لا- يدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعد تلك الأحداث الأربعة، بل إن ما سوف يقع جزما هو ما ذكر. أما ما سواه فلا دليل على حدوثه، بل إن تعبيره ب (إن) الشرطيه، الموضوعه للاستعمال فى غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و: ان المقصود ب: **عِبَادًا لَنَا قَوْمٌ مُّؤْمِنُونَ**، و ذلك لاقتضاء ظاهر قوله: **بَعَثْنَا**، و قوله: **عِبَادًا لَنَا (١)** لأن البعث، و العباد له، لم يستعملا فى القرآن- إلا ما شذ- إلا فى مقام المدح و الثناء، و لا سيما مثل قوله تعالى: **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**، و غير ذلك.

و لا أقل من أنه قصد به ما سوى الكافرين.

و لربما يشير إلى ذلك أيضا: أنه تعالى بعد أن ذكر انتصار عباده على بنى اسرائيل و ما سوف يحققه بنى اسرائيل من سوء، و أنه جعل جهنم للكافرين حصيرا، عاد فأجمل كل ذلك على شكل قاعده كلييه، فبين: ان سنه الله هى أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحه، و يدافعون عن دينه- كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بنى اسرائيل- بأن لهم أجرا عظيما. و أن الذين لا يؤمنون بالآخره، و يفسدون فى الارض، و يعلون، علوا كبيرا، كما هو حال بنى اسرائيل قد أعتد لهم عذابا اليما، فقال:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

ثم دخل في موضوع آخر.

و يرى العلامة المحقق البحاثة السيد الطباطبائي (رحمه الله): أنه لا دليل في الكلام - أي في قوله تعالى: بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا يُدِلُّ عَلَى كُونَ الْمَبْعُوثِينَ (مؤمنين)؛ إذ لا ضير في عدّ مجيئهم إلى بنى اسرائيل، مع ما كان فيه من القتل الذريع، و الاسر، و السبي، و النهب، و التخريب، بعثا إليها؛ لأنه كان على سبيل المجازاه على إفسادهم في الأرض، و علوّهم، و بغيهم بغير الحق؛ فما ظلمهم الله ببعث أعدائهم، و تأييدهم عليهم، و لكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم (١).

و نقول:

إننا لا نستطيع - بدورنا - أن نقبل: أن الله تعالى يؤيد الظالمين و المجرمين بأى وجه. نعم، هو يخلى بينهم و بينهم، و يوقف تاييداته لهم، و هذا غير تأييده لأولئك، و بعثهم على هؤلاء.

إلا أن يدعى أن المراد هو التسليط عليهم. و ذلك بالتخليه فيما بينهم، و وقف التأييدات للفئه المؤمنه بسبب ما فعلته.

لكن يرد عليه: أن نسبه البعث - و حاله هذه الى الله سبحانه - تصبح غير ظاهره، و لا مقبوله.

كما أننا قد أشرنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيره إلى إيمان المبعوثين. فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر الله تعالى و التكليف الشرعى إلى القيام بذلك العمل؛ فيصح أن يقال: إن الله هو المحرك و الباعث لهم.

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقى الكلام فى تطبيقها الخارجى؛ فهل حصل و تحقق مفادها كله فى السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلك كله فى الآتى!. أو أن بعض ذلك قد حصل؟. و البعض الآخر متوقع الحصول؟!.

أقوال الرواه و المفسرين:

لقد راجعنا عددا من كتب الحديث و التفسير، فوجدنا الروايات و الانظار مختلفه و متباينه فى ذلك ..

و نحن نذكر موجزا عن تلك الروايات، و الآراء بتلخيص مئا، و ذلك على النحو التالى:

- ١- عن ابن مسعود: إن الفساد الاول هو قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبى، ثم عادوا هم فغزوا النبى، فأصابوا منهم.
- ٢- عن عطيه العوفى: بعث الله عليهم أولا جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر. و كذا عن ابن عباس.
- ٣- عن على: الفساد الاول قتل زكريا، و الثانى قتل يحيى، مع عدم بيان من بعث عليهم فى المرتين.
- ٤- عن حذيفه: المره الأولى بخت نصر، ثم ردهم كورش، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ابطننا نحوس، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ثالثا اسبيانوس.
- ٥- عن ابن زيد: الاولى قتل زكريا و يحيى، فسلط عليهم سابور ذا الاكتاف، الفارسى، من قبل زكريا، و بخت نصر من قبل يحيى.
- ٦- عن مجاهد: ان ملك فارس بعث جندا إليهم ليتجسسوا

أخبارهم و يسمعون حديثهم. ثم رجعت فارس، و لم يكتر قتال، و نصرت عليهم بنو اسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس ببابل جيشا، أمر عليه بخت نصر؛ فدمروهم. (١)

رأى العلامة الطباطبائي:

قال العلامة البجائه المحقق الطباطبائي أيده الله تعالى:

(... و الذى يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، و بقى خرابا سبعين سنه. و المبعوث ثانيا هو قيصر الروم اسبيانوس، سیر إليهم وزيره طوطوز، فخرب البيت، و أذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريبا.

و ليس من البعيد: أن يكون الحادثان هما المرادتان فى الآيات؛ فان الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم، و لم تذهب بملكهم و استقلالهم بالمره، لكن نازله بخت نصر ذهبت بجمعهم، و سؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهه، ثم غلب عليهم الروم، و أذهبت بقوتهم، و شوكتهم، فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الاسلام).

قال هذا سلمه الله بعد أن ذكر: أنه كالمسلم: أن إحدى هاتين النكائتين كانت على يد بخت نصر (٢).

و لكنه عاد فأورد على نفسه بأن فى الآيات إشعارا بأن المبعوث إلى بنى إسرائيل هم قوم بأعيانهم فى كلا المرتين.

١- راجع هذه الروايات فى الدر المنثور للسيوطى ج ٤ ص ١٦٣-١٦٥ عن ابن جرير، و ابن عساكر، و ابن أبى حاتم، متفرقا. و راجع: تفسير الطبرى، و تفسير ابن كثير، و فتح القدير، و غير ذلك من التفاسير، فى تفسير الآيات فى سورة الإسراء.

٢- تفسير الميزان ج ١٣ ص ٤٤/٤٥.

و أجاب عن ذلك بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصريح.

و نقول: إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع فى الكلام سوى قوله: (عبادا لنا). و هذا يدل دلالة واضحة على وحده القوم المرسلين على بنى اسرائيل و ليس مجرد إشعار.

و مرادنا بالوحده هو أن يكون لهم رابطته تجمعهم ككونهم فرسا، أو مسلمين مثلا- و يرد على كلامه سلمه الله، و على جميع الروايات المتقدمه، عن الدر المنثور و غيره ما يلى:

١- إننا لم نجد لبنى اسرائيل كره على بخت نصر، و لا- على سابور و لا- غيرهما. بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالى مئه سنه من اسر بخت نصر لهم. مع أن الآيه تكاد تكون صريحه بأن لبنى اسرائيل كره على أولئك العباد المبعوثين.

٢- إن النبط لم يدخلوا المسجد مرتين و كذلك بخت نصر، و قيصر، و غيرهم ممن ذكر جميعا. و قد أشارت الآيه الى أن المبعوثين سوف يدخلون المسجد مرتين.

٣- إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاه و المتجبرين.

٤- إن بخت نصر كان قبل الميلاد بست مئه سنه تقريبا (١) و كان يحيى معاصرا للمسيح (عليه السلام) (٢) فكيف ينتقم له بخت نصر؟ كما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما فى الروايه.

١- تفسير الميزان ج ١٣ ص ٤٤ و فى تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٣: من وقت تخريب بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى أربع مئه و إحدى و ستون سنه.

٢- راجع: قصص الأنبياء للنجار ص ٣٦٩.

٥- هذا كله عدا عن الاشكال فى أسانيد تلکم الروایات (١).

٦- إن افسادهم فى منطقہ محدودہ، لا- یعنی کون ذلك هو المقصود من الآیہ التى تتحدث عن افساد كبير، و علوّ لهم فى الارض.

و لا شك انهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من ان يكون لهم علو فى الارض كلها، بل و حتى على سابور، أو بخت نصر او غيرهما.

رأى آخر فى الآيات:

و يحتمل البعض: أن الفساد الأول كان فى منطقہ الحجاز، فبعث الله النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عليهم، و ضربهم الضربه القاصمه، و كان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذى يمثل دخول المسلمين، هو المعنى فى الآيات. و تبقى المره الثانيه ستأتى. كما و يحتمل أن تكون هى ضربه بخت نصر لهم هى الأولى، و الثانيه هى ضربه عمر لهم.

و لكن ذلك لا يمكن قبوله؛ لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان تحت سيطره النصرى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن. و كانوا يجعلون الاقدار و الاوساخ على (الصخره)، التى هى قبله اليهود، بل كانت المرأه ترسل بخرقه حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخره، مبالغه فى امتهانها، و إذلالا لليهود و احتقارا لهم (٢).

كما أنه لا معنى لاراده بخت نصر؛ ليكون هو بطل المره الأولى، و ذلك لما أشرنا إليه فى النقاط الست الآنفه الذكر.

١- هذه النقاط أشار إليها الأخ علامه الشيخ ابراهيم الأنصارى حفظه الله تعالى فى مقاله، فى مجله الهادى.

٢- تقدم ذلك فى تمهيد الكتاب.

رأى آخر:

و ثمة رأى آخر يقول: إن الفساد الأول هو انكارهم نبوه نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم)، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، و اتفقوا مع المشركين ضده.

و إرسال عباد الله على هؤلاء المفسدين هو ما جرى فى صدر الاسلام. فأرسل الله النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و المسلمين عليهم؛ فضربوهم فى خيبر و قريظه؛ و قينقاع، و غير ذلك، و جاسوا خلال ديارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الاقصى فى زمن عمر.

و الفساد الثانى هو ما جرى و يجرى منهم فى فلسطين و لبنان، و المنطقه بشكل عام، فى هذا القرن الرابع عشر، و لسوف يأتى المهدي (عجل الله فرجه) ليقتقم منهم. و يدخل المسلمون المسجد، كما دخلوه أول مره فى عهد عمر.

و قد قرّر بعض الاعلام هذا، و طبق الآيات عليه، على النحو التالى:

إنه ليس فى الآيات ما يدل على أن الغلبه على اليهود، و غلبه اليهود على أولئك العباد تكون فى مكان واحد محدد. و قوله تعالى: كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَشْعُرُ، بل يدل على أن قوله: فَجَاشُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، هو غير دخولهم المسجد، اى انهما أمران متغايران، كما يدل على أن الجوس خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، و ذلك لمكان اللام فى قوله: لِيَدْخُلُوا التى هى لام العاقبه و قد تحقق ذلك فى زمن عمر. كما أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولا يدل على أن دخول المسجد لما يتحقق لهم عند ذلك.

و تدل الآيه على أن دخول المسجد فى الثانيه يكون أشد على اليهود لقوله و ليتبروا ما علوا تنبيرا، ففسادهم الثانى يكون فى غلبتهم على البلاد

المقدسه، و قتلهم المسلمين، و هذا ما يحصل فى هذا العصر. و جزاؤهم سيكون عاجلا على يد أهل قم إن شاء الله تعالى، أو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، و الله العالم.

و نقول:

هذا رأى لا يمكن المساعده عليه، لأن ما ذكر فى تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولاً: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوه و قهرا و رغما عن بنى اسرائيل. و حينما دخل المسلمون المسجد فى عهد عمر لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان النصارى هم المسيطرون.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهه، و من جهه أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحا و ليس عنوه، و ظاهر الآيه: هو أن الدخول سيكون عنوه، معه سوء الوجوه، و فيه القهر و الغلبه على اليهود انفسهم، لَيْسُوا وَ أُجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ لِيَنْبَرُوا مَا عَلَوْا تَنْبِيرًا.

و ثانيا: ما ذكر من أن اللام فى (ليدخلوا) تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، و أن التفريق بين الجوس خلال الديار، و دخول المسجد، يدل على ذلك أيضا. و كذا عدم ذكر الدخول للمسجد فى المره الأولى.

إن هذا الذى ذكر، لا يدل على ذلك؛ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفى فى المره الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له و يكون فى ضمنه، ثم اوضحه بقوله: كما دخلوه أول مره و قوله: ليدخلوا معطوف على ليسوا بالواو، التى لا تدل على الترتيب الزمانى.

بل لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، و بين سوء الوجوه للإشارة الى أن دخول المسجد سيكون فى وسط المعركة، فى المره الثانيه، و كذلك سيكون فى المره الأولى لقوله تعالى؛ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

و إلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأى، لوجب أن يكون الدخول الثانى للمسجد صلحا، لا عنوه، كما كان دخول عمر بن الخطاب فى السابق. و حينئذ فلا- يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: لِيَسْوُوا وُجُوهَكُمْ، و بين قوله: لِيَتَّبِعُوا مَا عَلُوا تَتَّبِعُوا.

و ثالثا: إنه لم يكن لليهود فى زمن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فساد فى الارض، و علو كبير فيها، و إنما كانوا فى محيط ضيق جدا محصورين فى نواحي المدينه، و كانوا مقهورين من قبل الأوس و الخزرج، و يمالئون مشركى مكه، و سائر القبائل فى المنطقه، فلا- يصح أن يقال: إن لهم عُلُوًّا كَبِيرًا. فضلا عن إضافه قوله: فِي الْأَرْضِ سِوَاءَ قَلْنَا: إن المراد: الأرض المقدسه، يعنى فلسطين، أو قلنا: بان المراد الارض مطلقا اى معظمها، أو السيطره على مراكز القوه و النفوذ فيها.

وتمه رأى آخر أيضا:

و هو أن الحروب التى جرت بين العرب و اسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، و بقيت المرحله الأخيره، التى أشارت إليها الآيه بالقول: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِهِ، لِيَسْوُوا وُجُوهَكُمْ إلخ ... و هى سوف تأتى إن شاء الله تعالى (١).

و هذا أيضا رأى لا- يمكن المساعده عليه؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجوسوا خلال ديار بنى اسرائيل فى حروبهم تلك، و لا دخلوا

١- هذا رأى الشيخ ابراهيم الأنصارى فى مجله الهادى.

المسجد عنوه، بل إنهم ليسوا من عباد الله المؤمنين؛ لأنهم قد تخلوا عن دينهم، وجرؤا خلف شهواتهم، واستبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

و الروايات ماذا تقول:

لقد وردت بعض الروايات- التي ليس لها أسانيد- معتبره- تفيد:

أن الفساد الأول هو قتل على، و طعن الحسن (عليه السلام)، و العلو الكبير هو قتل الحسين، و وعد أولاهما نصر دم الحسين، و المبعوثون أولا- هم قوم قبل خروج القائم، و كان وعدا مفعولا: خروج القائم. و ثم رددنا لكم الكره عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه (١).

و فى تفسير القمى: الفساد الأول: فلان و فلان، و نقضهم العهد، و العلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافه. و وعد أولاهما: الجمل. و جاسوا خلال الديار: طلبوكم، و قتلوكم، و رددنا لكم الكره: بنو أميه. و وعد الآخره: القائم (عليه السلام)، و كما دخلوه أول مره: رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و واضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحه، و إنما هى- إن صحت- من باب الاشاره إلى أن ما يجرى لبنى إسرائيل، يجرى مثله لهذه الأمه أيضا؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه فى مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء فى هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظه، و المقارنه.

الرأى الأمثل:

و إذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالا، و عرفنا: أن مفادها لم يحصل و لم يقع لبنى إسرائيل بعد، لا فى تاريخهم القديم، و لا الحديث، فاننا

١- راجع: البحار ج ٥١ ص ٥٦ و تفسير البرهان، و تفسير نور الثقلين.

نعلم: أن مفادها سيقع في المستقبل، و مفادها هو:

١- أن يفسد بنو اسرائيل في الارض (و لتلاحظ كلمه في الارض)، فانه لا يصدق ذلك على بلد أو قريه صغيره في نواحي الحجاز مثلا، بل لا- بد أن يكون فسادهم و علوهم في الارض المقدسه، أو في الأرض بصورة عامه. أو على الاقل في مراكز هامه، بحيث يرون انفسهم لا غالب لهم، و لا شىء يقف في وجههم. ثم يعلون علوا كبيرا (و لتلاحظ هذه الجمله بدقه ايضا).

٢- أن يبعث الله عليهم عبادا له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، و يدخلون المسجد. (و التعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلا فيها)؛ لأن الجوس هو الوطاء الخفيف، و هو وطأ خلال الديار او فيما بينها من دون ثبات و تحكم فيها نفسها أو لعله إشاره إلى الدخول السرى للمجاهدين.

٣- ثم يمد الله بنى اسرائيل بأموال و بنين، و يصير جيشهم أعظم، و يردّ لهم الكره على السابقين.

٤- ثم يعود أولئك المؤمنون لإحتلال بلاد الاسرائيليين، و يدخلون المسجد من جديد، و يسوؤون وجوههم إلخ.

كل ذلك سوف يحصل في المستقبل، حسبما تفيد الآيات الكريمه، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلك شىء في الماضى.

و يبقى ان نشير الى المؤيدات التاليه:

القميون يقاتلون الاسرائيليين:

و يؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسى عن كتاب تاريخ قم، تأليف:

الحسن بن محمد بن الحسن القمى:

(روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا؛ إذ قرأ هذه الآية: حتى (١) إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا، أولى بأس شديد؛ فجاسوا خلال الديار، و كان وعدا مفعولا.

فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟

فقال- ثلاث مرات- هم و الله أهل قم). (٢)

و لقد قال هذا (عليه السلام) قبل ان تخلق اسرائيل باكثر من اثني عشر قرنا، و في حين لم يكن لليهود أية قوه في منطقته بيت المقدس.

و قوله (عليه السلام) هذا يعنى: أن أهل قم باعتبارهم مسلمين، او قاده للمسلمين هم الذين سوف يقودون الحرب ضد بنى اسرائيل فى المره الأولى. و هم المعنيون بقوله: عبادا لنا و باقى الحديث يفهم من الآيات الكريمة؛ حيث تعود لإسرائيل الكره عليهم بجيش أعظم. ثم يعود المسلمون بقياده أهل قم أو بقياده غيرهم (المهدى مثلا) ليسووا وجوه الإسرائيليين و ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مره.

الغرب و اسرائيل:

و ثمه روايه ضعيفه أيضا تقول: (و تشب نار بالحطب الجزل من غربى الارض، رافعه ذيلها، تدعو يا ويلها لرحله و مثلها؛ فإذا استدار الفلك، قلت مات أو هلك بأى واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: (ثم رددنا لكم الكره عليهم، و امددناكم بأموال و بنين، و جعلناكم اكثر نفيرا). (٣)

١- الموجود فى القرآن: (فإذا) فلعل كلمه (حتى) من كلام الراوى.

٢- البحار ج ٦٠ ص ٢١٦.

٣- البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ / ٢٧٣. و راجع ج ٥١ ص ٥٧.

فهذه الروايه تشير الى أن المره الثالثه و هى علو الإسرائيليين و كرتهم على (عبادا لنا) لسوف تكون بمعونه غريبه، تمدهم بالمال و الجيوش حتى يصبحوا اكثر نفيرا و جندا. و لسوف تكون حربا ضروسا و قاسيه، كما يفهم من لحن الروايه المشار اليها، لوصحت.

الحروب الطويله و الصعبه:

و هذه دوله الاسلام قد ظهرت، و هى بقياده أهل قم، و لكنها تواجه الحروب المدمره، و المؤامرات الصعبه من قبل قوى الاستكبار العالمى.

و قد جاء فى الروايه المرويّه عن: على بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبى الحسن الأول (عليه السلام)، أنه قال:

(رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، و لا يملون من الحرب، و لا يجبنون، و على الله يتوكلون، و العاقبه للمتقين). (١)

و لربما يمكن أن نستفيد من قوله: (لا- تزلهم الرياح العواصف): أن دوله الاسلام هذه سوف تواجه مشكلات صعبه، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

و من قوله: (لا يملون من الحرب): أنهم سوف يواجهون حروبا طويله، يمل منها الانسان العادى. و لكنهم سوف يصمدون، و فى النهايه سوف ينتصرون إن شاء الله، و ذلك لقوله: (و العاقبه للمتقين).

١- البحار ج ٦٠ ص ٢١٦. و يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هذا النص و بين ما فى الترجمة الفارسيه لكتاب تاريخ قم. فلعل المترجم قد تصرف فى العبارة. و لعل نسخه المجلسى تختلف عن النسخه المتداوله لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلك.

الفلسطينيون و الأرض:

و بعد كل ما تقدم، فاننا لا بد أن نشير هنا إلى أن الفلسطينيين قد هبوا للدفاع عن شرفهم و كرامتهم، و تحرير أرضهم، و الدفاع عن دينهم و اسلامهم.

و إننا فى نفس الوقت الذى نحى فيه الشعب الفلسطينى المسلم، و نحى المقاتلين الشرفاء و الغيارى من هذا الشعب الأبي.

فاننا نجد بعض المنظمات، التى لا تمثل الشعب الفلسطينى، و لا اكثره المناضلين من أجل حقهم و وطنهم، قد اعرضت عن هذا الاسلام العظيم، و لم تتخذه عقيدة و منطلقا لها، بل هى لا تعرف منه الا اسمه، بل هى تحاول الابتعاد عنه، و التبرى منه، و تعتبره رجعيًا و متأخرا. و ذلك لأنها تسعى وراء الحصول على مكاسب دنيويه، ماديه. بل لقد اتخذت الماركسيه و غيرها مذهبًا و عقيدة لها؛ فبئس للظالمين بدلا.

و الأنكى من ذلك و الأشد مراره: أننا نشهد من هذه المنظمات محاولات جاده لاجهاض الثورة الاسلاميه الفلسطينيه، و تضييع ثمره جهودها و جهادها. فقاتل الله الخونه الافاكين أنى يؤفكون.

و لكن شذوذ هؤلاء و انحرافهم لا يعنى أنه يجب تشويه صورته الفلسطينيين جميعا فى أذهان الشعوب المسلمه المؤمنه؛ فان ذلك سوف يكون ظلما آخر لهذا الشعب، كما أنه سوف يحرم القضية من قوه دافعه لها أهميتها. و ذلك لأن أيه قضيه إذا أفرغت من محتواها الانسانى؛ فانها تفقد زخمها و قوتها، و دافعها العاطفى و ذلك لأن هذا الانسان العادى ربما يخطر له: انه لماذا يقاتل و يضحى، ما دام أن الارض يمكن أن تباع و تشتري، و يقايض عليها، و الانسان وحده هو الاعلى و الأعلى؛ فلماذا إذن تزهق النفوس و الارواح فى سبيل قطعه من الأرض، ما دام يمكن

الاستعاضه عنها بثمانها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان و مواهبه و طاقاته لما هو أهم، و نفعه أعم.

و حتى المسجد أيضا، فليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، و لن يمانع الاسرائيليون فى وصول المسلمين إلى مسجدهم فى كل حين، و ممارسه عباداتهم فيه بحريه، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظله الامم المتحده.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا فى ذهن الانسان العادى. و لربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضيه، فيما إذا فصل الجانب الإنسانى و العاطفى و الاسلامى عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها. و هناك الكارثه الحقيقيه و الخيانه و الجريمه الكبرى.

إذن، فلا بد و أن تبقى المآسى و المظالم التى تعرّض و يتعرض لها الشعب الفلسطينى ماثله للعيان أمام المقاتل المسلم و المؤمن بعداله قضيته، ليندفع إلى التضحيه و الفداء فى سبيل قضيته المقدسه، بروح رضيه، و نفس أبيه، و ليمتج من ثم. الوعى بالعاطفه، و كلاهما بالايمان.

مع التأكيد على أنه ليس للمسؤولين و السياسيين أن يربطوا مصيرهم و مصير أمتهم بأولئك المنحرفين، و لا أن يثقوا بهم، لأن أولئك المنحرفين سوف يدفعونهم فى النهايه ثمنا لمصالحهم، و يساومون عليهم و بهم

ص: ٥٤

الباب الثاني: حتى وفاه أبي طالب

إشارة

ص: ٥٦

الفصل الأول: حتى الهجره الى الحبشه

اشاره

أهداف الإسلام:

إن من الواضح: أن أهداف الإسلام القصوى ليست هي مجرد تحقيق العدل، و لو بمفهومه الأوسع، إذ لو كان كذلك لم يبق معنى للأوامر الداعية إلى الجهاد و التضحية بالنفوس في سبيل الله و المستضعفين، إذ لماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه و عن حياته في حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياه، و بمباهجها و لذائدها؟!.

كما أنه لو كان العدل هو الهدف فلا يبقى معنى لمحبوبيه الإيثار على النفس و مطلوبيته له تعالى. ثم مدح من يفعل ذلك من الناس كما في قوله تعالى:

وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (١).

كما أنه لا معنى لنهى الإنسان عن الحقد و الحسد، و غير ذلك مما لا يمكن تتبعه و اسقضاؤه.

فإن ذلك كله و سواه ليدل على أن الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، و إنما هو فوق، و أهم، و أقدس من ذلك.

إنه تجسيد إنسانيه الإنسان، و إظهار كنوزها، و الإرتفاع بهذا الإنسان إلى مستوى الجداره الحقيقيه لأن يمثل النموذج الذى يريده الله للإنسان

الكامل، و ليس العدل و سواه من كمالات و فضائل، إلا واحدا من تلك المراحل و الوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس و الأسمى، الذى يستبطن فى داخله: كل العدل، و كل الكمالات و كل الفضائل، و أخيرا كل السعاده، و الفوز و النجاح.

هذا هو هدف الإسلام، و هذا ما يسعى إليه، و يعمل من أجل الوصول و الحصول عليه.

و ليس أدل على ذلك من الآيه الكريمة التى تحدد مهمه النبى الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمة، و يطهرهم، و يزكّيهم، بالإضافة إلى تبليغ رساله الله لهم، قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ، وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١).

و ليلاحظ: أيضا قوله تعالى: مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ، وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ. وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢).

و من يراجع الآيات القرآنيه يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة، حتى إن ذلك لا يحتاج إلى أى بيان أو توضيح، و لا إلى المزيد من الدلالات و الشواهد.

الحاجه إلى الوزير و الوصى:

و بعد أن عرفنا حقيقه هدف الإسلام، فإننا نعرف: أن مهمته شاقه و عسيره جدا لأنها تصطدم أولا و بالذات بالإنسان الفرد، حيث لا بدّ له من السيطرة على غرائزه و شهواته و طموحاته، ليوجهها و يستفيد منها فى مجال بناء الشخصيه الإنسانيه المثاليه و الفضلى.

كما أنها تهدف إلى التغيير الجذرى فى البنيه الإجتماعيه و السياسيه

١- سورة الجمعة / ٢.

٢- سورة المائده / ٦.

و غيرها للمجتمع، ليقنلج كل جذور الشر، و يستأصل كل عوامل الإنحراف؛ ليغرس عوضا عنها كل معانى الخير و الصلاح، و البركه و الفلاح.

نعم، إنها مهمه شاقه و عسيره جدا، و لا أشق و لا أعسر منها، و هى تحتاج لإنجازها ثم إلى استمرارها إلى جهد هائل و مستمر، ما دام أن الإنسان يحمل فى داخله عوامل التغيير و التحول، التى منحه الله إياها لتكون عوامل لبقائه و سعادته و لراحته، و أعطاه أيضا وسائل ضبطها و الهيمنه عليها و توجيهها.

و لكن تلك الوسائل كثيرا ما تضعف عن السيطرة على تلك العوامل. و لسوف يبقى هذا الخطر قائما، ما دام ذلك الصراع قائما. و إذا كان الصراع مستمرا باستمرار وجود الإنسان على مدى الزمان، و كان خطر الشذوذ و الإنحراف مستمرا أيضا: فإن الأنبياء سيكونون بحاجة إلى مواصلة القيام بمهمه التربه و التزكيه، و غرس الفضائل الإنسانيه و الأخلاقيه فى نفوس الناس، بالإضافة إلى الإستمرار فى تلاوه الآيات القاهره للعقل؛ و المرضيه للوجدان، و بالإضافة إلى تعليم الشريعة و الاحكام، ثم الإشراف على تطبيقها، و الرقابه المستمره على ذلك.

و من هنا تبرز الحاجه إلى الوزير و الوصى، و النصير و الأخ و الولي، و الخليفه للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، فجاء تنصيب على (عليه السلام) من قبل الرسول الأكرم صلوات الله عليه و آله هو الحركه السليمه و الطبيعيه فى خط الجهاد و الدعوه إلى الله سبحانه.

و ما يوم الدار، و ما جرى من تنصيب على (عليه السلام) فيه خليفه و وزيرا و وصيا للرسول إلا واحدا من تلك المناسبات الكثيره التى جرى فيها التأكيد على هذا الأمر، و ترسيخه بصورة قويه و حاسمه. فإلى حديث الدار فى ما يلي من مطالب.

و أنذر عشيرتک الأقربین:

إنه بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة و خطيره و صعبه، هي مرحلة الدعوه العلنيه إلى الله تعالى.

و قد بدأت أولا- على نطاق ضيق نسبيا، حيث نزل عليه صلى الله عليه و آله قوله تعالى: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١)** فيقول المؤرخون، (و النص للطبرى)، ما ملخصه:

أنه لما نزلت هذه الآيه دعا عليا (عليه السلام)؛ فأمره أن يصنع طعاما، و يدعو له بنى عبد المطلب ليكلّمهم، و يبلغهم ما أمر به.

فصنع على عليه السلام صاعا من طعام، و جعل عليه رجل شاه، و ملأ عسّا من لبن، ثم دعاهم، و هم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، و حمزه و العباس، و أبو لهب.

فأكلوا

قال على (عليه السلام): فأكل القوم، حتى مالهم بشىء من حاجه، و ما أرى إلا موضع أيديهم، و أيم الله الذى نفس على بيده، و إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجتتهم بذلك العس؛ فشرّبوا منه حتى رووا منه جميعا، و أيم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يكلمهم بדרه أبو لهب فقال: لقدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، و لم يكلمهم الرسول صلى الله عليه و آله.

فأمر (صلى الله عليه و آله و سلم) عليا فى اليوم الثانى: أن يفعل كما فعل آنفا، و بعد أن أكلوا و شربوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): يا بنى عبد المطلب، إنى و الله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه

بأفضل مما قد جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة. و قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، و وصيي، و خليفتي فيكم.

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، و قال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال:

إن هذا أخي، و وصيي، و خليفتي فيكم؛ فاسمعوا له و أطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.

و في بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي (عليه السلام) فأجاب، أجلسه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

ثم أعاد الكلام، فأجابه علي، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، و أجاب علي (عليه السلام)، فقال له (صلى الله عليه و آله و سلم) ذلك.

و علي حسب نص الإسكافي: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال:

هذا أخي، و وصيي، و خليفتي من بعدي. و أنهم قالوا لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمره عليك (١).

١- راجع هذه القضية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣، و مختصر تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٤ ط دار الفكر بيروت و شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٢ و ٤٢١ و كنز العمال الطبعة الثانية ج ١٥ ص ١١٧/١٦ و ١١٣ و ١٣٠ عن ابن اسحاق، و ابن جرير، و صححه و أحمد، و ابن ابي حاتم، و ابن مردويه، و أبي نعيم، و البيهقي معافي الدلائل، و تاريخ ابن عساكر، ترجمه الامام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٧ و ٨٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ عن الاسكافي، و حياه محمد لهيكل الطبعة الأولى ص ٢٨٦. و مسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ و راجع أيضا المصادر التالية: كفايه الطالب ص ٢٠٥ عن الثعلبي و منهاج السنه ج ٤ ص ٨٠ عن البغوي و ابن ابي حاتم و الواحدي و الثعلبي و ابن جرير، و مسند أحمد ج ١ ص ١١١، و فرائد

التعصب الأعمى:

و لا بد أن نشير هنا: إلى أن الطبرى، قد ذكر هذا الحديث فى تاريخه على النحو المتقدم. و لكنه ندم على ذلك- على ما يظهر- فذكر نفس هذا الحديث فى تفسيره برّمته حرفيا، متنا و سندا، و لكنه غيّر فيه عبارته واحده، فذكرها على النحو التالى:

(فأىكم يوازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى، و كذا و كذا.

إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخى و كذا و كذا [\(١\)](#)!!

و قد تبعه على هذا ابن كثير الشامى أيضا؛ فلم تسمح نفسه بذكر ما فى تاريخ الطبرى. بل نقل خصوص ما فى التفسير، مع أن تاريخ الطبرى هو مصدره و معتمده فى تاريخه [\(٢\)](#)!!

كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر فى كتابه حياه محمد، فى الطبعة الأولى ص ١٠٤ نص الطبرى فى التاريخ. عاد فحذف من الطبعة

١- راجع تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٧٥.

٢- راجع: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٤٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩.

الثانيه ص ١٣٩ ط سنه ١٣٥٤ هـ. قوله: (و خليفتي فيكم) و اقتصر على قوله: (و يكون أخي و وصيي) و ذلك لقاء خمسماه جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخه من كتابه (١).

ابن تيميه، و حديث الدار:

أما ابن تيميه، فقد انكر - على عاداته - في إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين (عليه السلام) - حديث الدار، و أورد عليه بما ملخصه:

أولاً: إن في سند روايه الطبري أبو مريم الكوفي، و هو مجمع على تركه، و قال أحمد: ليس بثقه، و اتهمه ابن المديني بوضع الحديث الخ.

و ثانياً: تنص الروايه على أنه قد جمع بنى عبد المطلب و هم أربعون رجلاً.

و من الواضح: أنه حين نزول الآيه لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثره.

و ثالثاً: قول الروايه إن الرجل منهم لياًكل الجذعه، و يشرب الفرق من اللبن، كذب، إذ ليس في بنى هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعا، و يشرب فرقا.

و رابعاً: إن مجرد الإجابه للمعاونه على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصيا و خليفه بعده صلى الله عليه و آله؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، و أعانوه على هذا الأمر، و بذلوا أنفسهم و أموالهم في سبيله. كما أنه لو أجابه الأربعون؛ أو جماعه منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفه له؟

و خامساً: إن حمزه، و جعفر، و عبيده بن الحرث قد أجابوا إلى ما

١- راجع: فلسفه التوحيد و الولايه ص ١٧٩ و ١٣٢ و سيره المصطفى ص ١٣١ و ١٣٠.

أجاب إليه على، بل حمزه أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا (١).

الرد على ابن تيمية:

و لكن كل ما ذكره ابن تيمية لا يصح، ولا يلتفت إليه، و ذلك لما يلي:

ألف- فأما بالنسبة لما ذكره أولا عن أبي مریم، فقد قال ابن عدی:

سمعت ابن عقده يثنى على أبي مریم و يطريه، و تجاوز الحد في مدحه (٢) و أثنى عليه شعبه (٣).

و قال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم و بالرجال (٤).

و عدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، و هو كونه شيعيا.

و نحن نرى أن ذلك لا يضره؛ فقد روى أصحاب الصحاح، و لا سيما البخاري و مسلم عن عشرات الشيعة (٥).

و مع غض النظر عن ذلك؛ فإن المتقي الهندي قد نقل عن الطبري:

أنه قد صحح هذا الحديث (٥).

كما و صححه الإسكافي المعتزلي (٦) و صححه أيضا: الخفاجي في شرح الشفاء (٧).

و قد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، و هم:

١- منهاج السنه ج ٤ ص ٨١-٨٣.

٢- راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠، و لسان الميزان ج ٤ ص ٤٣.

٣- لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

٤- و (٥) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٣١ و ٦٤٠، و لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.

٥- كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣.

٦- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤.

٧- راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨.

شريك، و الأعمش، و المنهال، و عباد، و على (عليه السلام) (١).

و لو سلم كل ذلك؛ فإن طرق الحديث مستفيضه، يقوى بعضها بعضاً؛ فلا يضر ضعف بعض الرجال فى بعض الأسانيد.

و أعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضيه الخلافه بعده صلى الله عليه و آله مذكوره فى المسانيد، فإن من راجع المصادر التى ذكرناها للحديث آنفاً؛ يعرف أنها موجوده فى عشرات المصادر و المسانيد.

و أما الطعن فى روايه ابن أبى حاتم باشمال سندها على عبد الله بن عبد القدوس. و قد ضعفه الدارقطنى، و قال النسائى: ليس بثقه. و قال ابن معين: ليس بشىء، رافضى خبيث.

أما هذا- فقد قال الشيخ المظفر: (رحمه الله) تعالى فى جوابه:

(و فيه: أن تضعيفهم معارض بما فى تقريب ابن حجر: أنه صدوق.

و فى تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقه.

و ذكره ابن حبان فى الثقات.

و قال البخارى: هو فى الأصل صدوق، إلا أنه يروى عن أقوام ضعاف. مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذى.

و مدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبره فى قدح أحد المتخالفين فى الدين فى الآخر، و يقبل مدحه فيه. و هم قذوفه بذلك؛ لأنهم رموه بالتشيع، و لا نعرفه فى رجالهم.

لكن قد ذكر ابن عدى: أن عامه ما يرويه فى فضائل أهل البيت.

و لعل هذا هو سر تهمتهم له (٢).

١- راجع: المصدر السابق، و مسند أحمد ج ١ ص ١١١.

٢- دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٤.

٢- و أما ذكره ابن تيميه ثانيا: فإن الظاهر هو أن كلمه (عبد) زياده من الرواه، بدليل: أن عددا من الروايات يصرح بأنه قد دعا بنى هاشم (١) و جاء فى روايات أخرى: انه دعا بنى عبد المطلب، و نفرا من بنى المطلب (٢) فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى و أضاف كلمه (عبد)، و هذا كثير. و عليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعه المتفق عليها إجمالا.

كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشره، و كان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاما؛ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلا، بل اكثر من ذلك بكثير، و ما وجه الإستبعاد لذلك؟

٣- و أما ما ذكره ثالثا: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معرفتهم بالأكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلمهم كذلك فى الواقع.

و لو سلم؛ فإنه يلزم منه مبالغه الراوى فى إظهار معجزه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى إطعامهم رجل الشاه، و عسّ اللبن الواحد (٣).

٤- و أما ما ذكره ابن تيميه رابعا: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس عله تامه للخلافه، و لم يدع ذلك النبى صلى الله عليه و آله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره الله بإنذار عشيرته؛

١- كما فى السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩ عن ابن أبى حاتم و كذا فى البدايه و النهايه ج ٣ ص ٤٠، راجع كتر العمال ج ١٥ ص ١١٣، و مسند أحمد ج ١ ص ١١١ و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ و ابن عساكر ترجمه الامام على بتحقيق المحمودى ج ١ ص ٨٧، و اثبات الوصيه للمسعودى ص ١١٥، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٧، و مسند البزار مخطوط فى مكتبه مراد رقم ٥٧٨.

٢- الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ ط صادر.

٣- دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٥.

لأنهم أولى بالدفع عنه و نصره؛ فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، و ليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلی (عليه السلام) لأن الله و رسوله يعلمان:

أنه لا يجب النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و يوازره غير علی (عليه السلام)؛ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، بإقامه الحجة عليهم. و مع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم (١).

و قد أوضح ذلك المحقق البحاثه السيد مهدي الروحاني: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبي صلى الله عليه و آله كان يعلم من خلقهم و علاقاتهم، و طبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا علی (عليه السلام)، هذا بالإضافة إلى إعلام الله له بذلك.

و نقول نحن: و يؤيد ذلك النص الذي سوف يأتي نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: (ماذا قال النبي صلى الله عليه و آله يوم الانذار). و قد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، و قد جاء فيه: (إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله، و قد جعل لي وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلي .. إلى أن قال: و قد والله أنبأني به، و سماه لي، و لكن أمرني أن أدعوكم و أنصح لكم، و أعرض عليكم لثلاث تكون لكم الحجة فيما بعد) (٢).

و احتمال صديقنا المحقق الروحاني: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، و لذا قال لهم: أيكم يؤازرنى الخ .. فالمجيب أولا هو الذى يستحق ما وعد به (صلى الله عليه و آله و سلم)، و إجابته أكثر من واحد بعيدة الوقوع جدا، و لا يعتنى باحتمالها عرفا. لا سيما و أن الذى يضرّ هو التقارن فى الإجابة، و ذلك أبعد و أبعد. هذا مع علمه صلى الله عليه و آله بأنه لا يجب سوى واحد منهم.

١- دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٦.

٢- البحار ج ١٨ ص ٢١٥/٢١٦، عن: سعد السعود ص ١٠٦.

و لكن قد ذكر بعض الأعلام: أن كون المراد هو المؤازره فى الجملة بعيد؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه فى الجملة.

فالمراد هو المؤازره فى جميع الامور و الاحوال. و المؤازره الكامله فى الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعى، و العلم، و السمو الروحى إلى درجه العصمه. الأمر الذى يعنى: أن شخصا كهذا هو الذى يستحق الإمامه، و لا يستحقها سواه؛ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). و ليس ذلك سوى على (عليه السلام).

أضف إلى ذلك: أن إمامه و خلافه على (عليه السلام)، إنما هى بجعل من الله سبحانه و تعالى، لا بجعل من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لتترتب على المؤازره المنشوده، و المرغّب بها، مع علم النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بعدم إجابته غير على (عليه السلام)، فيكون ما جرى فى يوم الإنذار لأجل إقامه الحجّه، و قطع كل عذر. فكلام المظفر هو الأولى و الأقرب انتهى.

و أما ما ذكره ابن تيميه خامسا، و أخيرا فهو لا يصح أيضا بأى وجه:

أولا: لأن وجود حمزه إنما يضر، لو كان قد أسلم قبل نزول آيه الانذار، و نحن لم نستطع: أن نحتمل ذلك، فضلا عن أن نجزم به؛ إذ من القريب جدا، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد فى كيفية إسلام حمزه: أن يكون إسلامه بعد الإعلان بالدعوه، و بعد وقوع المواجهه بين النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و قريش، و بعد مفاوضاتها لأبى طالب.

و ثانيا: لو سلم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوه السريه، و قبل إسلام حمزه، حتى لو كان قد أسلم فى الثانيه من البعته، و يكون ما جرى بين حمزه و أبى جهل، بمثابة إعلان جزئى للدعوه. و تكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى فى الدعوه السريه، و أما بالنسبه لسائر من أسلم فقد كان ثمه محدوديه فى

التعامل معهم، و سرّيه بالنسبه لمن يدخل فى الإسلام منهم. و يدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: (فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) كان هو السبب فى إخراج الدعوه من السر إلى العلن. و لا ريب أن إنذار العشيره كان قبل ذلك.

و ثالثا: إن وجود حمزه، إن كان قد أسلم آنئذ، كوجود أبى طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوه. و لا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أبعد احتمالا؛ فإن سنّ حمزه كان يقارب سن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، كما يدعون، و لكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بأكثر من عشرين سنه، لأنه كان أكبر من عبد الله، والد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و الذى كان أصغر أولاد عبد المطلب.

و هكذا يقال بالنسبه للعباس أيضا.

و أما ابو طالب؛ فإنه كان شيخا هرما لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه و آله، فلا معنى لأن يقدم أى منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذ.

و هكذا يتضح: أن جميع ما جاء به ابن تيميه إنما كان كسراب بقيعه، أو كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

نقاط هامه فى حديث الإنذار

الف- روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، و قد حاول ابن تيميه أن يقوى جانب روايات أخرى تبعد عليا و أهل البيت عن الأنظار، بل و تستبعد الهاشميين منه عموما أيضا كتلك الروايات التى فى الصحيحين، و التى تقول: إنه (صلى الله عليه و آله

و سلم) جمع قريشا- حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فاجتمعوا، فخصّ و عمّ، فقال: يا بني كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مره بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمه بنت محمد أنقذى نفسك من النار الخ (١).

و فى روايه أخرى: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) جمع بنى هاشم و أجلسهم على الباب، و جمع نساءه فأجلسهم فى البيت. ثم كلّم بنى هاشم، و بعد ذلك أقبل على أهل بيته؛ فقال: يا عائشه بنت أبى بكر، و يا حفصه بنت عمر، و يا أم سلمه، و يا فاطمه بنت محمد، و يا أم الزبير عمه رسول الله، اشترىوا أنفسكم فى الله، و اسعوا فى فكاك رقابكم؛ فانى لا أملك لكم من الله شيئا، و لا أغنى؛ فبكت عائشه و قالت .. ثم تذكر الروايه محاوره لها معه (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

و ثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشا و إنذاره لها.

و هذه الروايات لا يمكن أن تصح.

فأولا: لقد تقدم: أن فاطمه صلوات الله و سلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

١- راجع: منهاج السنه ج ٤ ص ٨٣، و الدر المنثور ج ٥ ص ٩٥ و ٩٦ عن: أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه و البيهقى عن عائشه، و أنس، و عروه بن الزبير، و البراء، و قتاده، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

٢- الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ عن: الطبرانى، و ابن مردويه، عن أبى أمامه، و هذه الروايات موجوده فى مصادر كثيره أخرى و لا سيما تلك التى ذكرناها فى أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول.

و ثانيا: إن عائشه (١) و حفصه، و أم سلمه لم يكن من أزواجه حينئذ، و لا-كن من أهله، و إنما صرن من أهله في المدينه بعد ذلك بسنين كثيره .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ٧١ الف - روايات لا يمكن أن تصح: ص : ٦٩
و ثالثا: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) إنما دعا قريشا و بادءها حين نزل قوله تعالى:
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ.

و ليس حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.

و رابعا: ان هذه الروايات تناقض نص الآيه نفسها، فانها تأمره بانذار العشيره الأقربين، لا مطلق عشيرته، و لا مطلق الناس، و عشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، و المطلب.

و القول بتعدد الإنذار: لا يدفع الإشكال، بعد تصريح الروايات:

بأن مفادها قد وقع حين نزول الآيه عليه (صلى الله عليه و آله و سلم).

و هذا كله مع غض النظر عما فى أسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواياتها- كما يقولون- لم يدر كوا زمان إنذار عشيرته (صلى الله عليه و آله و سلم).

ب- ما المراد بكونه خليفته فى أهله:

و قد ذكر الشيخ المظفر (ره): أن من الواضح: أن قوله: خليفتى فيكم، أو فى أهلى لا يضر، ما دام أن ثمه إجماعا على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، و عام. فخلافته الخاصه تقتضى خلافته المطلقه. و لعل الأصح هو: أنه قال- كما فى الروايات الأخرى:- (من بعدى)، أو أنه قال: (فيكم)، باعتبار أنهم من المسلمين.

١- و الغريب فى الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشه إنما ولدت فى الخامسة من البعته، و الانذار للعشيره كان فى الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضه صريحه، و إن كنا نحن نعتقد: أن عائشه قد ولدت قبل البعته بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

و أما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؛ فيكذبه الواقع؛ فإن عليا (عليه السلام) لم يكن كذلك بالنسبة لأى من الهاشميين. و لو كان المقصود هو خصوص الحسين عليهما السلام، و فاطمه صلوات الله و سلامه عليها، فإن من الواضح أنهما و كذلك أمهما ما كانوا قد ولدوا بعد. كما أن نفقه هؤلاء واجبه عليه بالأصالة لا بالخلافه، و أما غيرهم فلم يكن (عليه السلام) مكلفا بالإنفاق عليه، و لا كان يفعل ذلك (١).

أضف إلى ذلك كله: أنه بعد أن يصبح الإنسان رجلا عاقلا و كاملا، فإنه لا يبقى بحاجة إلى وليّ يدبّر شؤونه، بل يستقل هو نفسه فى ذلك.

و على هذا، فلا يبقى للولى و للخليفه معنى. إذا كان هذا هو المراد.

و نشير هنا إلى أن الدواعى كانت متوفره لتحريف هذه الوقعه، و جعلها خاصه بالخلافه على الأهل، و لا تشمل الخلافه العامه التى هى موضع الأخذ و الرد كما هو معلوم.

ج- لماذا تخصيص العشيره بالدعوه!؟

هذا و لا يخفى أن الإهتمام بدعوه عشيرته الأقربين كان خيرا و سيله لتثبيت دعائم دعوته، و نشر رسالته؛ لأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله و قومه، اتجه إلى غيرهم بقدوم ثابتته، و عزم راسخ و مطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصه لاكتشاف عوامل الضعف و القوه فى البنيه الداخليه، من حيث ارتباطاته و علاقته الطبيعیه، و ليعرف مقدار الدعم الذى سوف يلاقیه؛ فيقدر مواقفه، و إقدامه، و إحجامه على أساسه.

أضف إلى ذلك: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، ولا يبدو أنه على استعداد لتقديم أى تنازل أو مساومه حتى بالنسبه إلى هؤلاء، فإن معنى ذلك هو أن على الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، ومقتنع بصحة ما جاء به، ويريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا في طليعه المؤمنين الذين يضحون بكل غال ونفيس في سبيل هذا الدين. وقد رأينا: أن النصارى قد تنبهوا إلى ذلك في قضيه المباهله.

فراجع.

و من الجبهه الأخرى: فإنه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبليّ؛- فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسيه و مصيريه- و حين لا يكون هو نفسه يرضى بالإعتماد على القبليه كعنصر فعال في حمايه مواقفه، و تحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوى قرباه موقفا صريحا، و يضعهم في الصوره الواضحه؛ و أن يهوى لهم الفرصه ليحددوا مسؤولياتهم، بحريه، و صراحه، و صفاء، بعيدا عن أى ضغط، و ابتزاز و لو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي في ما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلاميا.

و هنا تبرز واقعيه الإسلام في تعامله مع الأمور، و في معالجته للقضايا، الإسلام الذى لا يرضى أن يستغل جهل الناس و بساطتهم، و حتى أعرفهم- الخاطئه- التى ارتضوها لأنفسهم في سبيل منافعهم، و تحقيق أهدافهم.

نعم، إن الإسلام يعتبر الوسيله جزآ من الهدف، فلا بد أن تنسجم و تتلاءم معه- كما لا بد أن تنال من الطهر و القداسه بالمقدار الذى يناله الهدف نفسه.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، و الإلتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، و أكرم مسؤول.

و على كل حال، فقد خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك الاجتماع بوعد أكيد من شيخ الأبطح، أبي طالب (ره) بالنصر والعون؛ فإنه لما رأى موقف أبي لهب اللانسانى، واللامعقول، قال له:

(يا عوره، والله لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أختى، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح (١)).

د- على «عليه السلام» فى يوم الإنذار:

و نجد فى يوم الإنذار: أن إختيار النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يقع على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليكون المضيف لجماعه يناهز عددها الأربعين رجلا، فيأمره بأن يصنع طعاما، و يدعوهم إليه و الظاهر:

أن ذلك قد كان فى بيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، لأن عليا (عليه السلام) كان عند رسول الله صلوات الله عليه وآله فى بيته على ما يظهر- وقد كان بإمكانه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطلب من خديجه أن تصنع لهم الطعام. هذا، مع وجود آخرين، أكثر و جاهه و معروفه من على (عليه السلام)، كأبى طالب، و كجعفر، الذى كان يكبر عليا فى العمر، و غيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه و شخصيته فى التأثير على الحاضرين.

و لكنه قد اختار عليا بالذات ليتفادى أى إحراج يبعد القضييه عن مجالها الطبيعى، الذى يتركز على القناعه الفكرية و الوجدانية بالدرجه الأولى، و لأن عليا- و إن كان حينئذ صغير السن، إلا أنه كان فى الواقع كبيرا فى عقله، و فى فضائله و ملكاته، كبيرا فى روحه و نفسه، كبيرا فى آماله و أهدافه.- و لا- أدل على ذلك من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره و يعاونه على هذا الأمر. و قد رآه النبى (صلى الله

عليه وآله وسلم) منذئذ أهلاً لأن يكون أخاه، ووصيه، و خليفته من بعده.

و هي الدرجه التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل و حتى عن أن يدخل في وهمها: أن تصل و لو في يوم ما إليها، و تحصل عليها.

و لكن عليا كان منذ نعومه أظفاره هو السباق إليها دون كل أحد؛ لأنه عاش في كنف الرسول، و كان (صلى الله عليه وآله وسلم) كفيله و مربيه، و كان يبرد له الطعام، و يشمه عرفه، و كان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، و كان كأنه ولده (١). و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم.

هـ- موقف أبي لهب:

و لقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوه، و رأى أن الأمر قد بلغ مرحله الجد. و ها هو يرى بأم عينيه معجزه أخرى، تضاف إلى الكثير مما رآه من معجز و كرامات للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، طيله السنوات الكثيره التي عرف فيها النبي و أحواله- فيرى أن فخذ شاه، و عسا من لبن، يكفي أربعين رجلاً.

و أبو لهب هو ذلك الرجل الذي يعرف طبيعه و أهداف هذا الدين الذي يبشر فيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). و أنه لا يقيم وزناً لأي امتياز أو مكسب شخصي حصل عليه الإنسان من طريق الإبتزاز و الظلم، و سائر أنواع التعدي و الإنحراف. إذن، فلا بد لأبي لهب، بحسب منطقته

١- و ليس في كفالته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعل غضاظه على أبي طالب شيخ الأبطح- كما يقول البعض- لأن عبد الله و أبا طالب كانا من أم واحده بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، و قد ربي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجر أبي طالب و كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب فاطمه بنت أسد بيا أماه، و كانت عناية أبي طالب و زوجته به (صلى الله عليه وآله وسلم) فائقه جداً. و كان علي (عليه السلام) كأنه ابن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع ملاحظه التفاوت في السن فيما بينهما.

اللامنطقي: أن يقف في وجه هذا الدين، و يمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيله ممكنه. و لا بد من تضييع الفرصه على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و ذلك حفاظا على ما يراه أنه مصلحته أولا، و ليرضى حقه و حسده الذى يعتمل فى صدره ثانيا؛ ذلك الحقد الذى لا مبرر له إلا أنه:

يرى فى شخصيه النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) الصفات الحميده، و الأخلاق الرضيه الكريمه، و السجايا الفاضله، فإن ذلك يعتبر عنده ذنبا، و أى ذنب.

فبادر إلى المواجهه الصريحه، و الوقحه و القبيحه، حيث استغل معجزه الطعام التى يراها الجميع بأمر أعينهم، فرمى النبي الأكرم بالسحر و قال: لقدما سحركم صاحبكم. فتفرق الجمع فى اليوم الأول، و لم يستطع الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يقول كلمته حتى اليوم التالي؛ حيث استطاع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يصدع بما أمره الله تعالى، و يقيم عليهم الحجه، كما تقدم بيانه.

و- الإنذار أولا:

و ما دنا فى الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؛ فإننا نسجل هنا:

أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أمر من قبل الله تعالى بالإنذار أولا لعشيرته، فقال تعالى: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١)**. و كذلك الحال بالنسبه لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما فى سوره المدثر، التى هى من العتائق النازله فى أوائل البعته: **قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)**.

فقد جاء الإنذار أولا، مع أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أرسل مبشرا و نذيرا، و مع أن القرآن هدى و بشرى أيضا.

١- الشعراء / ٢١٤.

٢- المدثر / ٢.

و سر ذلك واضح؛ فإن الناس كانوا فى أول البعثة كفارا، و منغمسين فى الظلم و الإنحراف إلى أبعد مدى. فلا بد من إنذارهم أولا؛ ليلتفتوا إلى الواقع السيئ الذى يعيشونه، و إلى العواقب المدمره و المرعبه، التى تنتظرهم نتيجة لذلك. و التفاتهم هذا لسوف يؤثر فيهم التطلع، ثم الحركه نحو الخروج من ذلك الواقع، و التخلص منه.

ثم يأتى بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسته، و من حركاته، و أعماله، و مواقفه السيئه، على مستوى الفرد، و على مستوى الجماعه، و تطهيره من كل غريب و مريض.

و معه جنبا إلى جنب تكون عمليه وضع الأسس المتينه و السليمه لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم فى عواطفه، و فى علاقاته، و فى روابطه.

و الأهم من ذلك؛ فى فكره و ثقافته، و إعطائه المفهوم الحقيقى و الواقعى عن الكون، و عن الحياه، و بالذات عن هذا الإنسان القوى الضعيف، و ليترد قدما فى عمليه بناء الإنسان من الداخل، و تربيته و تزييته، كما هو وظيفه النبى و الإمام، و كل داعيه إسلامى على الإطلاق.

و قد أشرنا فى أول هذا الفصل إلى هذا، مستفيدين من قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.

و هذا الذى ذكرناه عن أسلوب الإسلام فى دعوته، هو التحرك الطبيعى لأيه دعوه، تستهدف الإصلاح الجذرى، و التغلب على مشاكل الحياه. و التخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

ز – ماذا قال النبى «صلى الله عليه و آله و سلم» فى يوم الإنذار:

و قد جاء فى بعض النصوص أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال لهم: (يا بنى عبد المطلب، إنى لكم نذير من الله جل و عز، إنى أتيتكم

بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، و تفلحوا، و تنجحوا، إن هذه مائده أمرنى الله بها؛ فصنعتها لكم، كما صنع عيسى بن مريم (عليه السلام) لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك منكم، فإن الله يعذبه عذابا شديدا، لا يعذبه أحدا من العالمين، و اتقوا الله، و اسمعوا ما أقول لكم، و اعلموا يا بنى عبد المطلب: أن الله لم يبعث رسولا إلّا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله. و قد جعل لى وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلى، و إن الله قد أرسلنى إلى الناس كافة، و أنزل على:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ رَهْطَكَ الْمُخْلِصِينَ (١)، و قد و الله أنبأنى به، و سماه لى. و لكن أدعوكم، و أنصح لكم، و أعرض عليكم؛ لثلاث- يكون لكم الحجبه فيما بعد، و أنتم عشيرتى و خالص رهطى، فأيكم يسبق إليها على أن يؤاخينى فى الله، و يوازرنى)، إلى آخر كلامه (صلى الله عليه و آله و سلم)، الذى ينسجم مع النص الذى ذكرناه فى أوائل هذا الفصل فراجع (٢).

و هذا النص هو الأوفق و الأنسب لموقف كهذا، و هو ينسجم تماما مع أمر الآيه بالإندار، فإن الإندار أولا هو الخطوه الطبيعیه لآيه دعوه، كما ذكرنا آنفا.

ح- التبشير و الإندار:

و يقول المحقق البحاثه المرحوم الشيخ مرتضى المطهرى: إن من يريد إقناع إنسان ما بعمل ما، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، و بيان فوائد ذلك العمل. الثانى: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، و عواقب سيئه.

١- هذا توضيح منه (صلى الله عليه و آله) و تفسير للمراد من الآيه.

٢- البحار: ج ١٨ ص ٢١٥ / ٢١٦ عن سعد السعود لابن طاووس: ص ١٠٦.

و لذلك قيل: الإنذار سائق، و التبشير قائد.

و القرآن و الإسلام يرى: أن الإنسان يحتاج إلى هذين العنصرين معا، و ليس - كغيره - يكفيه أحدهما.

بل و يرى الإسلام: أنه لا بد و أن ترجح كفه التبشير على كفه الإنذار. و لذلك قَدّم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنيه.

و من هنا، فقد قال (صلى الله عليه و آله و سلم) لمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن: (يسّر و لا تعسر، و بَشِّر و لا تنفر).

فهو هنا لم يستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته. و إنما اهتم بجانب التبشير إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الإسلام و خصائصه الرائعه، و ليكون إسلامهم من ثم عن قناعه حقيقيه، و قبول تام.

و أما قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): و لا تنفر، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافه جدا، و تبادر إلى رده الفعل بسرعه، و من هنا فإننا نجد النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يأمر بالعباده ما دامت النفس مقبله، و لا يقبل بالضغط عليها، و تحميلها مالا تطيق. و لهذا شواهد كثيره في الشريعه السهله السمحاء (١).

و مما تقدم نستطيع أن ندرك: لماذا اشتملت دعوته (صلى الله عليه و آله و سلم) لعشيرته على التبشير أيضا؛ بأن من يؤازره سوف يكون خليفه بعده، و أنه قد جاءهم بخير الدنيا و الآخره، تماما كما بدأت بالإنذار، فإن ذلك ينسجم مع ما تشتاق إليه نفوسهم، و يتلاءم مع رغباتهم. و يأتي من قبل من لا يمكن اتهامه لديهم بأى وجه.

١- راجع: جريده جمهورى اسلامى الفارسىه رقم ٢٥٤ سنه ١٣٥٩ هـ. ش فى مقالات للمطهرى رحمه الله تعالى.

ط - أخى ووصي:

و يلفت نظرنا هنا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): على أن يكون أخى الخ. فإن ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم و المحبه بينه و بين ذلك الذى يؤازره و يعاونه، إلى حد أنه يعتبره أخا له، فليست العلاقه بينهما علاقه رئيس و مرؤوس، و أمر و مأمور، و لا عال بدان، و إنما هى علاقه بين متكافئين فى الإنسانيه، كما أنها علاقه تعاون و تعاضد على العمل البناء و المثمر، و علاقه أخ مع أخيه، تغمرها المحبه، و الثقه و الصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

أضف إلى ذلك، ما فى ذلك من دلالة على المستوى السامى الذى كان قد بلغه أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى يستحق و سام الأخوه فيما بينه و بين سيد البشر، من مضى منهم، و من غير.

فاصدع بما تؤمر:**اشاره**

و بعد أن أندر (صلى الله عليه وآله وسلم) عشيرته الأقربين. و بعد أن انتشر أمر نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مكه، بدأت قريش تتعرض لشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإستهزاء و السخرية، و أنواع التهم، كما يظهر؛ إذ أنهم قد عرفوا جديده القضيه، و أدركوا أبعادها. فبادروا إلى تلك الأساليب بهدف الحط منه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام الرأى العام، و ابتذال شخصيته. على الرغم من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يطلب منهم بعد أن يؤمنوا بما جاء به، كل ذلك حسدا و بغيا منهم، و تخوفا من المستقبل، ليس إلا.

و كان لذلك الإستهزاء تأثير على إقبال الناس على الدخول فى الإسلام؛ فاغتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك جدا، و اعتبر ذلك عائقا فى سبيل انتشار دعوته، و أداء مهمته؛ فأنزل الله عليه يأمره بإظهار

الدعوه، و الطلب حتى من قريش: أن تسلم لربها، مشفوعا ذلك بوعد أكيد. بأن الله سوف يكفيه المستهزئين؛ فيجب أن لا يهتم لهم، و أن يتجاهلهم.

و ذلك حين نزل قوله تعالى:

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١).

هذا إذا كان المقصود أنه سوف يكفيه أولئك الذين صدر منهم فعل الإستهزاء. أما إذا كان المراد: من سوف يصدر منهم هذا الأمر، فإن الآية لا تكون ناظره إلى ما سبق كما هو ظاهر لا يخفى.

و قد بين الله تعالى له: خطه العمل المستقبلي، فأمره أن يأخذ بالصفح الجميل، و بالإعراض عن المشركين، و أن لا يحزن عليهم، و لا يضيق صدره بما يقولون؛ فإن جزاءهم على الله المطلع على كل صغيره و كبيره.

فامتثل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أمر الله، و أظهر دعوته، و طلب من الناس جميعا: أن يسلموا لربهم.

و يقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهاده أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله، و أمركم بخلع الأنداد و الأصنام؛ فأجيبوني تملكون بها العرب، و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكا فى الجنة.

فاستهزؤا به، و قالوا: جنّ محمد بن عبد الله، و لم يجسروا عليه لموضع أبى طالب (٢).

١- الحجر / ٩٤-٩٥.

٢- راجع: تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٤ عن تفسير القمى.

و جاء أيضا: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قام على الصفا، و نادى قريشا؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرايتم لو أخبرتكم: أن خيلا في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، و ما جرّبنا عليك كذبا قط.

فقال: إني نذير لكم من عذاب شديد. إلى أن قال: فنهض أبو لهب، و صاح به: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ و تفرقوا عنه.

فأنزل الله تعالى: تبت يدا أبي لهب و تب إلى آخر السوره (١).

المفاوضات الفاشله:

قال ابن إسحاق و غيره: فلما بادی رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قومه بالإسلام، و صدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، و لم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه، و أجمعوا على خلافه و عداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون.

و حذب على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عمه أبو طالب، و منعه، و قام دونه. و مضى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) على أمر الله مظهرا لا يرده شىء.

فلما رأت قريش: أن رسول الله لا يعتبهم من شىء أنكروه عليه، من فراقهم، و عيب آلهتهم، و رأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه، و قام دونه، فلم يسلمه لهم، حاولوا مفاوضه أبا طالب. و هذه المفاوضات

١- هذا الحديث يرويه المفسرون و السيوطى فى الدر المنثور، و كذلك المؤرخون من غير الشيعة حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، و لكن قد بينا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته فى الآيه بل عشيرته الأقربون ليس إلا؛ فالروايه تناسب قوله تعالى (فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فقط.

- كما يرى ابن إسحاق وغيره- قد مرت بثلاثه مراحل، إنتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من إشراف قريش إلى أبي طالب. ذكر المؤرخون أسماءهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، و عاب ديننا، و سفه أحلامنا، و ضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، و إما أن تخلى بيننا و بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، و ردّهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، و يدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه و بينهم، و حتى تباعد الرجال، و تضاغنوا، و أكثرت قريش ذكر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بينها، ذهبوا إلى أبي طالب، فتهددوه: إن لم يكف ابن أخيه عن شتم آبائهم، و تسفيه أحلامهم، و شتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه و إياه حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فأخبره، و طلب إليه أن يبقى على نفسه و عليه، و لا يحمله ما لا يطيق،،

فظن أنه قد بدا لعنه فيه بدءاً، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام دونه، فقال له (صلى الله عليه و آله و سلم): يا عم، و الله، لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته. فوعده أبو طالب النصر.

الثالثة: عرضوا على أبي طالب: أن يتخذ عماره بن الوليد ولداً له، و يسلمهم النبى، الذى فارق دين أبى طالب و دين آباءه، و فرق جماعتهم و سفه أحلامهم ليقتلوه. فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: و الله، لبئس ما تسوموننى أتعطوننى إبنكم أغذوه لكم، و أعطىكم إبنى تقتلونه، هذا و الله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدى: و الله يا أبا طالب، لقد أنصفك، قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً.

فقال أبو طالب: و الله ما أنصفوني، و لكنك قد أجمعت على خذلاني، و مظاهره القوم على؛ فاصنع ما بدا لك؟. أو كما قال.

فحقب الأمر، و حميت الحرب، و تنابذ القوم، و بادی بعضهم بعضاً (١).

و ربما تكون هذه المراحل متداخله، أو مترتبه. فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهماً منّا للسير الطبيعي للأحداث،- لا أكثر و لا أقل- و قبل المضي في الحديث؛ نسجل النقاط التاليه:

الف: قريش لم تصل إلى نتيجته:

لقد رأينا: أن مشركى مكه ما كانوا يرغبون بادی ء ذى بدء: فى توريط أنفسهم فى مواجهه أبى طالب و الهاشميين؛ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، و القضاء على ما يعتبرونه ماده متاعبهم، و مصدر مخاوفهم، و حاولوا أن يثيروا هذا الرجل، و يشحنوه نفسياً ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، و يجرح كرامه و عاطفه عمه نفسه، فضلاً عن غيره، و لذا، فإن من الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، و يكفيهم مؤونه ذلك.

و لكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأى من أباطيلهم، و لم يحرك ساكناً فى سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم و على مصالحهم، لجأوا إلى التهديد و الوعيد، ثم إلى أسلوب المكر و الخداع كما فى قضيه عرض عماره على أبى طالب ليتخذه ولداً، و يسلمهم محمداً

١- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢-٢٨٦، و البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٧-١٤٩ و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٥-٦٨.

ليقتلوه. الأمر الذى كشف عن حقيقته ما يكتونه فى صدورهم، و تشتمل عليه نفوسهم و اتضح لأبى طالب و لغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، و إطفاء نور الله، الأمر الذى زاد فى تصلب أبى طالب فى الدفاع عن الحق و الدين، و عن نبى الإسلام الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

ب: سر استكبار قريش:

و لعل سر استكبار مشركى مكه، و محاولاتهم اطفاء نور الله تعالى يرجع إلى:

١- أنهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، و العبيد، و الضعفاء فى مكه و غيرها فى مصالحهم؛ فجاء الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و بث فى هؤلاء الفقراء روحا جديده، و بدأ يؤكد لهم مفهوم كرامه الإنسان، و حرته. ثم هو يناصرهم، و يعيش قضيتهم و آلامهم، و يفتح أعينهم على واقعهم. و يبث فيه تعاليم الإسلام، و فى مقدمتها وجوب تحررهم من سيطره و غطرسه أولئك الطغاه المتجبرين.

٢- لقد أدرك أولئك المتجبرون، مما عرفوه من طبيعه الدعوه و أهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا فى ظلها من الإحتفاظ بتلك الإمتيازات الظالمه، التى جعلوها لأنفسهم؛ و التى كان يرفضها النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و يؤكد على أن الناس كلهم سواسيه أمام عداله السماء، و فى ميزان الحكم و القضاء.

و سوف لن يتمكنوا أيضا فى ظل هذا الدين الجديد، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق؛ من الإستمرار فى ممارساتهم اللاأخلاقية، و اللاإنسانيه أيضا، و التى كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التى كانوا يدعون أنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا

بعض العرب يأكل إلهه الذى صنعه من الحيس حين جاع!! (١).

٣- ما أشارت إليه الآية الكريمة: وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا (٢) أى أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا- يرضون بإيمانهم، ورفض أو ثنائهم، فرد عليهم القرآن، فقال: أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا (٣)، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.

مع أن اختيارهم الشرك خوفا من ذلك، لا يمنع ذلك؛ فكم أهلك الله من قريه بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم. بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم فى الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات والإستكبار، وغير ذلك من انحرافات مدمره للمجتمعات و للأمم، إن لم يكن ثمة ضوابط و روادع معينه تجعل كل تلك الإمكانيات فى مجراها الصحيح، و فى الجبهه النافعه للفرد و للمجتمع، حاضرا و مستقبلا.

على أن الأمر لله تعالى فليس لأحد أن يتمرد عليه، و يخرج على أوامره، فإنه يعرض نفسه و الحاله هذه إلى الهلاك الدنيوى و الأخرى، ثم ضرب لهم مثلا بقارون، الذى كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه أولى القوه، فلما استكبر و طغى، و تمرد على أوامر الله، خسف الله به و بداره الأرض.

و فى آيات السوره- سوره القصص- دقائق عجيبه و معان رائعه فى هذا المجال، تحتاج إلى دراسه مستقلة و معمقه، لا مجال لها هنا. و نكتفى هنا بهذه الإشاره الإجماليه إليها. و الله هو الموفق و المعين.

١- الأعلام النفيسه: ص ٢١٧، و الحيس هو تمر ينزع نواه و يدق مع أقط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد. مجمع البحرين: ج ٤ ص ٦٤.

٢- القصص / ٥٧.

٣- القصص / ٥٧.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

و بعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبى طالب:

أن السيل قد بلغ الزبى، و أنه على وشك الدخول فى صراع مكشوف مع المشركين. فلا بد من الحذر و الإحتياط للأمر؛ فجمع بنى هاشم، و بنى المطلب، و دعاهم إلى منع الرسول، و القيام دونه، فأجابوه، و قاموا معه، باستثناء أبى لهب لعنه الله تعالى.

و منع الله عز و جل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضره فى شعره و بشره سيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، و السحر، و الكهانة، و الشعر، و القرآن ينزل عليه (عليه السلام) بتكذيبهم. و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عز و جل سرا و جهرا.

و ذلك لأن المشركين بعد أن أدركوا:

أن الاعتداء على شخصه (صلى الله عليه و آله و سلم) سوف يتسبب فى صراع مسلح لم يعدوا له عدته، و ليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصا مع ما كان لبنى هاشم من علاقات، و من أحلاف مع القبائل، كحلف المطيين، و حلف عبد المطلب مع خزاعه التى كانت تقطن خارج مكه. بل قد توجب هذه الحرب- لو نشبت- التمكين لمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) من نشر دعوته (١). فمن أجل كل ذلك أثر المشركون أن يتعدوا عن الحرب، و يتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الوقوف فى وجه دعوته؛ فنجدهم:

ألف: ينهون الناس عن الالتقاء بالنبي (صلى الله عليه و آله و سلم)،

١- و يرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تاره و الشده أخرى؛ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبي من نشر دعوته، كما أشير إليه.

و عن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَ يَأْتُونَ عَنْهُ (١). و قال تعالى: وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ، وَ الْغَوَا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (٢).

ب: يتبعون أسلوب السخريه و الإستهزاء، و إصاق التهم الباطله، بهدف:

١- التأثير على شخص النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) علّه ينهزم نفسياً، و جعله يعيش عقده الحقداره و الضعه، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، و يكذب نفسه.

٢- الحط من كرامه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و ابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفه من متابعته، و صرفهم عن الدخول فيما جاء به. و لهذا نجدهم: يغرون سفهاءهم بايذائه و تكذيبه، و أحيانا كان يتولّى ذلك منه سادتهم و كبرأؤهم. بل لقد رأيناهم يأمرّون غلاماً منهم بأن يلقى عليه سلاً جزور و فرثه، و هو قائم يصلى، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، و يأتي فيمر السلا على سبالهم جميعاً. و قد ألقى الله الرعب فى قلوبهم (٣).

و كانوا أيضاً يلقون عليه التراب (٤)، و رحم الشاه (٥)، و غير ذلك.

١- الأنعام / ٢٦.

٢- فصلت / ٢٦.

٣- الكافي: ج ١ ص ٤٤٩ نشر مكتبة الصدوق، و منيه الراغب: ص ٧٥. و راجع: الغدير: ج ٧ ص ٣٥٩ و ٣٨٨ و ج ٨ ص ٤، و أبو طالب مؤمن قريش: ص ٧٣ عن مصادر كثيره.

٤- راجع: السيره الحلييه: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلييه): ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٢ و ٢٣١.

٥- راجع: البدايه و النهايه: ج ٣ ص ١٣٤.

و قد أثر ذلك إلى حدّ ما في صرف الناس، و إبعادهم عن الدخول في الإسلام، حتى ليقول عروه بن الزبير و غيره: (.. و كرهوا ما قال لهم، و أغروا به من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامه الناس (١)).

المعذبون في مكة:

كما أنهم قد تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيله على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، و يفتنونهم عن دينهم، يعذبونهم.

بالحبس، و الضرب، و الجوع، و برمضاء مكة، و بغير ذلك من الأساليب الوحشية، و الإنسانية.

مع المعذبين أيضا:

و قد عذب المشركون عددا من المسلمين؛ فعذب عمر بن الخطاب جاريه بنى مؤمل - حى من بنى عدى - و كانت مسلمه؛ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملاله (٢).

و لعل بنى مؤمل كانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولّى تعذيب جاريتهم، و إلا فإن وضعه الإجتماعى لم يكن يسمح له بأمر من هذا القبيل.

و عذب المشركون أيضا خباب بن الأرت، و أم شريك، و مصعب بن عمير، و غيرهم ممن لا مجال لذكرهم، و بيان ما جرى عليهم.

١- تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٦٨.

٢- سيره ابن هشام: ج ١ ص ٣٤١، و السيره الحلبيه: ج ١ ص ٣٠٠، و راجع: السيره النبويه لابن كثير: ج ١ ص ٤٩٣، و المحبر: ص ١٨٤.

وقد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى في الصمود و الجهاد من أجل المبدأ و العقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوه تستطيع أن ترد عنهم، غير إرادته الله تعالى، و أنهم إنما يتحدون بإسلامهم العالم كله، الذي كان بكل ما فيه ضدهم. و هنا تكمن عظمتهم، و هذا هو سر امتيازهم على غيرهم.

المعدبون الذين أعتقهم أبو بكر:

و ممن عذب في سبيل الله بلال الحبشى، و عامر بن فهيره، و يقولون: إن أبا بكر قد اشتراهما و أعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه.

و لكننا نشك في أن يكون أبو بكر هو الذي اشتراهما، و ذلك:

أولاً: لما ذكره الإسكافى، الذي قال: (أما بلال، و عامر بن فهيره، فإنما أعتقهما رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، روى ذلك الواقدي، و ابن إسحاق (١)).

وعد ابن شهر آشوب بلالا من موالى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

و ثانياً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقى روايه مع أخرى، و يكفى أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فروايه تقول: إنه أعطى ثمنه غلاما له أجلد منه.

١- راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج ١٣ ص ٢٧٣، و قاموس الرجال: ج ٥ ص ١٩٦ و ج ٢ ص ٢٣٨.

٢- المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ١٧١.

و أخرى: إنه أعطى غلاما و زوجته، و ابنته، و مائتي دينار.

و ثالثه: اشتراه بسبع أواق.

و رابعه: بتسع.

و خامسه: بخمس.

و سادسه: برطل من ذهب.

و سابعه: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذى كان صاحب عشره آلاف دينار، و جوار، و غلمان، و مواش.

و ثامنه: ببرده، و عشر أواق من فضه، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف و التناقض (١).

و ثالثا: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَ اتَّقَى. وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَدَّ بَيْسْرَهُ لِيُشِيرَ (٢) نزل فى أبى بكر بهذه المناسبه (٣).

و نقول:

١- لقد رد الإسكافى على ذلك: بأن هناك من يقول: إن هذه الآية نزلت فى مصعب بن عمير (٤).

١- راجع ما تقدم فى: السيره الحلبيه: ج ١ ص ٢٩٨ / ٢٩٩، و قاموس الرجال: ج ١ ص ٢١٦، و سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٣٥٣، و السيره النبويه لابن هشام: ج ١ ص ٣٤٠، و حليه الأولياء: ج ١ ص ١٤٨، و غير ذلك كثير.

٢- سوره الليل ٥-٧.

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨-٣٩٠ عن عدد من المصادر و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٩٩، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٧٣ عن الجاحظ و العثمانيه ص ٣٥.

٤- شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٣.

و يروى الشيعة: أن الآية نزلت في علي (عليه السلام).

و يورد الحلبي عليهم: بأن عليا كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه نعمه تجزى، و هي تربيته له، و الآية تقول: وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ وَ بِمِثْلِ ذَلِكَ أورد الرازى عليهم أيضا (١).

و لكن قد فات الرازى و الحلبي: أن المقصود هو أن هذا المال الذى ينفقه لا يريد أن يجازى بانفاقه له نعمه من أحد عليه، و إنما ينفقه لوجه الله، و لوجه الله فقط.

لا أنه تعالى يريد وصف الأتقى بأنه ليس لأحد عليه نعمه.

٢- قد ورد: عن ابن عباس و غيره، و حتى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، تفسيرها بمعنى عام لا يختص بأحد فراجع كتب التفسير للاطلاع على ذلك.

٣- و أخرج ابن أبى حاتم ما ملخصه: أن هذه السورة قد نزلت في رجل (هو سمرة بن جندب) الذى كان له نخله فرعها في دار رجل، فكان إذا جاء ليأخذ عنها الثمر، و صعد عليها ربما تقع تمره، فيأخذها صبيان الفقير؛ فينزل من نخلته؛ فيأخذ الثمره من أيديهم، و إن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه، حتى يخرج التمره من فيه؛ فشكاه الفقير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم لقي الرسول صاحب النخلة؛ فطلب منه أن يعطيه النخله و له مثلها في الجنة، فقال. لقد أعطيت، و إن لى لنخلا كثيرا؛ و ما فيه نخل أعجب إلى ثمره منها.

فسمع رجل ما دار بين النبي و بينه؛ فجاء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أعطنى ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال:

نعم، فذهب الرجل، و لقي صاحب النخله، و فاوضه و اشتراها منه بأربعين نخله. ثم ذهب إلى النبي، فوهبها له، فذهب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

و آله و سلم) إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك و لعيالك، فأنزل الله:

و الليل إذا يغشى إلى آخر السوره (١).

و لأجل هذا نجد السيوطى يقول عن: (سوره الليل: الأشهر أنها مكيه؛ و قيل: مدنيه لما ورد فى سبب نزولها من قصه النخله، كما أخرجناه فى اسباب النزول) (٢).

و هذه القضية هى المناسبه للآيات؛ لأنها تذكر أن بعضهم أعطى و اتقى، و بعضهم بخل و استغنى.

إلا- أن يكونوا- و العياذ بالله- يقصدون، بمن بخل، النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه. مع أن فرض عدم مال له ينافى صدق البخل عليه. و يشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) هو الذى قال: لو كان عنده مال لاشرى بلالا.

أو يقصدون بمن بخل، العباس، الذى تقول الروايات: إنه ذهب فاشترى بلالا، فأرسله إلى أبى بكر، فأعتقه.

٤- لسوف يأتى إن شاء الله فى حديث الغار، قول عائشه: إنه لم ينزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن، إلا أن الله أنزل عذرها. يعنى الآيات المرتبطه بالإفك، و التى هى فى سوره النور. و حتى عذرها هذا؛ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه فى كتابنا: حديث الإفك فراجع.

و رابعا: لم نفهم معنى قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) إنه لو كان عنده مال لاشرى بلالا، و كيف نوفق بين هذا و بين قولهم: إنه (صلى الله

١- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ عن ابن ابى حاتم عن ابن عباس، و تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٧٠ عن على بن ابراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. و ستأتى بقيه المصادر فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، و الريب فيما ينقل عن سمره.

٢- الإتيقان: ج ١ ص ١٤.

عليه وآله وسلم) طلب من أبي بكر الشركه في بلال فأخبره أنه اعتقه (١)؟!.

ثم أو ليست أموال خديجه تحت تصرفه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! ألم يكن هو الذى ينفق على المسلمين في مكه، كما قالت أسماء بنت عميس لعمر حينما عثروا بأنها لا هجره لها، حيث قالت له:

إنه ومن معه من المسلمين كانوا مع رسول الله يطعم جائعهم، ويعلم جاهلهم!! (٢). و ستأتى هذه القضييه في موضعها إن شاء الله.

و احتمال أن تكون قصه بلال في أواخر سنى ما قبل الهجره، لا يقبل به المؤرخون؛ فإن النووى يذكر: أنه أسلم أول النبوه، و هو من أول من أظهر اسلامه (٣).

إلا أن يقال: إن إسلامه، و إن كان متقدما، لكن شراءه و عتقه يمكن أن يتأخرا لعدده سنوات.

هذا كله عدا عما تذكره بعض الروايات من أن العباس هو الذى ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلى أبي بكر فأعتقه (٤)! و روايات أخرى تقول:

بل اشتراه نفس أبي بكر مباشره، و أعتقه.

و فى بعض الروايات: أنه لما توفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بلال لأبى بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكنى، و إن

١- طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٦٥.

٢- تقدمت من المصادر لذلك فى الجزء السابق من هذا الكتاب فى آخر فصل: بحوث تسبق السيره.

٣- تهذيب الأسماء و اللغات: ج ١ ص ١٣٦.

٤- السيره النبويه لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، و السيره الحلبيه: ج ١ ص ٢٩٩، و راجع: المصنف: ج ١ ص ٢٣٤ و غيره.

كنت إنما اشتريتني لله فذرني (١).

و هذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)!!.

و بالنسبة لشراء العباس له؛ فإن العباس إن كان قد اشتراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟ و إن كان إنما اشتراه لأبي بكر فلا ندري: متى كان العباس وكيلا لأبي بكر؟ و متى كان العباس يهتم بأمور كهذه، و هو الذى لم يسلم إلا عام الفتح، أو فى بدر، كما يقولون؟.

و حاول بعضهم أن يدعى: أن العباس فاوض أميه بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراه (٢) و هذا أعجب!! و ما عشت أراك الدهر عجباً!!.

و أيضاً، فإن حاله أبى بكر الإقتصادي لم تكن تسمح له بأن يدفع تلك المئات من الدينانير، فضلا عن أن يكون أحد مواليه يملك عشرة آلاف دينار، و جوار، و مواش، و غير ذلك، لو فرض أن العرب كانوا يملكون عبيدهم الأموال.

حيث إن أبا بكر لم يكن تاجرا، و إنما كان معلما، فمن أين تأتته تلك الآلاف أو حتى المئات من الدراهم و الدينانير لشراء سبعة أو تسعة و إعتاقهم؟! و لسوف يأتى إن شاء الله البحث عن ثروه أبى بكر حين الكلام حول قضيه الغار. بل لقد شك البعض فى أن يكون كثير ممن ذكروا فى مواليه شخصيه حقيقه أو خياليه، و لا سيما مثل (زنيه)، التى قال السهيلي عنها: (و لا تعرف زنيه فى النساء (٣)).

١- طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٧٠.

٢- السيره النبويه لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، و السيره الحلبيه: ج ١ ص ٢٩٩، و راجع المصنف للصنعانى ج ١ ص ٢٣٤، و غيره.

٣- الروض الانف ج ٢ ص ٧٨.

و يقول العلامة السيد الحسنى: (إن قريشا كانت تعذب من آمن؛ من أجل أن لا ينتشر الإسلام، و كانت توذ أن تبذل لمحمد كل غال و نفيس، ليتراجع عما جاء به، و دعا إليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبى بكر، و تترك تعذيبهم بهذه السهوله (١)؟!).

إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) هو الذى يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض.

هل عذب المشركون أبا بكر؟!!

هذا و يذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب فى سبيل الإسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه و قرنه مع طلحه بن عبيد الله التيمى فى جبل حين اسلما، و عذبهما نوفل بن خويلد، و فتنهما عن دينهما، فلذلك سمى أبو بكر و طلحه ب (القرنين).

و يرى البعض أن الذى قرنهما و عذبهما هو نوفل فقط، و ليس لعمر بن عثمان ذكر فى شىء (٢).

و نحن نسجل هنا ما يلى:

١- إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه الله بقومه (٣)، و هذا يتناقض

١- سيره المصطفى ص ١٤٩.

٢- راجع فى ذلك: العثمانىه للجاحظ ص ٢٧ / ٢٨، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٥٣، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٠١، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٣٠، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٩، و البيهقى، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٦٩ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٢.

٣- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٨، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٤، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه بهامشه، و حليه الاولياء ج ١ ص ١٤٩، و الاستيعاب ج ١ ص ١٤١ و أحمد، و ابن ماجه، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٢٦، و السيره-

تماما مع قولهم: إنه قد عذب. كما أنه يناقض قوله الآتي لابن الدغنه: إن قومه قد أخرجوه.

٢- إنه يظهر من مراجعه كتب السير: أن كل قبيله كانت تتولى تعذيب من يدخل فى الاسلام منها، و لم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيله أخرى، كما سنرى.

٣- لقد قال الأسكافى: (إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعا إلا بعد أو عسيف. (و هو الأجير)، و لمن لا عشيره له تمنعه (١)).

مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيسا متبعا، و كبيرا مطاعا (٢) ينتظره عظماء قريش و لا- يقطعون أمرا دونه، حتى يأتيهم ليبتوا فى أمر محمد صلى الله عليه و آله، (كما تقدم فى حديث إسلام أبى بكر). و على حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانه عليه، و صدرا معظما، و رئيسا فى قريش مكرما (٣) فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعه ليسوا من قبيلته؟ و كيف يترك قومه رئيسهم، و صاحب مجدهم الباذخ؟ يتعرض للمهانة من قبل هؤلاء؟.

و على حد تعبير ابن هشام و غيره: كان (مألفا لقومه، محببا، سهلا.

إلى أن قال: و كان رجال قومه يأتونه، و يألفونه لغير واحد من الأمر) (٤).

و على حد التعبير المزعوم لابن الدغنه: (لا يخرج مثله. أخرجون رجلا يكسب المعدوم، و يصل الرحم، و يحمل الكل، و يقرى الضيف،

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٥٥.

٢- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٥٥، و السير النبويه لدحلان ج ١ ص ١٢٣، و السير الحلبيه ج ١ ص ٢٧٣.

٣- السير النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٣٣، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٦.

٤- سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٦٧ و السير النبويه لابن كثير ص ٤٣٧.

و يعين على نوائب الحق؟ (١).

و يلاحظ: أن هذه الكلمات هي - تقريبا - نفس الكلمات التي تنسب إلى خديجه في وصف النبي صلى الله عليه وآله حين بعثته، قالها ابن الدغنه حين هجره أبي بكر إلى الحبشه - و سيأتي عدم صحتها - فاقراً، و اسمع، و اعجب ما بدالك!!

ملاحظه: هل كان أبو بكر رئيساً؟!:

إننا إنما ذكرنا هذا الذي سبق آنفاً، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو صح هذا لم يمكن أن يصح ذاك، و إلا فنحن نشك في أن يكون أبو بكر رئيساً، معظماً، و كبيراً مطاعاً، و يدل على ذلك:

١- إن أبا بكر حج، و معه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافه: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافه، إن الله بنى في الإسلام بيوتا كانت غير مبنيه، و هدم بيوتا كانت في الجاهليه مبنيه، و بيت أبي سفيان مما هدم (٢).

٢- و حين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: (غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت في قريش)،

و في نص الحاكم: (ما بال هذا الأمر في أقل قريش قله، و أذلها ذله، يعنى أبا بكر (٣)).

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٠١. و سيأتي العديد من المصادر لذلك حين الكلام عن هجره أبي بكر ان شاء الله.

٢- راجع: النزاع و التخاصم للمقريزي ص ١٩ و الغدير ج ٣ ص ٣٥٣ عنه.

٣- راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٥١، و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨، عن ابن عساكر، و أبي أحمد الدهقان، و راجع الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٦، و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٤٤. و النزاع و التخاصم: ص ١٩، و كنز العمال: ج ٥-

و على حد تعبير البلاذرى: إن أبا سفيان جاء إلى على (عليه السلام) فقال: يا على، بايعتم رجلا من أذل قبيله من قريش؟ (١).

٣- و يقول عوف بن عطيه:

و أما الألمان بنو عدى و تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد بهم فتیان حرب و لكن أدن من حلب و غير

إذا رهنوا رماحهم بزبدفان رماح تيم لا تضير (٢).

ملاحظه أخيره:

و أخيرا، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه. أو أنه ضرب حتى كاد يموت (٣).

يكذبه الكثير مما قدمناه، و نزيد هنا: أن النبي كان أول من أعلن الدعوه. و ليس أبا بكر.

هذا عدا عن أنهم يذكرون تاره: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، و أخرى عمر بن الخطاب، و هنا يذكرون: أبا بكر.

كما أن الروايه تنص على أن إظهار أبى بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانيه و ثلاثين رجلا و النبي صلى الله عليه و آله فى دار الأرقم.

١- أنساب الأشراف للبلاذرى (قسم حياه النبي (صلى الله عليه و آله) ص ٥٨٨.

٢- طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.

٣- السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٣٩ / ٤٤٩ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٠، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٤ و الغدير ج ٧

ص ٣٢٢ عنه و عن الرياض النضره ج ١ ص ٤٦.

و قد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد. لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلا.

إلا أن يكون المقصود هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجره إلى الحبشه ثمانيه و ثلاثين رجلا.

لكن ذلك لا يتلاءم مع تصريح الروايه بأن ذلك قد كان يوم إسلام حمزه، حينما كان النبي صلى الله عليه و آله في دار الأرقم.

أول شهيد في الإسلام من آل ياسر:

و على كل حال؛ فلقد عذب آل ياسر أشد العذاب، و استشهدت سميّه أم عمار على يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أول شهيدته في الإسلام (١) ثم استشهد ياسر رحمه الله تعالى.

و لكنهم ذكروا: أن أول قتيل في الإسلام هو الحارث بن أبي هاله، حيث إنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن يصدع بما يؤمر، قام صلى الله عليه و آله في المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريخ أهله؛ فكان أول من أتاه الحارث هذا؛ فضرب في القوم فصرفهم عنه و عطفوا عليه حتى قتلوه (٢).

و هذا لا يصح؛ لما تقدم؛ من ان الله قد منع النبي صلى الله عليه و آله بأبي طالب و قومه، و لم يجرؤا على أن ينالوه بسوء في شعره و بشره.

١- الاستيعاب هامش الاصابه ج ٤ ص ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٣٣، و الاصابه ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٩٥، و اسد الغابه ج ٥ ص ٤٨١، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٨.

٢- نور القيس ص ٢٧٥ عن الشرقى ابن القطامى، و الاصابه ج ١ ص ٢٩٣ عن الكلبي، و ابن حزم و عن العسكري و الاوائل ج ١ ص ٣١١ / ٣١٢.

و كذلك الحال بالنسبه إلى من أسلم من بنى هاشم، حيث لم يعذب جعفر، و لا على و لا غيرهما، و ذلك لمكان أبى طالب رحمه الله، كما قلنا.

و أيضا فإن كلمه المؤرخين تكاد تكون متفقه على أن أول شهيد فى الاسلام كان سميه و زوجها.

أضف إلى ذلك: أن كل ما يقال فى كيفية إعلانه بالدعوه يتنافى و يتناقض مع ما ذكروه هنا (راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر).

و الذى يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضييه هو أن يثبتوا أن خديجه قد تزوجت قبل النبى صلى الله عليه و آله برجل أو أكثر، و ولد لها منهما. و قد تقدم ما يوجب الشك فى ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الاعظم صلى الله عليه و آله ...

عمار بن ياسر:

و عذب عمار أيضا عذابا شديدا من قبل بنى مخزوم، حتى أكره على التفوه بما يعجب المشركين، فتركوه؛ فأتى النبى (صلى الله عليه و آله) باكيا، و قال له: لم أترك يا رسول الله، و قد أكرهونى حتى نلت منك، و ذكرت آلهتهم بخير.

فقال له النبى (صلى الله عليه و آله): كيف تجد قلبك يا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالايمان يا رسول الله

قال: لا عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؛ فقد أنزل الله فيك: (إلا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان (١)).

١- النحل / ١٠٦ راجع: حليه الاولياء ج ١ ص ١٤٠ و تفسير الطبرى ج ٤ ص ١١٢ و تفسير النيسابورى بهامشه و غير ذلك كثير جدا.

التقيه فى الكتاب و السنه:

و نقول:

١- إن ما جرى لعمار و نزول الآيه فيه دليل على مشروعيه التقيه، إذا خاف الإنسان على نفسه و ماله.

و قد صرحوا بجواز التقيه و إظهار الموالاه حتى للكفار، إذا خيف على النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خيف من ضرر كبير يلحق الإنسان فى نفسه (١).

بل لقد قال محمد بن عقيل: (التقيه مما أجمع المسلمون على جوازه، و إن اختلفت تسميتهم لها، فسامها بعضهم بالكذب لأجل الضروره أو المصلحه، و قد عمل بها الصالحون، فهى من دين المتقين الأبرار. و عكس القول فيها كذب ظاهر) (٢).

٢- و يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً (٣).

٣- قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ. قَالُوا: فِيْمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ .. إلى قوله: وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا.

قال البخارى: (فعدر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله، و المكروه لا يكون إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به). (٤).

١- راجع على سبيل المثال: احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٩.

٢- تقويه الايمان ص ٣٨.

٣- آل عمران / ٢٨.

٤- صحيح البخارى ط الميمنيه ج ٤ ص ١٢٨.

ملاحظه:

الآيه موجوده كما فى سورہ النساء الآيه ٩٧ و لكن الفقره الأخيره غير موجوده فيها و لافى الآيات بعدها لكن البخارى قد ذكرها كذلك. فذكرناها حسبما هى فيه رعايه لآمانه النقل عنه.

٤- و قال تعالى وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (١).

و القول بأن هذه الآيه قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روى عن الامام الباقر عليه السلام ما يدل على خلاف ذلك، فقد روى الكلينى عن عبد الله بن سليمان، قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول- و عنده رجل من أهل البصره، يقال له: عثمان الأعمى، و هو يقول: إن الحسن البصرى يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذى ريح بطونهم أهل النار.

فقال ابو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا عليه السلام؛ فليذهب الحسن يمينا و شمالا؛ فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا (٢)).

فاستدلال الإمام بالآيه يدل على أن عدم كونها منسوخه كان متسالما عليه لدى العلماء آنئذ.

و أما من السنه، فنذكر:

١- عن أبى ذر، عنه صلى الله عليه و آله: ستكون عليكم أئمه يمتتون الصلاه، فان أدر كتموهم فصلوا الصلاه لوقتها، و اجعلوا صلاتكم

١- غافر / ٢٨.

٢- الكافى (الاصول) ج ٢ ص ٤٠-٤١ منشورات المكتبه الاسلاميه، و الوسائل ج ١٨ ص ٨.

معهم نافله (١) و ثمة حديث آخر بهذا المعنى فليراجع (٢).

٢- ما جاء: أن مسيلمه الكذاب أتى برجلين، فقال لأحدهما:

تعلم أنى رسول الله؟ قال بل محمد رسول الله. فقتله. و قال للآخر ذلك، فقال: أنت و محمد رسول الله؛ فخلى سبيله. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال: أما الأول فمضى على عزمه و يقينه. و أما الآخر، فأخذ برخصه الله فلا تبعه عليه (٣).

٣- ما رواه السهمى عنه صلى الله عليه و آله: لا دين لمن لا ثقة له (٤). و هو تصحيف على الظاهر، و الصحيح: (لا تقيه) كما يدل عليه ما رواه شيعة أهل البيت عنهم عليهم السلام (٥).

٤- قصة عمار بن ياسر المعروفه، و قول النبي صلى الله عليه و آله له: إن عادوا فعد. و هى مرويه فى مختلف كتب الحديث و التفسير. و فى هذه المناسبه نزل قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (٦).

٥- استعمال النبي صلى الله عليه و آله نفسه للتقيه، حيث بقى ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى الله سرا، و هذا مجمع عليه، و لا يرتاب فيه أحد، و إن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقه ليست هى ذلك.

١- مسند أحمد ج ٥ ص ١٥٩.

٢- مسند أحمد ج ٥ ص ١٦٠ و ١٦٨.

٣- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ج ٤ ص ٤٠٨-٤٠٩ و احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠ و سعد السعود ١٣٧.

٤- تاريخ جرجان: ص ٢٠١.

٥- راجع: الكافي (الأصول): ج ٢ ص ٢١٧ ط الآخندى، و وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٦٥. و راجع: ميزان الحكمه: ج ١٠ ص ٦٦٦ و ٦٦٧.

٦- النحل / ١٠٦. و راجع: فتح البارى: ج ١٢ ص ٢٧٧-٢٧٨.

٦- إن الإسلام يخير الكفار في ظروف معينه بين الإسلام و الجزيه، و السيف. و واضح: أن ذلك إغراء بالتقيه، لأن دخولهم في الإسلام في ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، و ليس عن قناعه راسخه.

و هذا نظير قبول المنافقين في المجتمع الإسلامي، و تألفهم على الإسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و يستقر الإيمان في قلوبهم.

٧- و حين فتح خبير قال حجاج بن علاط للنبي (صلى الله عليه و آله): ان لي بمكه مالا و ان لي أهلا و اني أريد أن آتيهم فانا في حلّ إن أنا نلت منك و قلت شيئا؟! فأذن له رسول الله أن يقول ما شاء (١).

و أما التقيه في التاريخ:

فندكر على سبيل المثال:

١- إن رجلا- سأل ابن عمر فقال: (أدفع الزكاه إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء و المساكين. قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها في الفقراء و المساكين؟؟ (٢).

٢- و قد ادّعوا: أن أنس بن مالك قد روى حديث القنوت قبل الركوع تقيه من بعض أمراء عصره (٣).

٣- و حين شاور العباس بن الحسن كتابه و خواصه فيمن يولون الخلفه بعد موت المكتفى، أشار عليه ابن الفرات بأن ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه و ما عنده (فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضره الباقيين

١- دراسات في الكافي و الصحيح ص ٣٣٨ عن السيره الحلبيه.

٢- المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٨.

٣- راجع: المحلى ج ٤ ص ١٤١.

فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقيه فى كتمانہ وطئہ.

قال: صدقت. ثم فعل ما أشار به عليه (١).

٤- تقيه النبى (صلى الله عليه وآله) و الحمزه فى بيعه العقبه.

و ستأتى نصوصها فى فصل مستقل.

٥- عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شىء قط ما سألته عنها (أى عن الزكاه). قال: فيقول لى مره: أذها إليهم. و يقول لى مره:

لا تؤدّها إليهم (٢) أى للأمرء.

إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح الحكم الشرعى له، جوازا أو منعا.

٦- و فى خطبه لمحمد بن الحنفية: (لا- تفارق الأمه، اتق هؤلاء القوم (يعنى الامويين) بتقيتهم. و لا تقاتل معهم. قال: قلت: و ما تقيتهم؟

قال: تحضرهم و جهك عند دعوتهم؛ فيدفع الله بذلك عنك، و عن دمك و دينك و تصيب من مال الله الذى انت أحق به. (٣)

٧- استفتى مالك بالخروج مع محمد بن عبد الله بن الحسن، و قيل له: فى اعناقنا بيعه لأبى جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين.

و ليس على مكره يمين (٤).

٨- و نقل القرطبى، عن الشافعى، و الكوفيين: القول بالتقيه عند الخوف من القتل، و قال: (أجمع أهل العلم على ذلك (٥)).

١- الوزراء للصابى ص ١٣٠.

٢- المصدر السابق.

٣- طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧٠.

٤- مقاتل الطالبين ص ٢٨٣، و الطبرى ط أوروبا ج ٣ ص ٢٠٠.

٥- تفسير القرطبى ج ١٠ ص ١٨١.

٩- عن حذيفه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

احصوا لى كم يلفظ الإسلام. قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا و نحن ما بين الستمائى إلى السبعمائى؟ قال: إنكم لا تدرؤن لعلكم أن تبتلوا.

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا (١).

و حذيفه قد مات بعد البيعه لعلى (عليه السلام) باربعين يوما، فهذا النص يدل على أن الناس المؤمنين كانوا قبل ذلك يعيشون فى ضغط شديد، و أن الذين يسيطرون على الشارع هم الناس الذين كانوا يحقدون على الدين و المتدينين، و يهزؤون و يحاربون كل شىء يمت إلى الدين بصله.

١٠- لقد اتقى عامه أهل الحديث، و كبار العلماء و اجابوا إلى القول بخلق القرآن، و هم يعتقدون بقدمه، و لم يمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، و محمد بن نوح (٢).

و حتى أحمد؛ فانه قد تاقى فى ذلك، فكان إذا وصل إلى المختق قال: ليس أنا بمتكلم. كما أنه حين قال له الوالى: ما تقول فى القرآن أجاب: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد عليها (٣).

بل قال اليعقوبى: إنه لما سئل أحمد عن ذلك قال: (أنا رجل علمت علما و لم أعلم فيه بهذا. و بعد المناظره و ضربه عده سيات، عاد

١- صحيح مسلم: ج ١ ص ٩١، و صحيح البخارى ط سنة ١٣٠٩ هـ. ق: ج ٢ ص ١١٦ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤.

٢- تجارب الامم المطبوع مع العيون و الحدائق ص ٤٦٥.

٣- تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٢٠١ و راجع: آثار الجاحظ ص ٢٧٤، و مذكرات الرمانى ص ٤٧.

اليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليك شيء لم تعلمه

قال: بقي على

قال: فهذا مما لم تعلمه؛ وقد علمك أمير المؤمنين.

قال: فإني أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: في خلق القرآن؟ قال: في خلق القرآن. قال: فأشهد عليه، و خلع عليه، و أطلقه الى منزله (١).

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام الله، و وقف؛ فهو من الواقفه الملعونه (٢).

و قد عمل ابن الزبير بالتقيه في مواجهه الخوارج (٣).

و اتقى ايضا الشعبي و مطرف بن عبد الله من الحجاج.

و اتقى عرباض بن ساريه و مؤمن الطاق من الخوارج و صعصعه بن صوحان من معاويه (٤).

و ممن استعمل التقيه في قضيه خلق القرآن إسماعيل بن حماد، و ابن المديني، و كان ابن المديني يلزم مجلس القاضي أبي
دؤاد المعتزلي، و يقتدى به في الصلاه، و يجانب أحمد بن حنبل و أصحابه (٥).

١١- و يقولون: إن إبراهيم عليه السلام عندما سأله ذلك الحاكم

١- تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٧٢.

٢- بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص ١٨٣ و ١٨٤ عن: الرد على الجهميه لابن حنبل في كتاب الدومي ص ٨٢.

٣- راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٩٣.

٤- العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٤-٤٦٥.

٥- راجع لسان الميزان ج ١ ص ٣٣٩-٤٠٠ متنا و هامشا.

الجبار عن امرأته قال: (هذه أختي) و ذلك في الله (١) فراجع.

١٢- و عن عبيد الله بن معاذ العنبري، عن أبيه قال: (كتبت إلى شعبه أسأله عن أبي شيبه، قاضى واسط، فكتب إلى: لا تكتب عنه، و مزق كتابي (٢)).

١٣- و قد عمل صعصعه بالتيه في خطبته في قصه خروج المستورد أيام معاويه (٣).

١٤- و في غاره بسر بن أبي أرطاه على المدينة، و شكوى جابر بن عبد الله الأنصاري لأم سلمه زوج النبي: أنه خشى أن يقتل، و هذه بيعه ضلال، قالت: إذن، فبايع؛ فإن التقيه حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب و يحضرون الأعياد مع قومهم (٤).

١٥- و قد خطب الإمام الحسين عليه السلام مؤبنا أخاه الحسن السبط عليه السلام حينما توفي، فكان مما تمدحه به: انه قد آثر الله عند مداحض الباطل، في مكان التقيه بحسن الرويه (٥).

١٦- و الإمام الحسين عليه السلام لم يستجب لأهل الكوفه حينما طلبوا منه القيام ضد معاويه بعد سم الإمام الحسن عليه السلام.

و له موقف آخر عليه السلام يؤيد فيه موقف أخيه القاضى بعدم الثوره

١- صحيح البخارى ط الميمنيه: ج ٤ ص ١٢٩ و مسند أحمد ج ٢ ص ٤٠٣ و أخرجه ابو داود و الترمذى، و قصص الانبياء للنجار: ص ٩٨-٩٩ و مسند ابى يعلى ج ١٠ ص ٤٢٧.

٢- صحيح مسلم: ج ١ ص ١٨ و معرفه علوم الحديث ص ١٣٦.

٣- راجع: بهج الصباغه: ج ٧ ص ١٢١.

٤- تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ١٩٨.

٥- راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٢٣٠ و عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٢ ص ٣١٤، و حياه الإمام الحسن (عليه السلام) للقرشى: ج ١ ص ٤٣٩.

على معاويه ما دام حيا. فراجع (١).

١٧- قال الحسن (البصرى): التقيه إلى يوم القيامة (٢).

١٨- وقال البخارى: (و قال ابن عباس: فى من يكرهه اللصوص، فيطلق، ليس بشىء. و به قال ابن عمر، و ابن الزبير، و الشعبى، و الحسن) (٣).

١٩- وقال البخارى أيضا: (يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، و كذلك كل مكروه يخاف، فإنه يذب عنه الظالم، و يقاتل دونه و لا- يخذله، و إن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه و لا قصاص. و إن قيل له: لتشربن الخمر، أو لتأكلن الميتة، أو لتبيعن عبدك، أو تقر بدين، أو تهب هبه أو تحل عقده، أو لتقتلن أباك، أو أخاك فى الإسلام وسعه ذلك.. إلى أن قال: قال النخعى: إذا كان المستحلف ظالما فتيه الحالف، و إن كان مظلوما؛ فنيه المستحلف). (٤)

و لا بأس بمراجعته الشروح على صحيح البخارى على كتاب الإكراه، ففيها توضيحات و مطالب مفيدة فى هذا المجال (٥).

٢٠- حتى المغيرة بن شعبه فإنه يدعى أنه فى عيبه عليا يعمل بالتقيه فهو يقول لصعصعه: (هذا السلطان قد ظهر، و قد اخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، و نذكر الشىء الذى لا نجد منه بدًا

١- راجع: الأخبار الطوال: ص ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢.

٢- صحيح البخارى: ج ٤ ص ١٢٨ ط الميمنية.

٣- صحيح البخارى: ج ٤ ص ١٢٨.

٤- المصدر السابق.

٥- راجع: عمده القارى: ج ٢٤ ص ٩٥-١٠٨، و فتح البارى: ج ١٢ ص ٢٧٧-٢٨٩، و إرشاد السارى: ج ١٠ ص ٩٣-١٠٢.

ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيه فإن كنت ذاكرا فضله فاذا ذكره بينك وبين أصحابك و في منازلكم سرا ... الخ (١).

٢١- و في حرب الجمل حمل محمد بن الحنفية على رجل من أهل البصره، قال: فلما غشيتته قال: انا على دين ابي طالب فلما عرفت الذي اراد كفت عنه (٢).

٢٣- و يقول ابن سلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره أن يصلى الصلاه لوقتها ثم يصلى مع الامراء الذين يؤخرون الصلاه نافله (٣).

٢٤- و قد صرح الخدرى بأنه يعمل بالتقيه فى ما يرتبط بموقفه من على عليه السلام ليحقق دمه من بنى أميه و استدل بآيه ادفع بالتي هي أحسن السيئه (٤).

و قد ذكر فى الصراط المستقيم للبياضى ج ٣ ص ٧٢-٧٣ موارد عديده أخرى فراجع.

التقيه ضروره فطريه عقليه دينيه اصلاحيه:

إن تشريع التقيه لهو خير دليل على شموليه الإسلام و مرونته، و اتساعه لكل الظروف و الأحوال. إذ لو كانت الرساله جافه و قاسيه، و لا تلاحظ الظروف الطارئه، و الأحوال العارضه، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، و تنهار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه فى حركتها الإصلاحيه و التكاملية.

فهو بتشريع التقيه، إنما يحافظ على الرساله من خلال حفاظه على

١- تاريخ الأمم و الملوك ج ٤ ص ١٢.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

٣- تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٥.

٤- سليم بن قيس ص ٥٣، مؤسسه البعثه- قم- ايران.

رائدها، و حافظها، و حاملها فى ذلك الظرف العصبى. و خير شاهد على ذلك هو تلك الفتره التى مر بها النبى صلى الله عليه و آله و المسلمون فى أول البعثه حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين.

و إن المحافظه على حامل الرساله من خلال مرونه الرساله، تكون ضروريه جدا حينما لا يكون للتضحيه به فائده، و لا عائده. إن لم يكن فى ذلك ضرر على الرساله نفسها حينما تفقد جنديا أميناً من جنودها، ربما تكون فى وقت ما بأمس الحاجه إليه.

فكثيراً ما يكون الحفاظ على الإسلام من خلال الحفاظ على جنوده الأبرار الأوفياء، و الذين يكونون دائماً على استعداد للتضحيه فى سبيله كلما اقتضى الأمر ذلك. فالتقيه إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا فى أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقيه، و لا عدمه.

و مما يدلنا على أن تشريع التقيه إنما هو للحفاظ على الرساله من خلال الحفاظ على جنودها، و ليس ذلك نفاقاً، و لا انهزاماً. لأن هؤلاء المخلصين الذين يراود الحفاظ عليهم هم دائماً على استعداد للبدل و العطاء: أن الإمام الحسين عليه السلام الساكت فى زمان معاويه هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلى يا سيوف خذيني فسكوته هناك كان حفاظاً على الدين و الحق؛ تماماً كما كانت ثورته هنا حفاظاً على الحق و الدين. و قد تكلمنا على هذه النقطة فى حلف الفضول.

و لأجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء و التضحيه؛ فإن الإسلام يأمر به، و لا يتسامح مع من يمتنع عنه.

و أيضاً، فلو كان فى الإسلام جفاف و قسوه؛ فربما يبعث ذلك

الكثيرين على التخلي عنه، أو بالأحرى على عدم الإقدام عليه. و لسوف يأتي في إسلام وحشى و غيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمدا لا يقتل أصحابه.

فمرونه الإسلام هذه هى التى أعطته قوه الدفع هذه، و مكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيره، و المصاعب الخطيره، التى واجهته عبر التاريخ.

و واضح: أن مرونة الإسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل فى الأحكام؛ ليهون على البعض اعتناق الإسلام، بل هى من قبيل الحفاظ على الإسلام و المسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ و الرساله. و حيث يكون فى عدم التقية هدر للطاقات و الإمكانيات، حيث لا- جدوى من هدرها. و ليكن ذلك هو الفرق بين التقية و بين النفاق الذى يحلو للبعض أن ينز به- ظلما و عدوانا- من يعتقد بمشروعيه التقية.

و قد رأينا: أنه صلى الله عليه و آله، حينما جاءته بعض القبائل و هى قبيله ثقيف، و طلبوا منه أن يعطيهم فرصه لعباده أصنامهم، و أن لا يفرض عليهم الصلاه لأنها صعبه عليهم، و أن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى أنه صلى الله عليه و آله قبل بهذا الأخير، و رفض الأولين (١).

١- تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٥، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه): ج ٣ ص ١١، و الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، و السيره النبويه لابن كثير: ج ٤ ص ٥٥، و السيره النبويه لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥، و البدايه و النهايه: ج ٥ ص ٣٠، و المواهب اللدنيه: ج ١ ص ٢٣٦. و بهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موفقا حين أصر على الاقتصاص من جبله بن الأ-يهم الذى دخل فى الإسلام جديدا. و كان ملكا فى قومه، و لم يتعرف بعد بعمق على عظمه و خصائص الاسلام و مميزاته الفريده، إذ قد كان عليه أن يراعى الموقف، و يحل المشكله بأسلوب مرن آخر.

كما أنهم قد طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنا، و شرب الخمر، و الربا، و ترك الصلاة (١). نعم فرفض ذلك، و لم يأخذ بنظر الإعتبار أن هذه قبيله تريد أن تسلم، فيتقوى بها الإسلام، و يضعف بذلك جانب أعدائه و مناوئيه.

و هى فى خلال هذه السنه تكون قد تعرفت على الإسلام و تدربت عليه. نعم، لقد رفض السماح لها بعباده صنمها، الذى عبدهه عشرات الأعوام، و لو لمدته سنه واحده أيضا. بل هو يرفضه و لو كان لساعه واحده، لأنه لا يريد أن يستفيد من أیه وسيله من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه يعتبر الوسيله جزآ من الهدف، و منه تستمد قدسيتها، كما سبق.

و لكنه فى مقابل ذلك: لو أساء إليه أحد الناس مثلا؛ فإنه على استعداد لأن يعفو عنه، و لكن شرط: أن يعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، و أن هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلك مشروعيه الأمر الذى ارتكبه، فإن ذلك العفو يكون مرفوضا جملة و تفصيلا.

و خلاصه الأمر (٢): إنه إذا كان المسلم ضعيفا، فإنه لا مبرر لأن يدخل فى صراع عنيف مع الآخرين، ينتهى بالقضاء عليه، أو عليه و على عقيدته؛ لان المبدأ لا يستفيد من صراع كهذا، بل ربما يلحق به الضرر. و كذا إذا كان الحفاظ على الحق يحتاج إلى غطاء واق من

- ١- السير النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه): ج ٣ ص ١١، و المواهب اللدنيه: ج ١ ص ٢٣٦، و تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧. و راجع بالنسبه لترك الصلاة المصادر التاليه: الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، و كذا فى السير النبويه لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٥، و السير النبويه لابن كثير: ج ٤ ص ٥٦، و البدايه و النهايه: ج ٥ ص ٣٠.
- ٢- هذه الخلاصه مقتبسه من كلمات للعلامه الجليل السيد محمد حسين فضل الله فى: مفاهيم اسلاميه عامه الحلقة ٨ ص ١٢٧.

الإضطهاد، الذى يحاول القضاء عليه جملة و تفصيلا، بالأساليب الوحشية التى لا تخضع للفكر، و لا تستجيب لشروط الصراع المبدأى و ظروفه.

و ليكن هذا دليلا آخر على عظمه الإسلام، و على شموليته، و انسجامه مع واقع الحياه، و مع كل ظروفها و مناخاتها.

ص: ١١٨

الفصل الثاني: هجره الحبشه

اشاره

لا بد من حل:

لقد استمرت قريش فى تعذيب من يدخل فى دين الاسلام ممن لم يكن لهم عشيره تمنعهم. و كان الإستمرار فى هذا الوضع غير ممكن. فقد كان و أصبح لا- بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، و مواجهه الصعاب، و يجعلهم أقدر على مقاومه الضغوط التى يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهيه و حاكميه فوق ألوهيتهم و حاكميتهم، و آثروا الإستكبار و العناد على الرضوخ و الإنقياد.

و من جهه ثانيه: فإن استمرار هذا الوضع الذى يواجهه المسلمون، الملىء بالآلام و المشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول فى الإسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، و التعذيب و المصائب.

و من جهه ثالثه: فقد كان لا بد من تسديد ضربه لكبرياء قريش و جبروتها- و لو نفسيا- لتدرك: أن قضيه الدين تتجاوز حدود تصوراتها و قدراتها- و أن عليها: أن تفكر بموضوعيه و عقلانيه أكثر.

فكان أن اختار رسول لله (صلى الله عليه و آله و سلم) للمسلمين الهجره

إلى الحبشه. و كانت هجرتهم إليها فى السنه الخامسه من البعثه.

سر إختيار الحبشه:

و أما عن سر اختيار رسول الله صلى الله عليه و آله الحبشه مهاجرا للمسلمين، فقد أشار إليه صلى الله عليه و آله بقوله: (إن بها ملكا لا يظلم عنده احد، و هى ارض صدق) و (إنه يحسن الجوار).

و قد كان من الواضح أنه:

١- كان لا بدّ لقريش، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هى المهيمنه، و صاحبه الإختيار الأول و الأخير فى مصير هذا الدين، الذى تراه يتهدد كبرياءها و شرورها، و انحرافها.

٢- لقد كان لقريش نفوذ فى بلاد الروم و الشام، لما كان لها من علاقات تجاريه و إقتصاديه معها، فلهجره الى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم. و لا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأى من الاصول الأخلاقيه و الإنسانيه، و لم يكن لديهم مانع من ممارسه أى نوع من أنواع الظلم و الجور، و على الأخص بالنسبه لمن ينتسب إلى دعوه يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصيه، و تهدد كيانهم و جبروتهم.

و أما بلاد اليمن، و بعض المناطق العربيه و القبليه الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسى، المتجبر و الظالم. و يذكر هنا: ان بعض القبائل عندما عرض عليها النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) دعوته و طلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، و لكن ممادون كسرى (١)، و اما من كسرى، فلا.

١- السير الحلبيه: ج ٢ ص ٥ و ص ١٦، و السيره النبويه لابن كثير: ج ٢ ص ١٦٨.

و واضح: أن الإلتجاء إلى كسرى لا يقل خطرا عن الإلتجاء إلى بلاد الروم، خصوصا إذا رأى: ان هذا العربي- و هو بطبعه كان يحتقر العرب، و لا يرى لهم حرمه، و لا شأنا يذكر- لسوف يخرج في منطقته قريبه من بلاده، و قد تسرى دعوته إلى بلاده نفسها، و يؤثر ذلك على الإمتيازات الظالمه التي يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسه طبيعه دعوه ذلك النبي، و أهدافها.

٣- قد كان لقريش نفوذ قوى فى مختلف القبائل العربيه، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس و الروم. كما ربما يتضح مما ذكرناه فى أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

٤- ما ذكره النبي (صلى الله عليه و آله) من ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد:

فإن كل ذلك:

يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقى لاختيار بلاد الحبشه، البعيده عن النفوذ الفارسى و الرومى و القريشى، و التى لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد او راحله، و إنما بالسفن عبر البحار. و لم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختر الرسول (صلى الله عليه و آله) هذه البلاد بالذات لتكون ارضا لهجره المسلمين، الذين لا يزالون ضعافا أمام قوه قريش و جيروتها.

ثم اننا نستفيد من قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) عن ارض الحبشه: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطره، و يتعامل بالصدق و الصفاء، فيمكن لهؤلاء الثلثه من المسلمين المهاجرين ان يعيشوا مع هؤلاء الناس، و أن يتعاملوا معهم، لا- سيما و أنها بلاد لم يكن فيها من الإنحرافات و الافكار و الشبهات ما كان فى بلاد الروم و الفرس، التى كانت قد لوثتها المفاهيم و النظريات اللاإنسانيه، و الأديان

المنحرفه الى حد بعيد، و لم تتعرض بلاد الحبشه لمثل ذلك، فلم تنشأ فيها أديان، و لا كان فيها علماء و فلاسفه بالمستوى الذى كان فى دولتى الروم و الفرس فكانت اقرب الى الفطره، و الحق من غيرها.

و لكن هيمنه الفطره على بلاد الحبشه ليس معناه خلو تلك البلاد عن أى انحراف، فان وجود الإنحراف فيها أمر طبيعى، بل ان ذلك على حد قولهم: أهل البلد الفلانى مؤمنون، أو شجعان، أو كرماء، فإن ذلك لا يمنع وجود البخيل و الكافر او الفاسق و الجبان فيها.

و من الواضح: ان المسلمين لو هاجروا إلى بلاد لا تهيمن عليها الفطره، و كان لها ملك لا يأبى عن الظلم فسوف تصعب عليهم الحياه و الإستمرار فيها، و لم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائده، و لا جليل أثر.

الهجره الى الحبشه:

و هاجر المسلمون بأمر من رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الحبشه، ذهبوا إليها ارسالا على حسب روايه أم سلمه، (١) و يقال: إنه سافر أولا- عشره رجال و أربع نساء عليهم عثمان بن مظعون (٢)، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا فى الحبشه اثنين او ثلاثا و ثمانين رجلا، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم. و تسعه عشر إمراه عدا الأطفال.

و قد كانت هذه الهجره فى السنه الخامسه من البعثه كما نص عليه عامه المؤرخين.

-
- ١- السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٧، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ عن الصفوه و المنتقى.
 - ٢- سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥، و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٥، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٦٧، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٤، قال: و به جزم ابن المحدث فى سيرته، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨.

و لكن عند الحاكم: أن هجره الحبشه قد كانت بعد وفاه أبى طالب (١)، و هو إنما توفى فى السنه العاشره من البعثه.

إلا إذا كان الحاكم يتحدث عن هجره جديده قام بها بعض المسلمين فى هذا الوقت، لعلها عوده الراجعين الى مكه بعد سماعهم بالهدنه، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم.

و لكننا لا نملك شواهد تؤيد أن ذلك كان فى تلك السنه بالذات.

و كيف كان فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجره واحده للجميع، عليها جعفر بن ابى طالب (عليه السلام)، الذى لم يكن غيره من بنى هاشم فلم يكن ثمه هجرتان، عشره اولاً، ثم الباقيون ثانياً، و إن كان خروجهم إنما كان ارسالا حفاظا على عنصر السريه، و ذلك بدليل الرساله التى وجهها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى ملك الحبشه مع عمرو بن أميه الضمرى، و التى جاء فيها:

(قد بعثت إليكم ابن عمى جعفر بن ابى طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ...) (٢). و هذا هو الظاهر من روايه أخرى عن أبى موسى، قال: (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى ارض النجاشى إلخ...) (٣).

و إن كانت هجره أبى موسى هذه محل شك كما سنرى.

١- مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٦٢٢.

٢- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٣ و البحار ج ١٨ ص ٤١٨، و اعلام الورى ص ٤٦-٤٥ عن قصص الانبياء.

٣- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٠ عن ابى نعيم فى الدلائل، و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١١.

أمير الهجره جعفر:

و نعتقد: إن هجره جعفر إلى الحبشه، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانه أبى طالب، و تراعى جانبه، و جانب بنى هاشم بصوره عامه. و إنما ارسله النبي صلى الله عليه و آله مع المهاجرين ليكون أميرا عليهم، و مدبرا لأموارهم، و مشرفا على شؤونهم و مصالحهم، و حافظا لهم من ان يذوبوا فى هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبه الى ابن جحش الذى تنصر فى الحبشه.

من هو أول مهاجر إلى الحبشه؟:

و يقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر الى الحبشه بأهله، و أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد قال عنه بهذه المناسبه: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (١). و قيل إنه كان أول خارج أيضا (٢).

و نحن نشك فى ذلك، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمه - كما يقولون - هو أول من هاجر بأهله (٣). و إن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: أن أول خارج كان حاطب بن أبى

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٦٦ عن ابن اسحاق، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٣، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٧٥.

٢- سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٦٦ عن البيهقى، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٢٣.

٣- الاصابه ج ٢ ص ٣٣٥، و راجع ج ٤ ص ٤٥٨ / ٤٥٩ و الاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٣٨ عن: مصعب الزبيرى، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٦٢، و أسد الغابه ج ٣ ص ١٩٦ عن أبى عمر، و ابن منده، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٣، و ذخائر العقبى: ص ٢٥٣.

عمر (١)، أو سليط بن عمرو (٢). كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبي سلمه فراجع، و ستأتى الإشارة إلى هذا إن شاء الله تعالى.

هجرة أبى موسى إلى الحبشه لا تصح:

روى الإمام أحمد بسند حسن، و غيره: أن أبى موسى الاشعري كان فى جمله من هاجر الى الحبشه فى الهجره الأولى (٣).

و لكن الظاهر هو أن هذا وهم او إدراج عمدى من الراوى، فإن أبى موسى لم يسلم إلا فى المدينه فى السنه السابعه من الهجره، و قيل: إنه خرج فى جماعه إلى النبى فألقتهم سفينتهم الى الحبشه، فجاءوا مع مهاجرى الحبشه الى المدينه، فى سنه سبع من الهجره (٤).

و يظهر: أن ذلك قد حدث بعد الهجره إلى المدينه، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده (صلى الله عليه و آله و سلم) الى مكه، و لا ليقموا هذه السنوات الطويله فى الحبشه.

و الظاهر أنه التقى بمهاجره الحبشه فى الطريق، فقد قال العسقلانى: (صادفت سفينته سفينه جعفر بن أبى طالب، فقدموا جميعا) (٥).

١- الاصابه ج ١ ص ٣٠١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٣.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٣.

٣- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٤٧، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٦٧ و ٦٩ و ٧٠ عن ابن اسحاق و أحمد و عن ابى نعيم فى الدلائل و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٧ و ٩، و فتح البارى، ج ٧ ص ١٤٣ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤ عن الطبرانى و حليه الاولياء ج ١ ص ١١٤.

٤- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٤ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧١.

٥- الاصابه: ج ٢ ص ٣٥٩.

رقه عمر للمهاجرين

و يقولون: إن عمر رأى المهاجرين، و هم يتهيأون للخروج إلى الحبشه، فرق لهم، و أحزنه ذلك (١).

و ذلك لا يصح، لأن خروجهم كان سرا، متسللين، منهم الراكب، و منهم الماشى، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينه فأقلتهم فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا البحر، فلم يجدوا أحدا منهم (٢).

هذا كله، عدا عن شدة عمر و غلظته، التى تدعى له قبل و بعد الهجره الى الحبشه على من اسلم، و تعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلك لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

هجرة ابى بكر لا تصح:

و يقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقيه من بمكة من المسلمين، و ضاقت مكة على أبى بكر، و أصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمين فى الشعب مهاجرا الى الحبشه، فلما وصل الى برك الغماد- موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن- لقيه ابن الدغنه، سيد قبيله (القاره)، و كانوا حلفاء لبني زهره من قريش، فقال له: أين تريد يا أبى بكر، فقال: أخرجنى قومى؛ فأريد أن أسيح فى الارض، و أعبد ربى، فقال ابن الدغنه: مثلك يا أبى بكر لا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٩ عن ابن اسحاق، و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤، و مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٥٨ و الطبرانى، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٣/٣٢٤.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٤، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨ / ٢٨٩ عن المنتقى و الطبرى ج ٢ ص ٦٩ و راجع البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٩، و اعلام الورى ص ٤٣ و اليعقوبى ج ٢ ص ٢٩ و زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٤.

فرجع، و رجع معه ابن الدغنه، فطاف عشيه فى أشراف قريش، و أعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه فى داره، و لا يستعلن.

و لكن أبا بكر ابنتى بعد مده، مسجدا فى بنى جمح، بجوار داره يصلى فيه، و يقرأ القرآن، و جعل نساء المشركين، و أبناؤهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض. و كان له صوت رقيق، و وجه عتيق أى جميل. فراجع المشركون ابن الدغنه فى ذلك، فأتاه فطالبه، فرد عليه ابو بكر جواره (١).

و نحن نشك فى ذلك، إذ مع غض النظر عن:

١- أن إخراج قوم ابى بكر له لا يعنى أنه قد هاجر مختاراً مع أن ظاهر الكلام هو ذلك.

٢- و مع غض النظر عن أن هذا الحديث مروى عن عائشه فقط- و هو عجيب!!- فهم يدعون:

أنها كانت حينئذ صغيره السن جدا لا يمكن ان تعى كل تلك الأمور و الخصوصيات، و إن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير اليه. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ١٢٧ هجره ابى بكر لا تصح: ص :

١٢٦

٣- أضف الى ذلك: أنها لم توضح لنا عمن روت ذلك.

و دعوى البعض: أن إرسال الصحابى لا يضر، لأنه يروى عن صحابى مثله؛ و هم عدول كلهم.

١- راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٢٧ / ١٢٨، و سيره ابن هشام ج ٢ ص ١٢-١٣، و شرح النهج ج ١٣ ص ٢٦٧، و المصنف ج ٥ ص ٣٨٥ / ٣٨٦ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٩٤ و ٩٥، و فى تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٠ / ٣١٩ ان ذلك كان فى الثالثه عشره من البعثه، و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ عن البخارى ص ٥٥٢.

لا تصح، فأما بالنسبة لعدالتهم جميعا، فقد أثبتنا عدم صحه ذلك فراجع مقالنا: الصحابه فى الكتاب و السنه، فى كتابنا:

دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام، الجزء الثانى.

و أما دعوى: أن إرسال الصحابى إنما هو عن صحابى مثله، فهى أيضا غير صحيحه، لجواز أن يكون الصحابى قد روى عن غير صحابى، كما كان أبو هريره يروى عن كعب الأحبار (١).

نعم، إننا مع غض النظر عن ذلك كله، نسجل هنا الأمور التاليه:

أولا: إن الروايه تنص على أن ابن الدغنه كان حليفا لبني زهره من قريش، فكيف أجار على قريش مع أن الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الأخنس بن شريق، حينما طلب منه النبى أن يجيره ليدخل مكه، حسبما يدعون (٢).

و ثانيا: لماذا بعد أن ردّ جوار ابن الدغنه لم تؤذ قريش و لم تخرجه، و إذا كانت قبيلته قد منعتة الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولا. و إذا كانت قد أقنعتهم تقريظات ابن الدغنه لأبى بكر، فلماذا لم تقنعهم أولا، حتى احتاج أبو بكر الى جواره!؟.

و ثالثا: لقد رد الاسكافى على الجاحظ المدعى لهذه القضيه بقوله:

(كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون و تضربه، و هو عندهم ذو سطوه و قدر، و تترك أبا بكر يا بنى مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم؟ و أنتم الذين

١- راجع: شيخ المضيره للشيخ محمود أبى ريه، و أبو هريره للسيد شرف الدين رحمهما الله تعالى، و راجع ترجمه كعب الأحبار فى: سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٠ و غيره.

٢- اعلام الورى ص ٥٥ و البحار ج ١٩ ص ٧ عن القمى، و سيره ابن هشام ج ٢ ص ٢٠، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٣٧، و السيره الحلييه ج ١ ص ٣٦٠، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٤٢، و بهجه المحافل ج ١ ص ١٢٦.

رويتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب. و الذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر.

و أما ما ذكرتم من رقه صوته، و عناق وجهه، فكيف يكون ذلك، و قد روى الواقدي، و غيره: أن عائشه رأّت رجلا من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجنأ (يعنى مائل الظهر)، لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا. فلا أراها دلت على شيء من الجمال في صفته (١).

و يدل على صحه ما ذكره الاسكافي حول جمال أبي بكر: أن المقدسي، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه و عتقه، يقول: (كان أبيض البشره، مشربا حمره، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتىء الجبهه، عارى الاشاجع، أحنى لا يمسك إزاره، و يسترخى عن حقويه، و كان الخ... و كذا قال غيره (٢).

هذا كله عدا عن قولهم: إنه لقب ب (عتيق) لأن الرسول قال له:

(هذا عتيق من النار) فيومئذ سمي عتيقا، و كان اسمه قبل ذلك: عبد الله بن عثمان (٣) و ذلك ينافى قولهم: إنه عتيق لجمال وجهه.

و رابعا: لقد نصت الروايه على أن أبا بكر قد ابتنى مسجدا في بنى جمح. و لكننا نجدهم يقولون: إن مسجد قباء كان أول مسجد بنى في الإسلام (٤). و يقولون أيضا: إن عمارا كان أول من بنى مسجدا في

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٦٨ عن الاسكافي.

٢- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٧٦ / ٧٧، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٩، و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦١٥.

٣- كشف الأستار عن مسند البزار: ج ٣ ص ١٦٣، و مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٤٠.

٤- وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٥.

الإسلام (١).

و حاول البعض الإجابة عن هذا بأن المقصود: هو أن مسجد قباء كان أول مسجد بنى فى المدينة. و أن عمارا كان أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين (٢).

و قد فاته: أن إطلاق قوله: فى الإسلام يدفع الأول، و إطلاق كون عمار أول من بنى مسجدا؛ يدفع الثانى، كما أن ثمة تصريحاً بأنه أول من بنى فى بيته مسجدا يتعبد فيه (٣).

و خامسا: نحن بحاجة إلى إجابات على الأسئلة التاليه: لماذا يترك أبو بكر يا بنى مسجدا فى بنى جمح؟. و كيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدى؟. و لماذا لم يدرك التميميون صفات أبى بكر النبيله تلك، و يدعونه يخرج، ثم يدركها ابن الدغنه؟!

و لماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيله التى أقرت بها، و تركته يخرج؟! بل و لماذا عذبتة أشد العذاب؟! مع علمها بما ذكره ابن الدغنه عنه!!.

فضيله عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

و الذى نظنه قويا هو أنهم ارادوا: أن يجعلوا له فضيله سبق إليها عثمان بن

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٥، و طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٩ و ١٧٨ و الاعلاق النفيسه ص ١٩٦ و تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١، و الغدير ج ٩ ص ٢٠ عنهما. و الاوائل للطبرانى ص ١٠٩ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ١٤٣.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠.

٣- طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٧٨ و ذكره فى البدايه و النهايه ج ٧ ص ٣١١، و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٥ فانه صرح بأن هذا المسجد كان خاصا بالذى بناه.

مظعون؛ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشه مع من رجع، بعد شهرين من الهجره، و فوجى ء بأن الامر بين المشركين و النبي صلى الله عليه و آله لا يزال على حاله، دخل مكه بجوار الوليد بن المغيره.

و لكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، و هو يغدو و يروح فى أمان. صعب عليه ذلك، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بن أخى، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، و لكنى أرضى بجوار الله عز و جل، و لا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد على جوارى علانيه، كما أجزتك علانيه.

فانصرف معه، ورد عليه جواره علانيه فى المسجد (١).

محاولة قريش اليأسه:

و بعد أن صحا مشركوا مكه من عنف الصدمه. (و رأى قريش استقرارهم فى الحبشه و أمنهم)، على حد تعبير البعض (٢) ائتمرت فيما بينها، و قررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشه لاسترداد المهاجرين.

و وقع اختيارهم على عمرو بن العاص، و يقال: و على عماره بن الوليد أيضا، فأرسلوهما إلى النجاشى بهدايا له و لبطارقتة. (و جرى بين عماره و عمرو بن العاص فى الطريق شىء مشير، يرتبط بالعلاقه بين عماره و زوجه عمرو فاحتملها له عمرو ليكيده فى الوقت المناسب) ..

و ادعى امام النجاشى: أنه (قد ضوى إلى بلدك منا غلمان

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٩٢، و قد ذكرت هذه القضيه فى مختلف المصادر التاريخيه فلا حاجه إلى تعدادها.

٢- سيره مغلطاي ص ٢٢.

سفهاء، فارقوا دينهم، و لم يدخلوا فى دينك. و جاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت. و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، و أعمامهم، و عشائهم لتردهم اليهم الخ).

فرفض تسليمهم اليهم حتى يسألهم عن صحه ما جاء به عمرو و عماره، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: (أيها الملك، كنا قوما أهل جاهليه، نعبد الاصنام، و نأكل الميته و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل، منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته، و عفافه؛ فدعانا الى الله لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجاره و الأوثان. و أمرنا بصدق الحديث و أداء الامانه، و صلته الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاه، و الزكاه، و الصيام الخ .. (١)).

و قرأ عليه جعفر بعض سوره الكهف: فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، و كذلك اساقفته؛ ثم قال النجاشى: إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاه واحده انطلقا، فو الله لا أسلمهم اليكما، و لا يكادون.

ثم غدا عمرو فى اليوم التالى؛ ليخبر النجاشى، بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل اليهم؛ فسألهم؛ فقال له جعفر:

نقول فيه الذى جاء به نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم): هو عبد الله

١- ذكرت الزكاه و الصيام فى مختلف المصادر؛ فراجع سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠، و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢١، و الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٨٠ (و لم يذكر الزكاه) و اعلام الورى ص ٤٤ و لم يذكر الصيام و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، و حليه الأولياء ج ١ ص ١١٤، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٤٠. و ستأتى بقيه المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاه و الزكاه كان فى مكه، و ذلك قبيل الكلام عن غزوه بدر ان شاء الله تعالى.

و رسوله، و روحه و كلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشي عودا، و قال: و الله، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

فتناخرت بطارقتة، فقال: و ان نخرتم، إذهبوا فأنتم شيوم: أي آمنون، من سبكم غرم- قالها ثلاثا- ما أحب ان لى دبرا- أى جبلا- من ذهب و أنى آذيت رجلا منكم.

ثم رد هدايا قريش (١).

و قد روى عن الإمام الحسين عليه السلام: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشه مرتين ليكيد المسلمين، فرد الله تعالى كيده إلى نحره، و باء بغضب من الله تعالى. (٢)

ملاحظه:

قد شكك البعض فى صحه هذه الروايه، و ذلك لذكر الصيام فيها، و هو انما شرع فى المدينه (٣).

و لكنه كلام باطل؛ فإن الصيام، و الزكاه، و غير ذلك، كله قد شرع فى مكه، و لسوف يأتى إن شاء الله بيان ذلك فى هذا الكتاب حين الحديث على ما بعد الهجره.

و يرى بعض الاعلام: أن منشأ هذه التحقيقات الرشيقه لأحمد أمين، و من هم على شاكلته، هو التشكيك فى موقف يظهر بطوله جعفر، و جراته و حكمته، و عقله، و درايته.

١- راجع المصادر المتقدمه.

٢- راجع: الإحتجاج: ج ١ ص ٤١١ / ٤١٢، و السيره النبويه لابن كثير: ج ٢ ص ٢٧، و البدايه و النهايه: ج ٣ ص ٧٦.

٣- هذا ما ذكره أحمد أمين فى كتاب فجر الإسلام ص ٧٦ و لعله اقتبس من السيره الحلبيه: ج ١ ص ٣٣٩.

و قد ابتلى جعفر أيضا بمثل هذا الإجحاف في حقه في مورد آخر، و هو كونه الأمير الأول في غزوه مؤته، فإن لهم اهتماما خاصا في إبعاد جعفر عن هذا المقام و التأكيد على ان الامير الأول هو زيد بن حارثه رحمه الله كل ذلك من أجل اخوته لعلى و قرابته منه. (١)

قريش، و خططها المستقبلية:

حقا لقد كانت هجره المسلمين الى الحبشه ضربه قاسيه لقريش، أفقدتها صوابها، و زعزعت وجودها و كيائها؛ فحاولت أن تتدارك الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، و إبقائهم تحت سلطتها، و لكن بعد فوات الاوان.

و كان أن اضطرت قريش للمره الأولى لمراجعته حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها؛ و ذلك لأنها:

١- أدركت أن الإستمرار في تعذيب المسلمين، الذين اصبحوا متفرقين في مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى و لا جليل اثر، إن لم يكن سببا في اثاره حرب داخلية، تكون عواقبها السيئه على سمعتها و كرامتها كبيره و خطيره، حينما لا توافق كل قبيله على التصفيه الجسديه للمنتمين إليها، للمنطق القبلى. الذى ما زالوا يتعاملون على أساسه، حتى في مواقفهم من هذا الدين الجديد، و مناهضتهم لمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، و دعوته، رغم إجماعهم على العداة له و لها. و يكفى أن نشير هنا إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيله تعذيب الذين يتسبون إليها!!.

٢- لقد رأت قريش: أن محمدا صلى الله عليه و آله يريد أن تكون دعوته انسانيه عالميه، لا- تختص بعرب مكه و الحجاز و أدركت أن هجره

١- راجع كتابنا: دراسات و بحوث في التاريخ و الإسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمير الاول في غزوه مؤته.

هؤلاء إلى الحبشه لم تكن متمحضه فى الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب. هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكيه أيضا.

و يمثلون رصيذا يملكه الإسلام و المسلمون، و يدّخرونه للوقت المناسب، و أصبح واضحاً لكل أحد: أن القضاء على مسلمى مكه لا يعنى القضاء على الإسلام.

٣- و ترى كذلك: أن معنى هجره المسلمين هذه، و خروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون امام مواجهه شامله، و ان مصالحها فى معرض التهديد و البوار.

و قد رأت أن أبا ذر باقامته بعسفان على طريق القوافل، و كلما أقبلت غير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله الا الله و ان محمدا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). و ظل على ذلك الى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلك المضايقه الشديده مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل و أيسر، لأنه فى منطقتها، و يمكن تطويقه، و الحد من نشاطه بسرعه؛ لأنه بين أمه كلها تدين لقريش بالولاء، و تقول بمقاتلتها، كما أنهم ينظرون إليه على انه غريب و معتد.

إذن فإن وجود المسلمين- و هم من قريش فى الصميم فى منطقه بعيده عن نفوذ القرشيين و سلطانهم، و فى ملجأ أمين، و منطلق مطمئن.

ليشكل أعظم الاخطار على قريش و مصالحها، الأمر الذى يحتم عليها التريث و الصبر، و إحكام التدبير، لا سيما و أنها لا تجد الى تصفيه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) جسدياً حيله، و لا الى إسكاته سبيلاً، ما دام فى حمايه شيخ الابطح، أبى طالب (عليه السلام) و الهاشميين، باستثناء أبى لهب لعنه الله.

فأرسلت الى النجاشى ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعوا

إليها بالفشل الذريع و الخيبة القاتله، فافقدها ذلك صوابها و أصبحت تتصرف بدون وعى، و لا تدبر، فعدت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب و التنكيل. و جعلت تتعرض للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسخرية، و الاستهزاء، و الإتهام بالجنون و السحر، و الكهانه، و بأنواع مختلفه من الحرب النفسيه و الأذى.

الثوره على النجاشى:

و كان وجود المسلمين فى الحبشه، قد تسبب للنجاشى ببعض المتاعب؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه. و لكنه استطاع أن يخمد الثوره بحسن إدراكه و وعيه، و استمر المسلمون عنده فى خير منزل، و خير جار، حتى رجعوا إلى المدينه، بعد هجره النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) إليها كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

فيروى محمد بن إسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

اجتمعت الحبشه، فقالوا للنجاشى: إنك فارقت ديننا، و خرجوا عليه، فأرسل الى جعفر و أصحابه، فهياً لهم سفناً، و قال: اركبوا فيها و كونوا كما أنتم؛ فان هزمت؛ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شتم. و ان ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم فى الامر، فانصرفوا عنه (١).

و كان ذلك قبل إيفاد قريش عمروا و عماره، بدليل قول النجاشى لهما (فو الله) ما أخذ الله منى الرشوه حين رد على ملكى، و لا أطاع الناس فى، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؛ فلا حاجه لى بها، و أخرجنا من بلادى، فخرجنا مقبوحين (٢).

١- سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٦٥، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٧، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٠٢.

٢- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٥ عن ابن اسحاق، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٦٢.

و قد كانت هذه الفترة التي اعقبت هجره المسلمين الى الحبشه قد تميزت بهدوء نسبي، و لعله استمر إلى عوده عمرو بن العاص من الحبشه إلى مكه بالخييه و الخسران.

عوده بعض المهاجرين:

و تسربت انباء الهدنه القصيره و العفويه غير المعلنه التي حصلت في مكه الى مسامع المسلمين في الحبشه. و رأى المسلمون ما جرى للنجاشي بسببهم، فارتأى فريق منهم العوده الى مكه، بعد شهرين، او ثلاثه أشهر، و عاد منهم أكثر من ثلاثين رجلا، و دخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيره، و كان ما كان من رده جوراه، و رضاه بجوار الله تعالى، حسبما تقدم.

نعم هذا هو السر في رجوع بعض المهاجرين من الحبشه، و ليس ما ذكره اعداء الاسلام من قصه الغرانيق التي لا شك في كذبها كما سنرى.

قصه الغرانيق

و ملخص هذه القضييه المكذوبه: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشه بحوالى شهرين؛ جلس رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مع المشركين، فأنزل الله تعالى عليه سوره النجم؛ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى، وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، و سوس اليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظانا انهما من جمله الوحي و هما: (تلك الغرانيق [\(١\)](#) العلى، و ان شفاعتهن لترتجى)، ثم مضى في السوره، حتى اذا

١- الغرانيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الاصنام بها لارتفاعها في السماء فتكون الاصنام مثلها في رفعه القدر، و الغرنوق أيضا: الشاب الابيض الناعم.

بلغ السجده، سجد و سجد معه المسلمون و المشركون. لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، او لتكبره- على الخلاف- فرفع ترابا الى جبهته فسجد عليه، و قيل: إن الذي فعل ذلك هو سعيد بن العاص، و قيل كلاهما، و قيل: أميه بن خلف، و صحح، و قيل: أبو لهب، و قيل: المطلب.

و أضاف البخارى سجود الانس و الجن، الى مجموع المسلمين.

و المشركين و طار الخبر فى مكه، و فرح المشركون، بل و يقال: انهم حملوا الرسول، و طاروا به فى مكه من اسفلها إلى أعلاها.

و لما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السوره، و ذكر الكلمتين فيها؛ فأنكرهما جبرئيل؛ فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): قلت على الله ما لم يقل؟ فأوحى الله إليه: وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، لَتُفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرُهُ، وَ إِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا، وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَاكَ، لَقَدْ كَدَّتْ تَزَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا، إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاءِ، وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (١).

و قد استدلوا على صحه هذه الروايه بالآيه التى يدعون: انها نزلت بهذه المناسبه و هى قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْتِنَتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الْخ. و عدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق (٢).

١- الاسراء / ٧٣-٧٥.

٢- راجع: الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ و ٣٦٦-٣٦٨ و السيره الحلييه ج ١ ص ٣٢٥-٣٢٦، و تفسير الطبرى ج ١٧ ص ١٣١-١٣٤، و فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٣.

و يقولون: إنه لما سمع المسلمون في الحبشه بالسلام و الوثام بين النبي و قريش عادت طائفه منهم إلى مكه، فوجدوا الأمر على خلاف ذلك.

و نحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، و افتعالها. و يشار كنا في هذا الاعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: (هذا من وضع الزنادقه). و صنف في تفنيدها كتابا (١).

و قال القاضي عبد الجبار عن هذا الخبر: (لا أصل له، و مثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحده) (٢).

و قال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه. (٣)

و أنكرها البيضاوى، طاعنا في أسانيدها، و كذا البيهقي، و النووى و الرازى، و النسفى، و ابن العربى، و السيد المرتضى، و فى تفسير الخازن: أهل العلم و هنوا هذه القصة (٤).

و قال عياض: (إن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحه، و لا رواه ثقه بسند سليم متصل، و انما أولع به، و بمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب، و المتلقفون من الصحف كل صحيح

١- راجع: البحر المحيط لأبى حيان ج ٦ ص ٣٨١.

٢- تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٤٣.

٣- عن تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨١.

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ١١، و الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٣٠، و الرحله المدرسيه ص ٣٨. و فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٣، و تفسير الرازى ج ٢٣ ص ٥٠.

و سقيم. و صدق القاضي بكر بن العلاء المالكي، حيث قال: لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء و التفسير، و تعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته و اضطراب رواياته، و انقطاع أسناده و اختلاف كلماته (١)

و نحن نؤيد ما قاله:

فأولاً: إن جميع روايات هذه القصة سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، او منقطع (٢) و حديث سعيد مرسل، و المرسل عند جمهور المحدثين من قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قدرناه عن غير الثقة (٣).

و أيضاً فان الاحتجاج بالمرسل لو سلم؛ فإنما يكون في الفرعيات و ما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التي تحتاج الى القطع. هذا و الملاحظ لأسانيدنا يراها تنتهي: إما الى تابعي او إلى صحابي لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذه الرواية يجب ردها و القطع بكذبها، و لو كان سندها متصلاً، لأنها مصادمه لحكم العقل كما سنرى و بهذا رد على القسطلاني، و العسقلاني، و آخرين حيث قد حكموا بصحتها، و بان لها أصلاً لكثرة طرقها (٤).

و ثانياً: تناقض رواياتها، و قد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، و نزيد هنا: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قرأها و هو يصلي. أو و هو جالس في نادى قومه.

١- الشفاء ج ٢ ص ١٢٦ ط العثمانيه و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٥٣.

٢- فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

٣- راجع: مقدمه ابن الصلاح ص ٢٦.

٤- فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، و السيره الحلييه ج ١ ص ٣٢٦ و راجع سيره مغلطاي ص ٢٤ المواهب اللدنيه ج ١ ص ٥٣.

حدث نفسه بها .. أو جرت على لسانه.

الشیطان أخبرهم: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قالها. أو قرأها المشركون.

تنبه (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قراءتها.

او لم يتنبه الى المساء.

بل ذكر الكلاعى: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشه: أن المسلمين قد آمنوا فى مكة، فقدم مسلموها، و نزل نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين الله قضاءه اشتد المشركون على المسلمين (١). إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف.

و يقولون: لا حافظه لكذوب.

و ثالثا: إن هذه الروايه ليس فقط تنافى ما هو مقطوع به من عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الخطأ و السهو. و على الأخص فى أمر التبليغ، و هو ما قام عليه إجماع الأمة، و الادله القطعيه. و إنما هى تثبت الإرتداد له (صلى الله عليه وآله وسلم) نعوذ بالله من الغوايه، عن طريق الحق و الهدايه.

و رابعا: ان هذه الروايه تنافى قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٢) و قوله: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣). إلا- أن يفرض هؤلاء- و العياذ بالله-: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من عباد الله، و لا من الذين آمنوا، و لا من المتوكلين.

و ليس هذا القول إلا الكفر بعد الايمان، كما هو ظاهر للعيان.

١- راجع: الاكتفاء للكلاعى ج ١ ص ٣٥٢ / ٣٥٣.

٢- الاسراء الآيه ٦٥.

٣- النمل الآيه ٩٩.

و خامسا: ينص الكلاعى على ان المشركين و المسلمين قد سجدوا جميعا لما بلغ النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) آخر السوره. و أن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنه المشركين مع انه يصرح قبل ذلك بأسطر: ان الشيطان قد ألقى تلك الكلمات على لسان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه (١)!!

فيرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و لم يسمعه المسلمون، و هم معهم، و لا بد أنهم كانوا أقرب اليه (صلى الله عليه و آله و سلم) منهم؟!.

و سادسا: إن جميع الآيات المذكوره لا يمكن ان تكون ناظره الى مناسبه هذه الروايات إطلاقا؛ فأما:

١- آيات سوره النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين:

مناه، و اللات، و العزى: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٢).

فكيف رضى المشركون بأن يذم آلهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاك و سجدوا معه؟! و كيف لم يدركوا أو كيف فسّروا هذا التناقض الظاهر فى كلامه، حتى حملوه- كما زعم- و طاروا به فى مكه من أسفلها إلى أعلاها و هم يقولون: نبى بنى عبد مناف؟!.

و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، و بقى غافلا عنه الى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه

١- المصدر السابق ص ٣٥٢.

٢- النجم الآية ٢٣.

إليه؟! فهل كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في غيبوبه طيله تلك الفتره؟! أم أنه كان سقيم الذهن - و العياذ بالله - إلى هذا الحد؟!

ثم، أليست هذه الروايه تناقض تماما قوله تعالى في سورة النجم نفسها، و بالذات في أول السوره بعد القسم: (و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا - وحي يوحى)؟! فهذا هو في نفس السوره ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان. على انه آيات قرآنيه إلهيه. مع ان الله تعالى يقول:

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١) فَمَا هُوَ يَتَقَوْلُ عَلَيْهِ وَ لَا يَفْعَلُ بِهِ شَيْئًا (٢).

و اذا كانت هذه الآيه قد نزلت بعد سورة النجم، فان ذلك لا يضر ما دامت الآيه تعطى قاعده كليه، و لا تشير إلى قضيه خارجيه خاصه.

٢- و أما آيه التمني، فهي في سورة الحج، التي هي مدنيه بالاتفاق، و لا سيما و أنه قدورد فيها الأمر بالأذان في الناس بالحج و الأمر بالقتال، و الأمر بالجهاد، و ذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، و كل ذلك إنما كان بعد الهجره، و بعضه بعدها بعده سنوات. هذا بالاضافه إلى أن الضحاك، و ابن عباس، و قتاده، و ابن الزبير و غيرهم، قد ذكروا أنها مدنيه.

و إذا كانت مدنيه، فهذا يعني: أن هذه الآيه قد نزلت بعد قصه الغرانيق بسنوات عديده، لأن قصه الغرانيق قد حصلت!! في السنه الخامسه من البعثه، فكيف أخر الله تسليه و تهدئه خاطر الرسول هذه السنين الطويله؟!.

على أن معنى الايه لا ينسجم مع مفاد الروايه، فان التمني هو

١- الحاقه الآيات ٤٤-٤٦.

٢- هذا إن لم نقل إن الآيه ناظره إلى صورته تعمد الكذب على الله، لانه عبر بالقول، الذي هو تعمد القول.

تشهى حصول أمر محبوب و مرغوب فيه، فالرسول انما يتشهى و يتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، و أعظم أمنيته لإنسان كهذا هى ظهور الحق و الهدى، و طمس الباطل و كلمه الهوى فيلقى الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الامنيه، و يكون فتنه للذين فى قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمه موسى من الغوايه ما ألقى، فينسخ الله بنور الهدى غوايه الشيطان، و يظهر الحق للعقول السليمه.

و أما لو أردنا تطبيق الآيه على ما يقولون. فإن المراد بالتمنى يكون هو القراءه و التلاوه و هو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوى و ظاهر اللفظ، و لا نشك فى أنه تفسير موضوع و مفتعل ليوافق الروايه المزعومه.

أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك (١) فنعتقد: أنه مصنوع و منسوب إليه للغرض نفسه، و ما أكثر ما نجده من ذلك فى كتب التاريخ:

و حتى لو قبلنا ان المراد بالتمنى هو التلاوه، فإن من الممكن ان يكون معناه ما قاله المرتضى رحمه الله، و هو:

انه إذا تلا النبى على قومه الآيات حرفوها، و زادوا و نقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فإضافه ذلك الى الشيطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلك ثم يدحض الله ذلك و يزيله بظهور حجته (٢).

٣- و أما بالنسبه لآيات سوره الإسراء التى يقولون: إنها نزلت فى هذه المناسبه، و هى قوله تعالى: **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيْنَا**

١- ففى تنزيه الانبياء ص ١٠٧: أن حسان بن ثابت قال: على أن من الممكن أن يكون المقصود بالتمنى هنا حب ذلك و الشوق إليه.

٢- تنزيه الانبياء ص ١٠٧ و ص ١٠٨.

إِلَيْكَ لِنَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ الخ فإنها تناقض و تنافى هذه القضية فكيف تكون قد نزلت من أجلها.

و ذلك لأن هذ الآيات تقول: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يركن إليهم، بل لم يقرب الى الركون إليهم، و أن الله قد ثبته، و أنه لو ركن لعوقب، و قضيه الغرائيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، و افترى، و أدخل فى القرآن ما ليس منه.

و معنى الآية: أن المشركين قد أصروا على ان يتركهم و شأنهم، و تفاوضوا معه، و مع أبى طالب كثيرا، فلربما يكون النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد فكر فى أن يمهلهم قليلا لعلمهم يفكرون و يرجعون؛ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح فى عدم الامهال، بل فى الشده.

هذا كله. عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سوره الاسراء قد نزلت فى ثقيف، حينما اشترطوا لاسلامهم شروطا تزيد فى شرفهم، و قيل:

نزلت فى قريش حينما منعه من استلام الحجر، و قيل: نزلت فى يهود المدينة، عندما طلبوا منه ان يلحق بالشام. (١) و قد اقتصر القاضى البيضاوى على هذه الوجوه ..

و سادسا: و أخيرا .. كيف سجد المشركون عند نهايه السوره لقوله تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا مع انهم يرفضون السجود لله؟ قال تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا

ثم كيف. لا يرتد أحد من المسلمين، او يتزلزل إيمانه حينما يعلم أن رسول الله قد مدح الأصنام، و جعل لها شفاعه (٢)؟!.

١- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٦، و الدر المنثور، و تفسير الخازن، و سائر كتب التفسير.

٢- راجع هامش: الاكتفاء للكلاعى ج ١ ص ٣٥٣ / ٣٥٤.

تساؤلات حائرة:

و أخيرا .. فلا- نذرى كيف يمكن فهم و تعقل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه بتلك الفقرات؟ فكيف علم قومه بذلك حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين فى الحبشه، فجاؤوا.

و كذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و طاروا به فى مكه من اسفلها الى أعلاها، فكيف لم يتساءل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عن سر هذا التبدل العظيم فى موقف قومه؟!

و قولهم: إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجره الى الحبشه، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عوده مهاجرى الحبشه قد كانت بعد شهرين أيضا. فهل وصل اليهم الخبر بالتلكس، او بالتلفون، و هل جاؤوا بالطائره، أم بالصواريخ؟!

إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكه بعد شهرين من هجرتهم، و إن كان هذا بعيدا عن ظاهر اللفظ.

و كذا قولهم: إنه لما عرض (صلى الله عليه و آله و سلم) السوره على جبرائيل، و قرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): قلت على الله ما لم يقل؟ فأنزل الله، وَ إِن كَادُوا لَيَقْتُنُونَكَ.

نقول فيه: إن الخطاب فى الآيه للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم): أن الناس كادوا يفتنونه، مع ان الروايه تنص على ان الشيطان هو الذى كاد ان يفتنه.

إلى غير ذلك من موارد الضعف و الوهن و التناقض التى يمكن تلمسها فى هذا المجال.

حقيقه الأمر:

و الظاهر هو ان حقيقه ما جرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو و اللغظ حين قراءته (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: **وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوَا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (١)** فحينما قرأ النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) سورة النجم، و انتهى الى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرائق العلى الخ **(٢)**.

نعم، ثم جاء القصاصون و الحاقدون، و لعل منهم مسلمه أهل الكتاب، الذين ادخلوا الكثير من اسرائيلياتهم فى الاسلام- جاؤا- و نسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم و أهدافهم الشريره، من الطعن بعصمته (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم التشكيك بكل ما فى القرآن، بحيث يتهياً الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع فى كل سورة و آيه، ثم التدليل على مدى جهل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و عدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحه.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، و عدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

و لكننا نجدهم يقولون فى مقابل ذلك، كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر **(٣)** أو لم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه **(٤)**، أو ما

١- فصلت الآيه ٢٤.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٢٨ و تنزيه الانبياء ص ١٠٧ و ليراجع هامش الاكتفاء للكلاعى ج ١ ص ٣٥٤ عن السيهلى، و قد نقل الكلبى فى كتاب الاصنام: أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات فى مدحها لاصنامها حول الكعبه- كما نقل.

٣- الرياض النضره ج ٢ ص ٣٠١.

٤- عمدہ القارىء ج ١٦ ص ١٩٦ و راجع تاريخ عمر ص ٦٢.

سلكت عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر (١) و لعلهم ارادوا: ان يقولوا:

ان للنبي شيطانا يعتريه كما كان لابي بكر ... و قد تقدم الحديث عن كل ذلك في بحوث سابقه.

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الإستفاده من هذه الاباطيل و الاساطير للطعن في نبينا الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

فأحبط الله سعيهم، ورد كيدهم في نحورهم ... فان الحق كالصبح أبلج، و سيره نبينا في النبل و الصفاء و الطهر من كل عيب و شين كذكاء في كبد السماء تتوهج.

-
- ١- صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥ و في تاريخ عمر ص ٣٥ ما يقرب من ذلك و كذلك ص ٦٢ و الغدير ج ٨ ص ٩٤ و مسند احمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧ و صحيح البخارى ج ٢ ص ٤٤ و ١٨٨ و عمده القارىء ج ١٦ ص ١٩٦.
 - ٢- راجع: تاريخ الشعوب الاسلاميه ص ٣٤ لبروكلمان و كتاب الاسلام ص ٣٦ / ٣٥ لألفريد هيوم.

ص: ١٥٠

الفصل الثالث: حتى الشعب

اشاره

تناقضات فى تاريخ اسلام حمزه عليه السلام:

و يقولون: إن إسلام حمزه بن عبد المطلب عليه السلام كان فى الثانى من البعته. ثم يقولون: إنه اسلم بعد دخوله (صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم. وهذا متناقض؛ لأنه إنما دخل دار الأرقم فى أواخر السنه الثالثه، كما يدعون.

و تناقض آخر: انهم يذكرون انه أسلم قبل عمر بثلاثه ايام، مع أنهم يذكرون ان عمر اسلم فى السنه السادسه بعد خروج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من دار الأرقم.

و هذا متناقض؛ لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما دخلها فى أواخر السنه الثالثه من البعته و لمدته شهر واحد فقط كما يقال .. و سيأتى أن التحقيق هو: أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزه بسنوات.

اسلام حمزه (رض)

و نلاحظ: أن ابن هشام وغيره يذكرون اسلام حمزه (رحمه الله) بعد الهجره إلى الحبشه، أى فى حوالى السنه السادسه للبعته، و نحن نرجع ذلك؛ لأنه حين اسلم - كما يقول المقدسى - (عز به النبى صلى

اللّه عليه وآله وسلم) و اهل الإسلام، فشق ذلك على المشركين، فعدلوا عن المنازحه الى المعاتبه، و اقبلوا يرغبونه فى المال و الأنعام، و يعرضون عليه الأزواج (١).

و عروضهم هذه إنما كانت بعد الهجره إلى الحبشه، كما يفهم من سيره ابن هشام. كما أنه إنما أسلم بعد الإعلان بالدعوه، و بعد مفاوضات قريش مع أبى طالب و عروضها عليه، و بعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوه و الأذى.

و على كل حال، فقد كان إسلام حمزه تطوراً جديداً لم يكن قد دخل فى حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأساً على عقب، وفتت فى عضد قريش، و زاد من مخاوفها، و كبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فأذاه و شتمه، و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلمه الرسول صلى الله عليه وآله.

و كان حمزه صاحب صيد و قنص، و كان إذا رجع بدأ بالبیت، و طاف به، و سلم على من فيه، و رجع إلى بيته.

و فى هذه المره كان حمزه راجعاً من صيده، فأخبرته إحدى النساء بما كان من أبى جهل تجاه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله و آله و سلم، فاحتمل حمزه الغضب، و دخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً مع القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربه شجه بها شجه منكره. ثم قال: أتشتمه و أنا على دينه، أقول ما يقول؟ فردّ على ذلك إن استطعت و كان ذلك بعد أن تضرع إليه أبو جهل، و أخذ بثوبه،

١- البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٨ / ١٤٩، و هو الظاهر من سيره ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لإسلام حمزه (عليه السلام).

فلم يقبل منه.

فقام رجال من بنى مخزوم، لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزه: ما نراك إلا قد صبأت؟ فقال حمزه: و ما يمنعني؟ و قد استبان لى منه أنه رسول الله، و الذى يقول حق؟! فو الله لا أنزع، فامنعونى إن كنتم صادقين.
فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإنى و الله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

يقول المقدسى: (فلما أسلم حمزه عزّ به الدين و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) (١))، و سرّ رسول الله بإسلامه كثيرا.

و علمت قريش: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد عز و امتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. و قال حمزه للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم): فأظهر يابن أخى دينك، فو الله ما أحب أن لى ما أظلته السماء، و أنى على دين الأول (٢).

و كان حمزه أعز فتى فى قريش، و أشدهم شكيمه (٣).

إسلام حمزه كان عن وعى لا حميه:

و الظاهر، بل الصريح من كلام حمزه رحمه الله، و لا سيما قوله الأخير: (و ما يمنعني، و قد استبان لى منه: أنه رسول الله، و الذى يقول حق) أنه لم يكن فى إسلامه منطلقا من عاطفته التى أثّرت و حسب، و إنما

١- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٩٨.

٢- راجع: تاريخ الامم و الملوك ج ٢ ص ٧٢-٧٣ و السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٣١٢.

٣- راجع: تاريخ الامم و الملوك ج ٢ ص ٧٢.

سبقت ذلك فناعه كامله، كوّنها مما شاهده عن قرب من مواقف و سلوك، و سمعه من أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم.

و قد يستفاد من قوله: أتشتمه و أنا على دينه أن إسلامه كان متقدما على ذلك الوقت، و لكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، و حفاظا على الإسلام و المسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهه قريش و جبروتها. و لربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التريه النفسيه الخاصه، ليتمكن من مواجهه تلك الظروف القاسيه مع المشركين.

سّر جبن أبي جهل في مواجهه حمزه:

و لا بدّ من التذكير هنا: بأن أبا جهل، عظيم المشركين و جبارهم مع أنه كان بين أهله و عشيرته، و مع أن عشيرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه كان أجبن و أذل من أن يقف في وجه أسد الله و أسد رسوله، و ما ذلك إلا لأنه كان من جهه: يعلم فتوّه حمزه و عزته، و شده شكيمته و بطولته، و رأى مدى تصميمه و إصراره، و عرف مقدار استعداده للتضحيه و الفداء في سبيل دينه، و عقيدته.

و من الجهه الأخرى: فإن أبا جهل إنما كان يحارب النبي صلى الله عليه و آله و يناقضه، جبا بالحياه، و من أجل الدنيا، فهو إذن لا يريد الموت إطلاقا، بل هو يهرب منه، و يعده خساره له، ما بعدها خساره. أما حمزه رحمه الله، فكان يعتبر الموت في سبيل هذا الدين نصرا و فوزا، تماما بالمقدار الذي يعتبره أبو جهل، و من هم على شاكلته خسارانا و ضياعا فلماذا إذن يخشى الموت و يخافه؟، بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، و أذ من الشهد؟.

و من جهه ثالثه: فإن أبا جهل لم يكن على استعداد لأن يحارب بنى هاشم في تلك الفتره، التي كان له فيهم أنصار كثيرون، لأن حربهم لهم لسوف تؤدي إلى أن يخسر هؤلاء الذين يلتقى معهم فكريا و عقيديا، لأنهم

بحكم المنطق القبلى الذى يهيمن على مواقفهم و تصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيه، حتى و لو كان على غير دينهم، (وقد وعدوا أبا طالب باستثناء أبى لهب أن يمنعوا محمدا ممن يريد به سوا كما تقدم). بل إن تحرك أبى جهل فى ظروف كهذه لربما يؤدى إلى ترسيخ أمر محمد، و إلى دخول الكثيرين من بنى هاشم فى دينه، حميه و انتصارا. و هذا ما لا يريد أبو جهل، و لا يرغب فيه.

إذن، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل و الهوان فى مقابل أسد الله و أسد رسوله.

و الخلاصة: أن حب أبى جهل للحياه، و جنبه، ثم ما كان يراه من الصلاح فى عدم التصعيد فى مناهضه محمد و بنى هاشم. قد جعله فى موقف الدليل المهان.

و جعل الله كلمه الباطل هى السفلى، و كلمه الحق هى العليا.

ملاحظه هامه:

و الملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزه بن عبد المطلب تتراجع قريش، و تلتين من موقفها، و تدخل فى مفاوضات معه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و تعطيه بعض ما يريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم و يكثر، فكلمه عتبه، فأبى (صلى الله عليه و آله و سلم) كل عروضهم (١).

عبس و تولى:

و يذكر المؤرخون بعد قضيه الغرانيق، القضيه التى نزلت لأجلها سوره عبس و تولى، المكيه، و التى نزلت بعد سوره النجم. و ملخص هذه

١- راجع: كنز العمال: ج ١٤ ص ٤٨ عن البيهقى فى الدلائل، و ابن عساكر.

أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوى الجاه والمال، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم - وكان أعمى - فجعل يستقرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن، قال: يا رسول الله، علمنى مما علمك الله. فاعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعبس فى وجهه، وتولى، وكره كلامه، وأقبل على أولئك الذين كان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد طمع فى إسلامهم، فأنزل الله تعالى:

عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ اسْتَيْغَنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١).

و فى روايه: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كره مجىء، ابن أم مكتوم وقال فى نفسه: يقول هذا القرشى: إنما اتباعه العميان و السفله، و العبيد، فعبس (صلى الله عليه وآله وسلم) إلخ .. (و كأن ذلك الزعيم لم يكن يعلم بذلك!! و كأن قريشا لم تكن قد صرحت بذلك و أعلنته!!).

و عن الحكم: ما رؤى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذه الآيه متصديا لغنى، و لا معرضا عن فقير.

و عن ابن زيد: لو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتم شيئا من الوحي، كتم هذا عن نفسه (٢).

١- سورة عبس / ١ - ١٠.

٢- راجع فى هذه الروايات: مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ و الميزان عن المجمع و تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ عن الترمذى، و ابى يعلى، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٥٢٠ عنه، و تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ٣٣ / ٣٤، و الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٤ / ٣١٥. و أى تفسير قرآن آخر لغير الشيعه؛ فانك تجد فيه الروايات المختلفه التى تصب فى هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، وعلى مدى صراحة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى إنه لم يكتف هذا الأمر، رغم شدة قبحه و شناعته!

لقد أجمع المفسرون، وأهل الحديث، باستثناء شيعه أهل البيت عليهم السلام- على أصل القضية المشار إليها.

و نحن نرى: أنها قضية مفتعله، لا يمكن أن تصح. و ذلك.

أولاً: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهى: إما إلى عائشه، و أنس، و ابن عباس، من الصحابه، و هؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلاً، لأنه إما كان حينها طفلاً، أو لم يكن ولد (١).

أو الى أبى مالك (٢)، و الحكم، و ابن زيد، و الضحاك، و مجاهد، و قتاده، و هؤلاء جميعاً من التابعين فالروايه مقطوعه، لا تقوم بها حجه.

و ثانياً: تناقض نصوصها (٣) حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشه. فى روايه: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، و فى أخرى عنها: عتبه و شبيهه، و فى ثالثه عنها: فى مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، و عتبه بن ربيعه.

و فى روايه عن ابن عباس: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يناجى عتبه، و عمه العباس، و أبا جهل. و فى التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، و أميه بن خلف، و صفوان بن أميه.

و عن قتاده: أميه بن خلف. و فى أخرى عنه: أبى بن خلف.

١- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

٢- الظاهر أن المراد به أبا مالك الاشجعي، المشهور بالروايه، و تفسير القرآن، و هو تابعى.

٣- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨ / ١٥٩.

و عن مجاهد: صنديد من صناديد قريش، و فى أخرى عنه: عتبه بن ربيعه، و أميه بن خلف.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض فى ذلك، و فى نقل ما جرى، و فى نص كلام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و نص كلام ابن أم مكتوم. و نحن نكتفى بهذا القدر، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعه و المقارنه.

و ثالثا: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها فى هذه المناسبه هو أنه كان من عادته هذا الشخص و طبعه، و سجيته، و خلقه: أن يتصدى للغنى، و يهتم به و لو كان كافرا و يتلهى عن الفقير و لا- يبالي به أن يتزكى، و لو كان مسلما. و كلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات و سجايا نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، و لا من طبعه، و خلقه.

كما أن العبوس فى وجه الفقير، و الإعراض عنه، لم يكن من صفاته (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه و أودائه (١). و هو الذى وصفه الله تعالى بأنه بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ (٢).

بل لقد كان من عادته صلى الله عليه و آله مجالسه الفقراء، و الاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف و الجاه، و شق عليهم. و طالبه الملاء- من قريش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، و أشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٣).

١- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨، و الميزان ج ٢٠ ص ٢٠٣، و تنزيه الانبياء ص ١١٩ و مجمع البيان ج ١ ص ٤٣٧.

٢- سورة التوبه الآية / ١٢٨.

٣- راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ١٢ / ١٣.

و يظهر: أن الآيه قد نزلت قبل الهجره إلى الحبشه لوجود ابن مسعود فى الروايه. أو حين بلوغهم أمر الهدنه، و رجوعهم إلى مكه.

و لكن يبقى إشكال أن ذكر عمر فى هذا المقام فى غير محلّه، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجره إلى المدينه بيسير، كما سنرى.

كما أن الله تعالى قد وصف نبيه فى سوره القلم التى نزلت قبل سوره عبس و تولّى بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المنافى للأخلاق، و الموجب للعتاب و اللوم منه تعالى لنبيه (صلى الله عليه و آله و سلم)، فهل كان الله - و العياذ بالله - جاهلا بحقيقه أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا لحكمه و لمصلحه اقتضت ذلك؟ نعوذ بالله من الغوايه، عن طريق الحق و الهدايه.

و رابعا: إن الله تعالى يقول فى الآيات: **وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ،** و هذا لا يناسب أن يخاطب به النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، لأنه مبعوث لدعوه الناس و تزكيتهم. و كيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الأولى و الأخيره، و لا شىء غيره. ألم يقل الله تعالى: **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ؟ (١)** فكيف يغريه بترك الحرص على تزكيه قومه (٢).

خامسا: لقد نزلت آيه الانذار: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣)** قبل سوره عبس بسنتين فهل نسى (صلى الله عليه و آله و سلم): أنه مأمور بخفض الجناح لمن

١- سوره البقره الآيه / ١٢٩.

٢- تنزيه الانبياء ص ١١٩.

٣- الشعراء / ٢١٤ - ٢١٥.

اتبعه؟ و إذا كان نسي، فما الذى يؤمننا من أن لا يكون قد نسى غير ذلك أيضا؟، و إذا لم يكن قد نسى، فلماذا يتعمد أن يعصى هذا الأمر الصريح؟! (١).

سادسا: إنه ليس فى الآيه ما يدل على أنها خطاب للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، بل الله سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: عَبَسَ وَ تَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْمَأْغَمَى ثُمَّ التَفَتَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخَطَابِ إِلَى ذَلِكَ الْعَابِسِ نَفْسَهُ، وَ خَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ: وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي الخ ..

سابعا: لقد ذكر العلامة الطباطبائي: أن الملايك فى التفضيل و عدمه ليس هو الغنى و الفقر، و انما هو الاعمال الصالحه، و السجايا الحسنه، و الفضائل الرفيعه. و هذا حكم عقلى و جاء به الدين الحنيف، فكيف جازله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يخالف ذلك، و يميز الكافر لما له من و جاهه على المؤمن؟ (٢).

و القول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو إسلامه، و على أمل أن يتقوى به الدين، و هذا أمر حسن، لأنه فى طريق الدين، و فى سبيله.

لا- يصح، لأنه يخالف صريح الآيات التى تنص على أن الذم له كان لأجل أنه يتصدى لذاك الغنى لغناه، و يتلهى عن الفقير لفقره.

و لو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن فى مدحه و اطرائه على غيرته لدينه، و تحمسه لرسالته؛ فلماذا هذا الذم و التقريع إذن.

و نشير أخيرا: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بأن الآيه خطاب كلى مفادها: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كان إذا رأى

١- الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٣.

٢- راجع: الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٤.

فقيرا تأذى و أعرض عنه.

و الجواب:

أولاً: إن هذا يخالف القصة التي ذكروها من كونها قضيه في واقعه واحده لم تتكرر.

و ثانياً: إذا كان المقصود هو الإعراض عن مطلق الفقير؛ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟!.

و ثالثاً: هل صحيح أنه قد كان من عادة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ذلك؟!.

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و يؤيد ذلك:

ما روى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، انه قال: كان رسول الله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحبا، مرحبا، و الله لا يعاتبني الله فيك أبداً. و كان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) مما كان يفعل به (١).

فهذه الروايه تشير إلى أن الله تعالى لم يعاتب نبيه في شأن ابن أم مكتوم، بل فيها تعريض بذلك الرجل الذي ارتكب في حق ابن أم مكتوم تلك المخالفه، إن لم نقل: إنه يستفاد من الروايه نفي قاطع حتى لإمكان صدور مثل ذلك عنه (صلى الله عليه و آله و سلم)، بحيث يستحق العتاب و التوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفي لو كان الله تعالى قد عاتبه فعلاً.

١- تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩، و مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧.

هذا و لكن الأيدى غير الأمينه قد حرفت هذه الكلمه؛ فادعت أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يقول: مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي.

فلتراجع كتب التفسير، كالدرا المنثور و غيره.

و الصحيح هو ما تقدم.

سؤال و جوابه:

و لعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصا آخر؛ فما معنى قوله تعالى: (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) و قوله: (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فان ظاهره: أن هذا التصدى و التلهى من قبل من يهيمه هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، و يتلهى عن ذاك.

فالجواب: انه ليس فى الآيات ما يدل على أن التصدى كان لأجل الدعوه إلى الله او لغيرها. فلعل التصدى كان لأهداف أخرى دنيويه، ككسب الصداقه، او الجاه، او نحو ذلك. و قوله تعالى: (لَعَلَّهُ يَزَكَّى) ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل الزكى على يد غيره ممن هم فى المجلس، كالنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أو غيره.

ثم لنفرض: أنه كان التصدى لأجل الدعوه، فإن ذلك ليس محصورا به (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلك أيضا، و أسلم البعض على يديه، لو صح ذلك!.

الروايه الصحيحه:

و بعد ما تقدم، فإن الظاهر هو أن الروايه الصحيحه، هى ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنها نزلت فى رجل من بنى أميه كان عند

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فجاءه ابن أم مكتوم. فلما جاءه تقدر منه، وعبس في وجهه، وجمع نفسه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك عنه، وانكره عليه (١).

ويلاحظ: أن الخطاب في الآيات لم يوجه أولاً إلى ذلك الرجل؛ بل تكلم الله سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: إنه عبس، وتولى، أن جاءه الأعمى. ثم التفت إليه بالخطاب، فقال له مباشرة: وما يدريك.

ويمكن أن يكون الخطاب في الآيات أولاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من باب: إياك أعنى و اسمعى يا جاره. والأول أقرب، وألطف ذوقاً.

إتهام عثمان:

وبعض الروايات تتهم عثمان بهذه القضية، وانه هو الذى جرى له ذلك مع ابن أم مكتوم (٢).

ولكننا نشك في هذا الامر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشه مع من هاجر- فمن أين جاء عثمان إلى مكه، و جرى منه ما جرى؟!.

إلا أن يقال: إنهم يقولون: إن أكثر من ثلاثين رجلاً قد عادوا إلى مكه بعد شهرين من هجرتهم كما تقدم، و كان عثمان منهم ثم عاد إلى الحبشه (٣).

١- مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩.

٢- تفسير القمى ج ٢ ص ٤٠٥ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٧، و تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٨.

٣- سيره ابن هشام ج ٢ ص ٣.

و على كل حال، فإن أمر اتهام عثمان (١) او غيره من بنى أميه، لأهون بكثير من اتهام النبى المعصوم، الذى لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الاطلاق. و إن كان يهون على البعض إتهام النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بها او بغيرها، شريطه أن تبقى ساحه قدس غيره منزّهه و بريئه!!.

تاريخ هذه القضية:

و نسجل أخيرا: تحفظا على ذكر المؤرخين لروايه ابن مکتوم و نزول سوره عبس، بعد قضيه الغرانيق؛ فإن الظاهر هو أن هذه القضية قد حصلت قبل الهجره الى الحبشه لأن عثمان كان قد هاجر الى الحبشه قبل قضيه الغرانيق بشهرين كما يقولون. إلا أن يكون عثمان قد عاد الى مكه مع من عاد بعد ان سمعوا بقضيه الغرانيق كما يدعون.

أعداء الإسلام و هذه القضية:

و مما تجدر الإشارة إليه هنا: أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول ان يتخذ من قضيه عبس و تولى وسيله للطعن فى قدسيه نبينا الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢). و لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره

١- و نحن نجد فى عثمان بعض الصفات التى تنسجم مع مدلول الآيه، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد فى المدينة، حين ردد عمار ما ارتجز به على (عليه السلام) تعريضا بعثمان: لا يستوى من يعمر المساجدايدأب قائما و قاعدا و من يرى عن التراب حائدا و ستأتى هذه القضية إن شاء الله تعالى.

٢- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

الكافرون. فها نحن قد اثبتنا: أنها اكاذيب و أباطيل ما انزل الله بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهة:

و بالمناسبة فقد رووا: أن الاقرع بن حابس، و عيينه بن حصن، جاآ الى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، فوجداه قاعدا مع عمار، و صهيب، و بلال و خباب، و غيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؛ فنستحي أن يرانا العرب قعودا مع هذه الاعداء؛ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا؛ فدعا بالصحيفه، و دعا عليا ليكتب، فنزل قوله تعالى: **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ أَلَّا يَخُذُوا** (١) فرمى (صلى الله عليه و آله و سلم) بالصحيفه، و دعاهم و جلس معهم، و صار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد ان يقوم قام و تركهم فأنزل الله تعالى: **وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** (٢). فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه و فى بعض الروايات:

إنهم يقصدون أبا ذر و سلمان (٣).

١- الانعام الآية ٥٢.

٢- الكهف الآية ٢٨.

٣- حليه الاولياء ج ١ ص ١٤٦-٣٤٥، و راجع مجمع البيان ج ٤ ص ٣٠٥/٣٠٦. و البدايه و النهايه ج ٦ ص ٥٦ و عن كنز العمال ج ١ ص ٢٤٥ و ج ٧ ص ٤٦ عن ابن أبى شيبه و ابن عساكر. و الدر المنثور فى تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

و يرد هذه الاباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصه ابن أم مكتوم، و لذلك فلا حاجه الى الاعاده.

و أيضا فقد استفاض: أن سورة الانعام قد نزلت دفعه واحده فى مكه (١)، فما معنى أن تكون هذه الايات قد نزلت بهذه المناسبه فى المدينه.

و القول بأن نزولها كذلك لا ينافى كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبه.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعه واحده قبل الهجره، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت و أسماء بنت يزيد الانصاريه آخذة بزمام ناقه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢) و الآية نزلت فى المدينه على الفرض.

على أن قصه عبس و تولى وحدها كافيه لأن يرتدع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عن أمر كهذا- و لا سيما إذا كانت تؤنب غيره (صلى الله عليه و آله و سلم)، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا.

ثم ان سلمان إنما أسلم فى المدينه، كما أن ابا ذر قد فارق النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فور إسلامه، و أقام بعسفان على طريق قوافل مكه، كما قدمنا.

و الظاهر هو انهم أصرروا على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبى طالب فى ذلك، و أشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء فى بعض الرويات، فجاءت هذه الآيات فى ضمن سورة الانعام بمثابة رد عليهم، و تفنيد لرأيهم. و ليس فى الآيات ما يدل على قبوله (صلى الله عليه و آله و سلم) بذلك، كما تدعيه الروايات

١- راجع الميزان ج ٧ ص ١١٠.

٢- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢.

المزعومه آنفا.

و لم نتوسع فى بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، و نقاط الضعف فيها، و الرد على هذه المزاعم، اعتمادا على ما ذكرناه فى قضيه ابن أم مكتوم المتقدمه.

بل إن ظاهر الآيه الأولى: أن طرد الذين يدعون ربهم إلخ.. قد كان عقابا لهم على أمر صدر منهم، و ذلك بقريته قوله تعالى فيها: (ما عليك من حسابهم من شىء). فكأن الله سبحانه قد رفع التكليف عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) بمؤاخذتهم، رفقا منه تعالى بهم، و عطفًا عليهم.

قضيه إسلام عمر بن الخطاب:

و يقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم فى السنه السادسه من البعته، بعد إسلام حمزه بثلاثه أيام؛ حيث خرج متوشحا سيفه، يريد رسول الله، و رهطا من أصحابه، و هم قريب من أربعين رجلا فى دار الارقم عند الصفا، فيهم أبو بكر، و حمزه، و على، و غيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشه، فالتقى عمر بنعيم بن عبد الله، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمدا.

فذكر له نعيم: أنه إن قتله لا- ينجو من بنى عبد مناف، و أن صهره و أخته قد أسلما، فرجع عمر إليهما، و عندهما، خباب بن الأرت يعلمهما سوره طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب فى مخدع، و خبأت فاطمه بنت الخطاب الصحيفه تحت فخذها.

فدخل عمر، و بعد كلام بطش عمر بخته، و شج أخته، فأخبرته حينئذ أنهما قد أسلما؛ فليصنع ما بدا له. فندم عمر، و ارعوى لما رأى الدم بأخته، و طلب الصحيفه فلم تعطه إياها حتى حلف بآلته ليردنها إليها، فقالت له: إنك نجس على شركك، و لا تغتسل من الجنابه، و هذا

لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر، فاغتسل (توضأ)، ثم قرأ من الصحيفة صدرا و كان كاتباً، فاستحسنه، و ظهر له خباب، و أخبره: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دعاه بأن يعز الإسلام به أو بأبي جهل. فطلب منه عمر: أن يدلّه على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، و ضرب الباب، فنظر رجل منهم من خلل الباب؛ فرآه متوشحاً السيوف، فرجع إلى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فزعا. فأخبره.

فقال حمزه: فأذن له، فان جاء يريد خيراً بذلناه له، و إن كان يريد شراً، قتلناه بسيفه. فأذن له، و نهض إليه (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى لقيه في الحجره، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جذه جذه شديده، و تهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر (صلى الله عليه و آله و سلم)، و كبر المسلمون تكبيره سمعها من في المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج و يعلن أمره، قال عمر:

فأخرجناه في صفين: حمزه في أحدهما، و أنا في الآخر، له كديد (أى غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلى قريش فأصابتهم كأبه لم تصبهم مثلها. فسماه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ب (الفاروق) يومئذ.

و فى روايه: أن قريشا اجتمعت و تشاورت فيمن يقتل محمداً، فقال عمر: أنا لها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلداً السيوف، فالتقى بسعد بن أبى وقاص، و جرت بينهما مشاده، حتى سلّ كل منهما سيفه؛ فأخبره سعد بخبر أخته الخ ..

و فى ثالثة: أنهم خرجوا و عمر أمامهم، ينادى: لا- إله إلا- الله، محمد رسول الله، فلما سأله قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليتمكن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول الله، يطوف الرسول، و يحميه

عمر، ثم صلى (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر معلنا.

و فى رابعه: أنه لما أسلم- وكان المسلمون يضربون- جاء الى خاله أبى جهل- كما عند ابن هشام، وقال ابن الجوزى: هو غلط بل خاله العاص بن هاشم- فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب الى آخر من كبراء قريش فكذلك. فقال فى نفسه: ما هذا بشىء الناس يضربون، وأنا لا يضربنى أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه بإسلامه؛ فنادى فى قريش بذلك، فقاموا اليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فانكشف الناس عنه.

و لكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون ولا يضرب. قال:

فلم يزل يضرب، حتى أظهر الله الاسلام.

و فى خامسه: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنك صبات؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبه بن ربيعه، و برك عليه، و جعل يضربه، و جعل إصبعيه فى عينيه، فجعل عتبه يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد شريف، و جعل حمزه يكشف الناس عنه.

و فى سادسه: أنه كان صاحب خمر فى الجاهليه؛ فقصده ليله المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحدا، فطلب فلانا الخمار، فكذلك، فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلى، فأحب الإستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبه و سمع، فدخل الإسلام فى قلبه فلما انصرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و ذهب الى داره التى يسكنها المعروفه بالرقطاء لحقه فى الطريق، و أسلم. ثم انصرف الى بيته.

و فى العمده: قيل أسلم عمر بعد ثلاثه و ثلاثين رجلا و ست نسوه، و قال ابن المسيب بعد أربعين و عشر نسوه، و قال عبد الله بن ثعلبه: بعد خمس و أربعين و إحدى عشره إمراه. و قيل: أسلم تمام الاربعين؛ فنزل

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١).

وثمه أوسمه أخرى:

إشاره

و يقولون: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد دعا قبل إسلام عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي نص آخر: اللهم أيد (أو أعز) الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، و كان دعاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الأربعاء، و إسلام عمر يوم الخميس.

و عن ابن عمر: انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال:

و كان أحبهما إليه عمر.

و قالوا: إن إسلام عمر كان فتحاً، و أن هجرته نصراً، و أن أمارته

١- راجع في مجموع ما تقدم: الاوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢١/٢٢٢، و الثقات لابن حبان ص ٧٢-٧٥ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٨-٩٠ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦١ عن البزار و الطبراني، و تاريخ الطبرى حوادث سنه ٢٣، و طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩١، و عمده القارى للعيني ج ٨ ص ٦٨، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٦٦-٣٧٤، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٥-٢٩٧ و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٣-٣٠، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣١ و ٧٢-٨٠، و السيره الحلييه ج ١ ص ٣٢٩-٣٣٥، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٣٢-١٣٧ و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٧/٣٢٨، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٢ ص ١٨٢/١٨٣، و اسباب النزول للواحدى و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٦، و الاتقان ج ١ ص ١٥، و الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ٣ ص ١٦٩-١٧٢ و لباب النقول ط دار احياء العلوم ص ١١٣، إلى غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤-٩ ط دار النصر للطباعه.

كانت رحمه. و أنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبه (١).

إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا.

و قد استغرب الترمذى هذه الاحاديث رغم تصحيحه لبعضها.

و نحن نشك في صحه كل ما تقدم، بل و نظمئن الى بطلانه جميعا من الاساس، و لبيان ذلك نشير الى النقاط التاليه:

١- متى كان إسلام عمر:

تذكر تلك الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزه بن عبد المطلب (صلى الله عليه و آله و سلم) بثلاثة أيام. و كان إسلامه سببا لخروجه (صلى الله عليه و آله و سلم) من دار الارقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلا، أو ما هو قريب من ذلك.

و نحن نشير هنا إلى:

ألف: إن الخروج من دار الارقم - كما يقولون - إنما كان في الثالثه

١- راجع هذه الأحاديث و غيرها في: البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٨، و سيره مغلطاي ص ٢٣، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٤٧٠ عن الطبرانى، و أحمد، و ابن ماجه، و الحاكم و البيهقى، و الترمذى، و النسائى، عن عمر، و خباب، و ابن مسعود، و الأوائى ج ١ ص ٢٢١، و طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩١-١٩٣، و جامع الترمذى ط الهند ج ٤ ص ٣١٤/٣١٥، و دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٧ و تحفه الاحوذى ج ٤ ص ٣١٤ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٩، و البخارى ط الميميه ج ص و مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٥، و الاستيعاب هامش الاصابه ج ١ ص ٢٧١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٣٠، و تاريخ الاسلام للذهبى ج ٢ ص ١٠٢ و تاريخ الخميس، و سيره ابن هشام، و سيره دحلان، و مسند أحمد، و سيره المصطفى، و الطبرانى فى الكبير و الاوسط، و المشكاه و غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ.

من البعثة، حينما أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإعلان بالدعوه.

و هم يصرحون بأن إسلام عمر كان فى السادسة من البعثة.

ب: إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجره الى الحبشه، حتى لقدرق للمهاجرين، لما رأهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ. و الهجره إلى الحبشه قد كانت فى السنه الخامسه من البعثة، و الخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلك أى فى السنه الثالثه.

ج: إنه قد اشترك فى تعذيب المسلمين، و إنما كان ذلك بعد الخروج من دار الأرقم، و الاعلان بالدعوه.

متى أسلم عمر إذن:

إننا نستطيع أن نقول باطمينان: إنه لم يسلم فى السنه السادسه قطعاً بل أسلم بعد ذلك بسنوات، و مستندنا فى ذلك:

أولاً: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاه الظهر، فصلى رسول الله الظهر معلنا تحت حمايه عمر كما تقدم. و صلاه الظهر قد فرضت - حسب قولهم - حين الاسراء و المعراج الذى كان - عندهم - فى الثانيه عشره او الثالثه عشره من البعثة. فكلامهم متناقض.

و إن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء و المعراج كان فى حوالى السنه الثانيه من البعثة.

و قد أجاب البعض عن ذلك، بأن المقصود هو صلاه الغداه أى الصبح (١).

و لكنه توجيه لا يصح؛ فإن كلمه الظهر لا تنطبق على الغداه و لا تطلق عليها و هو جواب عجيب و غريب كما ترى.

و إن كان مرادهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يؤخر صلاه الصبح إلى ارتفاع الشمس فهو غير معقول؛ إذ كيف يؤخر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟.

و ثانيا: إن عبد الله بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين (١) و يرى البعض: أن عمره كان خمس سنين (٢).

و يدل على ذلك: روايه أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه على سطح البيت، و رأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، و حصروه في البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، و قد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتى عن قريب.

كما أن ابن عمر يروى: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، و ينظر ما يفعل، يقول: و أنا غلام أعقل ما رأيت (٣) مما يدل على أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه مميزا مدركا.

و ذلك يدل على ان عمر أسلم حوالى السنه التاسعه من البعته- كما ذهب إليه البعض (٤)- لأن ابن عمر ولد فى الثالثه من البعته، و تم عمره على الخمس عشره سنه فى عام الخندق سنه خمس من الهجره، حيث أجازته (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها كما هو مشهور. (٥)

١- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٩، و طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٢ ص ١٨٢.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ١٣٥.

٣- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨١ و تاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٥ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣-٣٧٤.

٤- السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٣٩، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٢، و مروج الذهب ط دار الاندلس بيروت ج ٢ ص ٣٢١.

٥- سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩، تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٣٤٠ الاصابه ج ٢

بل ورد عن ابن شهاب: ان حفصه و ابن عمر قد اسلما قبل عمر.

و لما أسلم أبو هما كان عبد الله ابن نحو من سبع سنين (١) و ذلك يعنى ان إسلام عمر قد كان فى العاشره من البعثه.

بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجره بقليل، و يدل على ذلك:

أولاً: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميتة (٢)

و واضح: أن تحريم الميتة إنما كان فى سورة الانعام، التى نزلت فى مكه جمله واحده. و كانت - كما تقول بعض الروايات - اسماء بنت يزيد الأوسيه آخذه بزمام ناقته (صلى الله عليه و آله و سلم) (٣) و إسلام الأوس و أهل المدينه انما كان بعد الهجره الى الطائف، و مجىء نساءهم الى مكه قد كان بعد العقبه الاولى.

و ما تقدم فى فصل: بحوث تسبق السيره. من ان زيد بن عمرو بن نفيل كان لا يأكل الميتة .. لو صح؛ فإنما هو لاجل أنه كان يدين بالنصرانيه إلا- أن يقال: إن تحريم الميتة قد كان على لسان النبى قبل نزول سورة الانعام لكن ذلك يحتاج إلى دليل و شاهد و هو غير موجود.

و ثالثاً: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد اربعين، أو خمس و أربعين ممن أسلم بعد الهجره الى الحبشه (٤)

١- سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩.

٢- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

٣- الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبرانى، و ابن مردويه.

٤- الثقات لابن حبان ج ١ ص ٧٣، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٠ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٨.

و يؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشه كانوا أكثر من ثمانين رجلا. و هي انما كانت فى الخامسه، و إسلام عمر كان فى السادسه من البعثه كما يقولون- فلا بد ان يكون الأربعون الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، و إن كان ابن الجوزى يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر اسماء من هاجر الى الحبشه على الاكثر (١) الأمر الذى يشير الى أنه يرى: أن الأربعين الذين أتمهم عمر هم هؤلاء، و ليسوا فريقا آخر قد أسلم بعد هجرتهم.

و يؤيد ذلك أيضا: الروايات التى تصرح بأنه أسلم فى السادسه من البعثه، و أنه رق للمهاجرين الى الحبشه، حتى لقد رجوا إسلامه.

فإذا كان ذلك. فلسوف يأتى فى حديث المؤاخاه التى جرت فى المدينه بعد الهجره بين المهاجرين و الانصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاه خمسه و أربعين رجلا أو أقل أو أكثر بقليل (٢). أى ان الذين أسلموا بعد الهجره الى الحبشه كانوا خصوصا هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم و كان تمام الاربعين فيهم فإن معنى ذلك هو أنه قد أسلم قبل الهجره بقليل، ثم هاجر. و لعله لاجل ذلك لم يتعرض للتعذيب فى مكه، كما سنشير اليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

و رابعا: لقد جاء فى الروايات فى إسلام عمر: أنه (دنا من رسول الله، و هو يصلى و يجهر بالقراءه، فسمع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقرأ: و ما كنت تتلو من قبله من كتاب، و لا تخطه بيمينك،

١- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٨ / ٢٩.

٢- و إن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينه. و لكن ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من أخى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتى. و لا يعقل أن يترك أحدا من أصحابه لا يؤاخى بينه و بين آخر من اخوانه.

حتى بلغ: الظالمون) (١).

و واضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا في سورة العنكبوت، و هي إما آخر ما نزل في مكة، او هي السوره قبل الأخيره (٢). فإسلام عمر قد كان قبل الهجره بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.

و خامسا: لقد روى البخارى في صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر .. ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجره قبل أبيه، ثم قال: فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر (٣).

و لكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغه العربيه؟ فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، و قالوا: أسلم قبل أبيه؟! ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذاك و لا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون هو المقصود منه؟!.

و نحن نعتقد أن ما يقوله الناس في ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر، فان ابن عمر قد أسلم قبل الهجره بيسير، ثم أسلم أبوه و هاجر (٤).

و سادسا: ان عمر قد رفض في عام الحديبيه: حمل رساله النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بحجه أن بنى عدى لا ينصرونه؛ فمعنى ذلك هو أنه قد اسلم و هاجر و لم يعلم أحد بإسلامه، و إلا لكان قد عذب،

١- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦. و راجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمه.

٢- الاتقان ج ١ ص ١٠-١١.

٣- صحيح البخارى ط مشكول ج ٥ ص ١٦٣.

٤- و قد تقدم عن الزهرى ان عمر قد اسلم بعد حفصه و عبد الله بن عمر.

و لم ينصره بنو عدى (١). لا سيما مع ما سيأتى من حاله الذل التى كان يعانى منها هذا الرجل قبل إسلامه.

٢- من سمي عمر بالفاروق!؟

و قد ذكرت تلك الروايات: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد سمي عمر بالفاروق حين أسلم.

و لكننا نشك في ذلك جدا، إذ أن الزهري يقول:

(بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: (الفاروق). و كان المسلمون يأترون ذلك من قولهم. و لم يبلغنا: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ذكر من ذلك شيئا (٢)).

و قد كانت كلمه الفاروق تطلق عليه في أيام خلافته (٣).

٣- هل كان عمر قارئاً!؟

و تذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئاً، و أنه قد قرأ الصحيحه بنفسه.

و نحن نشك في ذلك أيضا: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءه و الكتابه، و لا سيما في بادىء أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك في أواخر أيام حياته؛ و ذلك لأمرين.

١- ستأتى مصادر ذلك بعد حوالى خمس صفحات.

٢- تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٣٠، و طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٣٣، و تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٦٧ حوادث سنه ٢٣. و ذيل المذيل ج ٨ من تاريخ الطبرى.

٣- راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص ٤٤.

احدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الأرت هو الذى قرأ له الصحيفة (١) فلو كان قارئاً؛ فلماذا لا يقرأها بنفسه، ليتأكد من صحه الأمر؟! صحه الأمر؟!

الثانى: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح، حسبما يقولون هذه الروايه نفسها، و لكنه قال فيها: (فالتمس الكتف فى البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إنى قد حدثت: انك لا تأكلين طعامى الذى آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً؛ فقرأ عليه. و كان عمر لا يكتب. فلما قرئت عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ) (٢).

و يؤيد ذلك ما عن عياض ابن أبى موسى: أن عمر بن الخطاب قال لابى موسى: أذع لى كاتبك ليقراً لنا صحفا جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابه؟ قال: لا، و لكنه نصرانى؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها إلخ (٣).

فلو كان عمر يعرف القراءه لم يحتج لكاتب أبى موسى ليقراً له الصحف التى جاءت. و لربما يعتذر عن ذلك بأن الخليفه ربما لم يكن يباشر القراءه لمركزه مع معرفته لها. أو أن الرسائل كانت بغير العريبه.

و لكن الظاهر هو أن هذه الاعراف و التقيدات قد حدثت فى وقت متأخر، و لم يكن عمر يتقيد بها كما أن بلاد الشام كانت و لا تزال عريبه اللغه، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العريبه.

١- تاريخ ابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٩.

٢- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

٣- عيون الاخبار لابن قتيبه ج ١ ص ٤٣ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ عن ابن أبى حاتم و البيهقى فى شعب الإيمان و حياه الصحابه ج ٢ ص ٧٨٥ عن تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨.

و يمكن أن يؤيد ذلك أيضا: بأن عمر لم يكن ذا ذهنيه علميه، و ذلك بدليل: أنه بقى اثنتى عشره سنه حتى تعلم سورہ البقره، فلما حفظها نحر جزورا (١).

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصه أن تسأل له النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عن الكلاله، فسألته عنها؛ فأملها عليها؛ فى كتب، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): (عمر أمرك بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها) (٢).

بل لقد واجهه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه بذلك كما رواه كثيرون (٣).

إلا أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءه و الكتابه بمشاق و متاعب جمه، و يمكن أن يستدل على ذلك بأنه - كما روى البخارى - كان يقول: إنه لو لا أن يقال: إن عمر قد زاد فى كتاب الله لكتب آيه الرجم بيده؟! (٤).

و مهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شك فى معرفه الخليفه الثانى للقراءه و الكتابه، فقد كان هذا الأمر موضع نقاش و شك منذ القرن الأول للهجره، فهذا الزهرى يقول: كنا عند عمر بن عبد العزيز و هو والى

١- تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٦٥، و الدر المنثور ج ١ ص ٢١، عن الخطيب فى رواه مالك، و البيهقى فى شعب الايمان، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٢ ص ٦٦، و الغدير ج ٦ ص ١٩٦ عنهم و تفسير القرطبى ج ١ ص ١٥٢ و التراتيب الاداريه ج ٢ ص ٢٨٠ عن تنوير الحوالك.

٢- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٠٥.

٣- راجع الغدير ج ٦ ص ١١٦ عن غير واحد. و راجع ١٢٨.

٤- راجع كتابنا: حقائق هامه حول القرآن ص ٣٤٦، فقد نقلنا ذلك عن عشرات المصادر.

المدينه ثم صارت إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبة، فقال: هل من معه به خبر فأسأله: هل كان عمر يكتب؟.

فقال عروه: نعم كان يكتب.

فقال: بآيه ماذا؟.

قال: بقوله: لو لا ان يقول الناس زاد عمر في القرآن لخطت آيه الرجم بيدي.

فقال عبيد الله: هل يسمي عروه من حدثه؟.

قلت: لا.

قال عبيد الله: فإنما صار عروه يمص مص البعوضه لتملاً بطنها، و لا يرى أثرها، يسرق أحاديثنا و يكتمننا، أى أنى أنا حدثته (١).

ملاحظه:

و إذا ثبت عدم معرفته بالقراءه، أو شك في كونه كان حينئذ يقرأ و يكتب، فمن الطبيعي أن يتطرق الشك إلى قولهم؛ إنه كان من كتاب الوحي (٢)، فلعل ذلك كان من الأوسمه التي نحلها إياها بعض من عزّ عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.

و ملاحظه أخرى:

و هي أننا رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبي موسى حتى كاد يكسرها، لاتخاذها كاتبا نصرانيا، مع انهم يقولون: إنه هو نفسه كان له

١- مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ١٠.

٢- بحوث في تاريخ القرآن و علومه ص ١١٣ عن تاريخ القرآن للزنجاني. و في تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٨٠ ط صادر و الاستيعاب بهامش الأصابه ج ١ ص ٥١، ذكر عمر في جمله من كان يكتب للنبي (صلى الله عليه و آله). لكن لم يبيننا، إذا كان يكتب الوحي، أو غيره.

مملوك نصراني لم يسلم، و كان يعرض عليه الإسلام فيأبى، حتى حضرته الوفاه فأعتقه (١).

فما هذا التناقض في مواقف الخليفه الثاني؟! و ما هو المبرر لها إلا أن يكون اعتراضه على أبى موسى منصبا على استعانتة بغير المسلم فى شؤون المسلمين العامه، و هذا غير خدمه غير المسلم للمسلم.

٤- هل عز الإسلام بعمر حقا؟!!

و تذكر الروايات: أن الإسلام قد عز بعمر و أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دعا الله أن يعز الاسلام به بل لقد ذهب بعض الروايات الى اعتبار عمر من الجبارين فى الجاهليه، حيث إنه حين أشار على ابى بكر:

أن يتألف الناس و يرفق بهم، قال له أبو بكر: (رجوت نصرك، و جئتنى بهذا لأنك جبار فى الجاهليه، خوار فى الإسلام الخ) (٢) ..

و نحن نشك فى صحه ذلك بل نجزم بعدم صحته، و ذلك للامور التاليه:

ألف: إن الإسلام إذا لم يعز بأبى طالب شيخ الأبطح، و بحمزه أسد الله و أسد رسوله، الذى فعل برأس الشرك أبى جهل ما فعل، و إذا لم يعز بسائر بنى هاشم أصحاب العز و الشرف و النجده، فلا يمكن أن يعز بعمر الذى كان عسيفا (أى مملوكا مستهانانا به) (٣) مع الوليد بن المغيره الى

١- حليه الاولياء ج ٩ ص ٣٤، عن كثر العمال ج ٥ ص ٥٠ عن ابن سعد، و سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبى شيبه، و ابن أبى حاتم، و الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٠٩ و التراتيب الاداريه ج ١ ص ١٠٢ و نظام الحكم فى الشريعة و التاريخ و الحياه الدستوريه ص ٥٨ عن تاريخ عمر لابن الجوزى ص ٨٧ و ١٤٨.

٢- كثر العمال ج ٦ ص ٢٩٥.

٣- راجع: اقرب الموارد، ماده: (عسف).

الشام (١). لا سيما وأنه لم يكن في قبيلته سيد أصلا (٢)، و لم تؤثر عنه في طول حياته مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيه مواقف شجاعه، و حاسمه، بل لم نجد له أيه مبارزه، أو عمل جرى ء في أي من غزواته، رغم كثرتها و تعددها.

بل لقد رأيناه يفر في غير موضع، كأحد، و حنين و خبير حسبما صرح به الجهم الغفير من أهل السير، و رواه الأثر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و من الطريف هنا ما رواه الزمخشري، من أن أنس بن مدركه كان قد أغار على سرح قريش في الجاهليه؛ فذهب به، فقال له عمر في خلافته:

لقد اتبعناك تلك الليله؛ فلو أدركناك؟. فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفه (٣).

و الخلاصه: انه لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذي لم يكن له عز في نفسه، و لا بعشيرته، و لا شجاعه يخاف منها.

ب- إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر في الشعب أو بعده، فإن الأمر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أي تفاوت في حاله المسلمين قبل و بعد إسلام عمر، و لا لمسنا أي تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلك هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الهاشميين في الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعا، و حتى كانوا يأكلون ورق السمير، و أطفالهم يتضاغون جوعا. إلى تأمر على حياه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم بعد وفاه أبي طالب رحمه الله لم يستطع (صلى الله عليه وآله وسلم) دخول مكه بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمه، لم نجد عمر ممن

١- المنمق، لابن حبيب ط الهند ص ١٤٦، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٢ ص ١٨٣.

٢- المنمق ص ١٤٧.

٣- ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٠٧.

ساعد على حلها. هذا كله عدا عن الاذايا الكثيره التى كان أبو لهب يوجهها للنبي باستمرار.

ج- وفى صحيح البخارى وغيره حول اسلام عمر: عن عبد الله بن عمر قال: بينما عمر فى الدار خائفا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمى. إلى أن قال: فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى إن أسلمت.

قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت. ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه. و أضاف الذهبى قول عمر: فعجبت من عزّه (١).

فمن يتهدده الناس بالقتل، و يخاف، و يختبئ فى داره، فإنه لا- يكون عزيزا و لا- يعز الاسلام به. غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالاسلام، و صار له شخصيه و شأن، كما سنى.

هذا عدا عن الروايات القائله: إن أبا جهل هو الذى أجاز عمر (٢).

و على هذا فقد كان الأجدر: أن يدعو النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بأن يعز الإسلام بمن يجير عمر، و الذى يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، و المختبئ فى بيته.

د- و الغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو أبو جهل يضربه حمزه رضوان الله عليه بقوسه أمام

١- راجع: صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٠ / ٦١ ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، و تاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٤، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٤٠٩، و تاريخ عمر لابن الجوزى ص ٢٦، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٣٢، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٣٥، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٧٤، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٢ و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ط دار النصر ج ٢ ص ٩.

٢- تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٢٤-٢٥ و راجع كشف الأستار ج ٣ ص ١٧١ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٤ و ذكر: أن خاله هو الذى أجاره و قال ابن اسحاق المراد بخاله: أبو جهل، و لم يرتض ذلك ابن الجوزى، فراجع.

الملا من قومه، فيشججه شججه منكره، و لا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل فى بدر فى أول وقعه بين المسلمين و المشركين.

و الرجل الآخر و هو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا يستجيب الله دعاءه فيه، حيث لم يعز الإسلام به، كما رأينا. مع أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول:

(ما سألت - ربى - الله - شيئا إلا أعطانيه (١)) بل لقد كانت النتيجة عكسيه، حيث يذكر عبد الرزاق: (أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرا) (٢).

هـ- لا بأس بالمقارنه بين نعيم بن عبد الله النحام العدوى. و بين عمر بن الخطاب العدوى؛ فقد أسلم نعيم قبل عمر، و كان يكتنم إسلامه، و منعه قومه لشرفه فيهم من الهجره، لأنه كان ينفق على أرامل بنى عدى و أيتامهم.

فقالوا: (أقم عندنا على أى دين شئت، فو الله لا يتعرض اليك أحد الا ذهبت أنفسنا جميعا دونك (٣)).

و يقول عروه عن بيت نعيم هذا: (ما أقدم على هذا البيت أحد من بنى عدى) (٤) أى لشرفه.

١- راجع: ترجمه الامام على بن ابى طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و هامشها و ٢٧٨ و فرائد السمطين باب ٤٣ حديث ١٧٢ و كنز العمال ج ١٥ ص ١٥٠ ط ٢ عن ابن جرير، و صححه، و ابن ابى عاصم، و الطبرانى فى الاوسط. و ابن شاهين فى السنه، و عن الرياض النضره ج ٢ ص ٢١٣.

٢- راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨.

٣- اسد الغابه ج ٢ ص ٣٣ و راجع: نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

٤- نسب قريش لمصعب ص ٣٨١.

أما عمر، فإن رسول الله أراد في الحديدية أن يرسله الى مكه؛ ليبلغ عنه رساله الى أشرف قريش، تتعلق بالامر الذى جاء له؛ فرفض ذلك و قال: (إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكه من بنى عدى أحد يمنعنى) ثم أشار على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بأن يرسل عثمان بن عفان (١).

و- لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فرده نعيم، و قال: (لا أدع لحمى تربا) و زوجها من النعمان بن عدى بن نضله (٢).

فنعيم يربأ بإبنته عن ان تتزوج بابن عمر، و يرى ذلك تضييعا لها!!.

ز- و فى زيارة عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، و وضعهما على عاتقه، و أخذ بزمام ناقته، و خاض المخاضه فاعترض عليه أبو عبيده، فأجابه عمر بقوله: (إنا كنا أذل قوم؛ فاعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله به أذلنا الله (٣))، و فى نص آخر عنه: (إنا قوم أعزنا الله بالاسلام، فلن نبتغى العز بغيره (٤)). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ١٨٥ ٤ - هل عز الإسلام بعمر حقا؟! ص : ١٨١

و احتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب و عزهم لا خصوص بنى عدى.

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٦٧ عن ابن اسحاق، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٩٧ / ٣٩٨ عن كثر العمال ج ١ ص ٨٤ و ٥٦ و ج ٥ ص ٢٨٨ عن ابن ابى شيبه، و الرويانى، و ابن عساكر، و ابى يعلى، و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦١ و سنن البيهقى ج ٩ ص ٢٢١.

٢- نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.

٣- مستدرک الحاكم ج ١ ص ٦١. و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صححه على شرط الشيخين.

٤- مستدرک الحاكم ج ١ ص ٦٢.

بعيد؛ لأنه قد عنف أبا عبيده على مقولته تلك بأن غير أبي عبيده لو كان قال ذلك لكان له وجه، أما أن يقوله أبو عبيده العارف بالحال و السوابق فإنه غير مقبول منه. هذا بالاضافة الى ما سيأتى مما يدل على ذل بنى عدى، فانتظر.

ح- وقال أبو سفيان للعباس فى فتح مكه، حينما كان يستعرض الألوويه؛ فرأى عمر، و له زجل: (يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد- أمر- أمر بنى عدى بعد- و الله- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، و إن عمر ممن رفعه الإسلام (١).

ط- تقدم قول عوف بن عطيه:

و أما الألمان بنو عدى و تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد لهم فتیان حرب و لكن أدن من حلب و عير و فى رساله من معاويه لزياد بن أبيه يذكر فيها أمر الخلافه يقول:

(و لكن الله عز و جل أخرجها من بنى هاشم و صيرها الى بنى تيم بن مره:

ثم خرجت الى بنى عدى بن كعب و ليس فى قريش حيان أذل منهما و لا أنذل الخ .. (٢).

ى- و قال خالد بن الوليد لعمر: (إنك أأمها حسبا. و أقلها عددا و أخملها ذكرا .. الى أن قال له: لثيم العنصر ما لك فى قريش فخر. قال

١- مغازى الواقدي ج ٢ ص ٨٢١، و عن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥، عن ابن عساكر، عن الواقدي.

٢- كتاب سليم بن قيس ص ١٤٠.

٥- غسل عمر لمس الصحيفة:

و إشكال آخر يبقى بلا جواب، و هو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفة، مع أن غسل المشرك لا يجدى فى جواز مس القرآن؛ فإن المانع هو شركه، لا حدثه، و لذلك قالت له: (إنك نجس على شركك، و إنه لا يمسه إلا المطهرون)

(٢)

و دعوى أن المراد هو غسل الجنابه مدفوعه أيضا، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهليه كانوا يغتسلون من الجنابه (٣) فكيف تقول له أخته: إنك لا تغتسل من الجنابه. إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه فى الجاهليه.

و مما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابه، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوما: أن لا يمس رأسه ماء من جنابه، حتى يغزو محمداً. و كانت غزوه السوق لأجل ان يكفر عن يمينه، (٤) كما

١- الخصال ج ٢ ص ٤٦٣.

٢- الثقات ج ١ ص ٧٤، و راجع مصادر الروايه المتقدمه، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٣.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٢٩ عن الدميرى، و السهيلي و ذكر الدميرى: انه بقيه من دين ابراهيم و اسماعيل. قال: و فى كلام بعضهم: كانوا فى الجاهليه يغتسلون من الجنابه، و يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يصلون عليهم الخ.

٤- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٤٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٥٤٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢١١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٣٩ و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه) ج ٢ ص ٥ و البحار ج ٢٠ ص ٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ١٧٥.

و يدل على ذلك: ما يذكرونه عن صيفى بن الأسلت من أنه كان قد ترهب فى الجاهليه و لبس المسوح و اغتسل من الجنابه
(١).

٦- نزول آيه فى إسلام عمر:

و يذكرون ان آيه: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قد نزلت فى هذه المناسبه حيث أسلم عمر رابع اربعين.
(٢)

و لكن يعارض ذلك ما روى عن الكلبي، من أن الآيه قد نزلت فى المدينه فى غزوه بدر (٣).

و عن الواقدي: أنها نزلت فى بنى قريظه و النصير (٤).

و أيضا فان الآيه فى سوره الأنفال، و هى مدينه لا مكيه.

و فى روايه الزهرى: أن هذه الآيه نزلت فى الأنصار. (٥)

يضاف الى ذلك: أن الآيه مسبوقة بآيات القتال، و لم يشرع القتال إلا فى المدينه، و هى تنسجم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها و تأمل فيها. و هى أيضا تناسب المدينه، حيث قويت شوكة الاسلام، و عز المؤمنون.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٤٧ و تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٠٩ و السيره الحلييه ج ٢ ص ١٤.

٢- راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن الطبراني، و ابى الشيخ، و ابن مردويه و راجع ايضا ما اخرجه عن البزار و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم، و غيرهم.

٣- مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧.

٤- التبيان للطوسى ج ٥ ص ١٥٢.

٥- الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن ابن اسحاق، و ابن أبى حاتم.

ملاحظات أخيره:

و أخيرا، فإننا نذكر:

١- أن الذى يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضه تناقضا كبيرا فيما بينها.

٢- إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذى كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، و جرى بينهما كلام؛ فأخبره باسلام أخته، و زوجها، و أغراه بهما.

و يرد سؤال: انه اذا كان سعد مسلما، و كان نعيم قد أسلم قبل عمر سرا، فلماذا يغرى عمر بأخته المسلمه و صهره؟! و إذا كان انما فعل ذلك ليصرفه عن قصد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسوء؛ فلا ندرى كيف يخاف من عمر على النبى و عند النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أمثال حمزه و على إلى تمام الاربعين رجلا؟ و لماذا لا يخاف على هذين المسلمين، و ليس لهما ناصر، و لا عندهما أحد؟!.

٣- إن قول حمزه عن عمر: (و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه) يشير إلى انه رحمه الله لم يكن يقيم وزنا لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحا بالسيف، حتى يرى: ان امره سهل، و ان بالإمكان قتله بنفس سيفه الذى يحمله، و هذا غاية فى الاستهانته بقدرات عمر، ما بعدها غاية.

٤- لا ندرى لماذا تهدد النبى عمر؟ و جبذه جبذه شديده!!.

و كيف وصل عمر الى النبى بهذه السهوله؟ و لماذا لقيه فى الحجره؟

و لماذا خرج المسلمون فى صفين؟ و ما هو فلسفه ذلك عسكريا.

و هل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل فى قريش؟

و لماذا لم يكن يدنو اليه إلا شريف إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيره.

و إذا كان قد خرج مع المسلمين فى صفين و تهدد المشركين، و خاف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حينئذ فلماذا احتاج إلى انقل رجل للحديث فى قريش؟! و لماذا ذهب إلى المسلمين متوشحا سيفه، إلى كثير من الاسئلة التى تعلم بالمراجعه و المقارنه.

: خاتمه المطاف:

و بعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه:

أن يكتشف بسرعه: أن ثمة محاولات للتغطية على قضيه إسلام حمزه، الذى عز به الإسلام حقا، و سر به رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سرورا كثيرا. و لهذا تجد: أنهم يقرنون عمر بحمزه كثيرا فى تلك الروايات، و يحاولون إعطاءهما المواقف مناصفه، مع تخصيص عمر بحصه الأسد فيها.

كما أن فضيله رد الجوار التى هى لعثمان بن مظعون يحاولون إعطاءها إلى عمر.

بل نجد فى بعض الروايات: إن أهل الكتاب فى الشام قد بشروا عمر بما سوف يؤول إليه أمره فى مستقبل هذا الدين الجديد (١)، كما بشروا أبا بكر فى بصرى (٢) و كما بشروا النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه (٣) حسب رواياتهم.

١- راجع الرياض النضره ج ٢ ص ٣١٩.

٢- راجع: السيره الحلييه ج ١ ص ٢٧٤ / ٢٧٥ و ١٨٦ و الرياض النضره ج ١ ص ٢٢١.

٣- قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقه بن نوفل فى ذلك، و أثبتنا عدم صحه ذلك، فراجع روايات بدء الوحي فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

ثم إنهم قد وجدوا في عمر العلامات التي تدعم مدعاهم (١)، كما وجدوها في أبي بكر من قبل؟!!

ثم كان إسلام عمر، و كانت كل الجهود موقوفه على صنع الفضائل و الكرامات له!! فتبارك الله أحسن الخالقين!!

و لقد قال ابن عرفه: المعروف بنفطويه إن أكثر فضائل الصحابه قد افتعلت في عهد بنى أميه، إرغاماً لأنوف بنى هاشم (٢)! كما أن معاويه قد أمر الناس بوضع الحديث في الخلفاء الثلاثة كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

و حسبنا ما ذكرناه هنا؛ فإن فيه مقنعا و كفايه لكل من أراد الرشد و الهدايه.٣.

١- تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٢.

٢- راجع النصائح الكافيه ص ٧٤ و حياه الإمام الحسن ٥ للقرشى ج ٢ ص ١٤٨ و الكنى و الألقاب ج ٣ ص ٢٦٢ و فجر الاسلام ص ٢١٣.

ص: ١٩٤

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب

اشاره

المقاطع:

و (لما رأَت قريش عزه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن معه، وعزه أصحابه في الحبشه، و فشوا الاسلام في القبائل) (١).
و أن جميع جهودها في محاربه الاسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربه جديده، و هي الحصار الاقتصادي و الاجتماعي، ضد الهاشميين، و أبي طالب؛ فاما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد لها للقتل. و إما ان يتراجع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه عن دعوته، و إما أن يموتوا جوعا و ذلا، مع عدم ثبوت مسؤوليه محدده على أحد في ذلك، يمكن أن تجرّ عليهم حربا أهليه، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، و عواقبها السيئه.
فكتبوا صحيفه تعاقدوا فيها على عدم التزوج و التزويج لبني هاشم، و بنى المطلب، و أن لا يبيعوهم شيئا، و لا يبتاعوا منهم، و أن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقتلوه.

١- سيره مغلطاي ص ٢٣، و راجع سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٧٥، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٧، عن المواهب اللدنيه.

وقد وقع على هذه الصحيفة أربعون رجلا من وجوه قريش، و ختموها بخواتيمهم، و علقت الوثيقه فى الكعبه مده (و يقال: إنهم خافوا عليها السرقة؛ فنقلوها إلى بيت أم أبى جهل) (١).

و كان ذلك فى سنه سبع من البعثه على أشهر الروايات. و قيل ست.

و أمر أبو طالب بنى هاشم أن يدخلوا برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الشعب- الذى عرف بشعب أبى طالب- و معهم بنو المطلب بن عبد مناف، باستثناء أبى لهب لعنه الله و أخزاه (٢). و استمروا فيه إلى السنه العاشره.

و وضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.

و كانوا ينفقون من أموال خديجه، و أبى طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. و كان صبيتهم يتضاغون جوعا، و يسمعهم المشركون من وراء الشعب، و يتذاكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، و بعضهم يتذمم من ذلك. و يقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، و كان هذا يصدر غالبا ممن يتصل بهم نسابا، كأبى العاص بن الربيع، و حكيم بن حزام و ان كنا نحن نشك فى ذلك كما سيأتى ان شاء الله تعالى.

و لم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبى طالب إلا- فى موسم العمرة فى رجب، و موسم الحج فى ذى الحجه، فكانوا يشترون حينئذ و يبيعون ضمن ظروف صعبه جدا، حيث إن المشركين كانوا يلتقون

١- هكذا جاء فى بعض الروايات فى البحار ج ١٩ ص ١٦ عن الخرائج و الجرائح. و لا يهمنى تحقيق هذا الأمر كثيرا ..

٢- و قيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، و لكنه قول نادر. و الاكثر على الاقتصار على أبى لهب لعنه الله ... و لسنا هنا فى صدد تحقيق ذلك ..

بكل من يقدم مكة اولاً، ويطمعونه بمبالغ خياليه ثمننا لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين. و كان أبو لهب هو رائدهم في ذلك؛ فكان يوصى التجار بالمغالاه عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئاً، و يضمن لهم، و يعرضهم من ماله كل زياده تبذل لهم. بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئاً بنهب أمواله، و يحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

و الخلاصه: أن قريشا قد قطعت عنهم الاسواق، فلا يتركون لهم طعاماً يقدم مكة، و لا يبيعا إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (١).

و قد استمرت هذه المحنه سنتين أو ثلاثاً. و كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) اثناءها يأتيهم بالطعام سرا من مكة، من حيث يمكن، و لو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الاسكافي و غيره (٢).

و كان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيراً ما يخاف على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) البيات؛ فاذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فاذا نام الناس جاء و اقامه، و أضجع ابنه علياً مكانه (٣).

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٤.

٢- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٥٦.

٣- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٥٦ و ج ١٤ ص ٦٤، الغدير ج ٧ ص ٣٥٧ / ٣٥٨ عن كتاب الحجج لابن معد. و ذكر ذلك ابن كثير في البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٤ من دون تصريح بالاسم. و تيسير المطالب ص ٤٩.

و ثمة ابيات شعر له رحمه الله مخاطبا بها ولده عليا بهذه المناسبه، فلتراجع في مصادرها.

أموال خديجه (رض)، و سيف علي «عليه السلام»:

هنا سؤال مفاده:

إن من المعروف: أن الاسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)-
كما سيأتى فى غزوه أحد و بدر:

لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار و بأموال خديجه رحمها الله تعالى، التى أنفقتها فى سبيل الله سبحانه فما معنى هذا الكلام
و ما الذى يرمى إليه؟! فهل معنى ذلك: أن خديجه كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا فى الاسلام؟

و هل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل فى التاريخ؟!

و لعلك تقول: إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يتألف كثيرين على الاسلام، فيعطيهام الأموال ترغيبا لهم فى ذلك. و
قضيه غنائم حنين الآتية إن شاء الله أوضح دليل على ذلك، و لا يجهل أحد سهم المؤلفه قلوبهم فى الاسلام.

و الجواب: أن هذا الذى ذكر ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون الرشوه على الاسلام، و إنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا فى
الاجواء الاسلاميه، و يتفاعلوا معها، و ينظروا لها نظره سليمه، و من دون وجود أية حواجز نفسيه، أو سياسيه، أو اجتماعيه فكان
هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهميه فى اكثرها، و يجعلهم يعيشون فى الاجواء و المناخات
الاسلاميه، و يتعرفون على خصائص

الاسلام و أهدافه. و لتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانيه و الفكرية بأحقية الاسلام، و سمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرمه من المال و الثروه و الامتيازات التي يحبها، فلماذا لا يدبر في الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخائق، و المضر بمصالحه؟ فاذا أعطى المال، و أفهم أن الاسلام ليس عدوا للمال: (قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده، و الطيبات من الرزق) (١) فإنه يمكن اقناعه حينئذ بأن هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانيه الانسان، و اعتبارها المقياس الحقيقي له، لا-المال، و لا-القوه و لا-الجمال، و لا الجاه، و لا غير ذلك. و أنه يهدف إلى تنظيم حياه هذا الانسان في هذا الخط، ليكون سعيدا في الدنيا و الآخرة على حد سواء.

و اما اموال خديجه؛ فلم تكن تعطى كرشوه على الاسلام، و لا- كانت تنفق على المؤلفه قلوبهم. و انما كانت تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعانى اعظم المشاق و الآلام، في سبيل اسلامه و عقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربتة بكل ما تملكه من اسلحه لا- انسانيه و لا- اخلاقيه، حتى بالفقر و الجوع، فكانت تلك الاموال تسد رمق من يتعرض للاخطار الكبيره، و تخدم الاسلام عن هذا الطريق. و هذا معنى قولهم: ان الإسلام قام باموال خديجه.

و ملاحظه لا بد منها، و هى ان اموال خديجه التي أنفقت في المقاطعه، كانت في غالبها من النوع الذي يمكن الانتفاع به في سد رمق الجائع. و كسوه العارى، و اما ما سواه؛ فلربما لم يتعرض لذلك؛ بسبب عدم قدره على البيع و الشراء في غالب الأحيان.

و نشير اخيرا، الى أن مکه مهما عظمت الثروه فيها، فانها لا تخرج عن كونها محدوده الامكانيات، تبعا لموقعها، و حجمها؛ لأنها لم تكن مدينه كبيره جدا، بل كانت بلدا كبيرا بالنسبه الى القرية، و لذا جاء التعبير عنها في القرآن ب (ام القرى) و ثروه في بلد كهذا تبقى دائما محدوده، تبعا لمحدوديته، و قدراته، و امكانياته.

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم انهم يذكرون حكيم بن حزام في جمله من كان يرسل الطعام سرا الى المسلمين في شعب أبي طالب روى ذلك ابن اسحاق و غيره. (١).

و لكننا بدورنا نشك في ذلك، فإن حكيم بن حزام كان من القوم الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليله الغار، و باتوا على باب النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يرصدونه بانتظار ساعه الصفر (٢) و قد ردّ الله كيدهم الى نحورهم.

أضف إلى ذلك: أنه كان يحتكر جميع الطعام الذي كان يأتي إلى المدينه على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (٣) و كان من المؤلفه قلوبهم (٤).

و من كانت له نفسه كهذه، فانه يصعب عليه جود كهذا، خصوصا

١- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ و غير ذلك من كتب السير.

٢- البحار ج ١٩ ص ٣١ و مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧.

٣- دعائم الاسلام ج ٢ ص ٣٥ و التوحيد للصدوق ص ٣٨٩ و الوسائل ج ١٢ ص ٣١٦ و الكافي ج ٥ ص ١٦٥ و التهذيب للطوسي ج ٧ ص ١٦٠ و من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٦٦ ط جماعه المدرسين و الإستبصار ج ٣ ص ١٥.

٤- نسب قريش ص ٢٣١.

إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العداء مع قريش. إلا- أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكاريه التجاريه؛ فيبيع المسلمين الطعام بأغلى الاثمان.

فيعرض نفسه لهذه الاخطار حبا بالمال.

و يكون حبه للمال، و تفانيه فى سبيله هو الذى يسهل عليه كل عسير، و يذل له ركوب كل صعب و خطير.

اضف الى ذلك: أنه سوف يأتي حين الكلام على اسلام ابى طالب حين الكلام على رده (صلى الله عليه و آله و سلم) هديه ملاعب الاسنة: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، قد ردّ هديته و هديه غيره، لأنها هديه من مشرك.

فلا يعقل: أن يقبلها الآن، و يردّها بعد ذلك. و إلا لا اعتراضوا عليه بقبوله لها قبل الآن.

إلا- ان يدعى: ان ابن حزام إنما كان يعطى الأطفال و النساء، و غيرهم من بنى هاشم المحصورين فى الشعب، و هؤلاء كانوا يقبلون ذلك منه، و إن كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن يقبل.

فتبقى ملاحظه: انه قد يكون انما ياتيهم بالطعام لبيعهم إياه بأغلى الاثمان لا دافع لها.

و من ذلك كله يظهر أيضا: أنه لا يمكن الإطمئنان، و لا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنئذ.

و نحن لا نستبعد: أن يكون للزبيريين يد فى تسجيل هذه الفضيله لحكيم بن حزام، لا سيما و أنه كان ممن تلكأ عن بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كان عثمانيا متصلبا (١). و قد أشرنا إلى ذلك حين الكلام حول

ولاده أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكعبة، و حين الكلام عن افتعال الاكاذيب في موضوع الوحي و كفياته.

انشقاق القمر:

و في السنه الثامنه من البعثه، حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب، كانت قضيه انشقاق القمر (١).

و قد جاء في الروايات الكثيره: أن قريشا سألوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يريهم آيه، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل الله تعالى: اقتربت الساعه و انشق القمر، و إن يروا آيه يعرضوا و يقولوا سحر مستمر (٢).

و في روايه: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السِّفَّار؛ فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأينا، فأنزل الله: اقتربت الساعه و انشق القمر (٣).

و نقل عن السيد الشريف في شرح المواقف، و عن ابن السبكي في شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمتري في تواتره عند أهل السنه (٤).

و أما عند غيرهم، فيقول العلامة البحاثه السيد الطباطبائي ايده الله: (ورد انشقاق القمر لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) في روايات الشيعة عن أئمه أهل البيت عليهم السلام كثيرا، و قد تسلّمه

١- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٤.

٢- سوره القمر / ١ و ٢.

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٣ عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و أبي نعيم، و البيهقي في دلائلهم، و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

٤- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠.

محدثوهم، و العلماء من غير توقف (١)

و لكن على أیه حال .. لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضروريات الدين، كما اشار اليه بعض الاعلام (٢).

شبهه، و حلها:

يقول العلامة الطباطبائي: (و اعترض عليها: بأن صدور المعجزه منه (صلى الله عليه و آله و سلم) باقتراح من الناس، ينافى قوله تعالى: وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ، وَ آتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا، وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (٣).

فمفاد هذه الآيه، إما أنا لا- نرسل بالآيات إلى هذه الأمة اصلا، لأن الأمم السابقه كذبوا بها، و هؤلاء يماثلونهم فى طباعهم؛ فيكذبون بها، و لا- فائده فى الارسال مع عدم ترتب الأثر عليه. أو المفاد؛ أنا لا نرسل بها، لأننا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؛ فعذبوا بها؛ و اهلكوا. و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، و عذبوا عذاب الاستئصال، لكننا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب. و على أى حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الامم الدارجه.

نعم، هذا فى الآيات المرسله باقتراح الناس، دون الآيات التى تؤيد بها الرساله، كالقرآن المؤيد لرساله النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و كآيتى العصا، و اليد لموسى (عليه السلام)، و آيه احياء الموتى و غيرها لعيسى (عليه السلام)، و كذا الآيات النازله لطفًا منه سبحانه،

١- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦١ و راجع باب المعجزات السماويه فى البحار، ج ١٧ ص ٣٤٨ - ٣٥٩.

٢- راجع: همه بايد بدانند (فارسى) ص ٧٥.

٣- الاسراء / ٥٩.

كالخوارق الصادره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا عن اقتراح منهم الخ.

ثم أجاب أيده الله بما ملخصه: أن تكذيبهم بآيه انشقاق القمر كان يستدعى العذاب، لأنها آيه اقتراحيه منهم، و ما كان الله ليهلكك جميع من أرسل نبيه إليهم، و هم أهل الارض جميعا إلا بعد إتمام الحججه عليهم، و لم تتم الحججه بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآيه. بل تمت الحججه على بعض الأفراد من الذين كانوا يعيشون في مكه، لأن هذه الآيه كانت قبل الهجره بخمس سنين هذا بالإضافة إلى أنه ما كان الله ليهلكك جميع أهل مكه و من حولها، لأن فيهم جمعا كبيرا من المسلمين، قال تعالى: وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ، فَتَصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ، لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١).

و لم يتزِيل المشركون عن المسلمين، و لا امتازوا عنهم.

كما أنه إذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم فانه لا يعذبهم. قال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (٢) و ما كان الله لينجى المؤمنين، و يهلك الكفار بعد ان آمن جمع كثير منهم فيما بين سنه ثمان من البعثه، و ثمان من الهجره، ثم اسلم عامتهم يوم الفتح. و الاسلام يكتفى فيه بظاهره.

و أيضا، فان عامه أهل مكه و من حولها لم يكونوا أهل جحود و عناد، و إنما كان ذلك في عظمائهم و صناديدهم، الذين كانوا يستهزؤون به (صلى الله عليه وآله وسلم)، و يعذبون المؤمنين.

١- الفتح / ٢٥.

٢- الأنفال / ٣٣.

و الآيات التي تبين أنهم لكونهم يصدون على المسجد الحرام، و لكونهم يستفزون (صلى الله عليه و آله و سلم) من الارض ليخرجوه منها.

سوف ينشأ عنه أنهم لا- يلبثون خلافه إلا قليلا، و ليدوقوا العذاب بما كانوا يكفرون (١)- هذه الآيات- قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُزِيلَ بِالآيَاتِ الْخ .. إنما يفيد الامسآك عن إرسال الآيات ما دام النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فيهم، و اما إرسالها و تأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه.

و قوله تعالى وَ قَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبْتُوعًا- إلى أن قال:- قُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٢). لا يدل على نفى تأييد النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بالآيات المعجزة، و انكار نزولها من الاساس. و إلا فان جميع الانبياء كانوا بشرًا. و معنى الآية: أنه من حيث هو بشر فانه لا يقدر على ذلك. و انما الأمر إلى الله تعالى فهو الذى يأتي بالآيات فى الحقيقة (٣).

و يقول البعض: إن آيه: وَ مَا نُزِّلَ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا لعلها ناظره إلى أن دعوه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ليست معتمده على الآيات، التي هي من قبيل ناقة ثمود، و آيات موسى (عليه السلام)، بل هي تعتمد بالدرجة الاولى على الاقناع، و اقامه الحجة العقلية كدعوه ابراهيم، و ذلك لا- ينافى صدور بعض الآيات فى الموارد التي لا- تنفع فيها الحجج العقلية، و البراهين القطعية.

١- راجع الاسراء / ٧٦ و الانفال / ٣٥.

٢- الاسراء / ٩٣.

٣- راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠-٦٤.

انشقاق القمر، الحدث الكبير

و أوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق - كما يقال - لرآه جميع الناس، و لضبطه أهل الارصاد فى الغرب و الشرق، لكونه من اعجب الآيات السماويه، و الدواعى متوفره على استماعه و نقله.

و أجيب:

أولاً: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث أرضى أو سماوى معلوما للناس، محفوظا عندهم، يرثه خلف عن سلف (١).

و أوضح ذلك بعض الأعلام بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظه الأمور التاليه

١- إن هذا الانشقاق قد حصل فى نصف الكره الأرضيه، حيث يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.

٢- و فى هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل فى الاجرام السماويه إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون، فإنهم جميعا لا يتلفتون إلى ذلك.

٣- و لربما يكون فى بعض المناطق سحاب يمنع من رؤيه القمر.

٤- و الحوادث السماويه إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبه بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادى كقله نور الشمس فى الكسوف، إذا كان لمدته طويله نسبيا.

٥- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء و مراقبه ما يحدث لاجرامها.

١- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤.

٦- و لم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعه مذهله؛ لتتوجه الانظار إلى ما يحدث.

٧- و التاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جدا، فكم كان في تلك المئات و الآلاف من السنين الخاليه من كوارث و زلازل، و سيول عظيمه أهلكت طوائف و أمما، و ليس لها مع ذلك في التاريخ أثر يذكر. بل إن زرادشت و قد ظهر في دوله عظيمه، و له أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ، لا يعرف حتى أين ولد و مات و دفن، بل و يشك البعض في كونه شخصيه حقيقيه، أو وهميه.

و بعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، و لا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح (١) كما هو معلوم.

و ثانيا: لم يكن في المنطقه العربيه و غيرها مرصد للأوضاع السماويه، و إنما كانت المراصد موجوده في المشرق و المغرب لدى الروم و اليونان، و غيرهما. و لم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت.

على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكه من اختلاف الأفق ما يوجب فصلا زمانيا معتداً به. و قد كان القمر على ما في بعض الروايات بدرا قد انشق حين طلوعه، و دام مدته يسيره، ثم التأم، فيقع طلوعه في بلاد المغرب و هو ملتئم ثانيا (٢).

امكان الانشقاق و الالتيام علميا:

و يبقى هنا سؤال. و هو أنه هل يمكن علميا الانشقاق في الاجرام السماويه؟، و إذا أمكن الانشقاق، فانما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذ؛ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق.

١- همه بايد بدانند (فارسی) ص ٩٤ للعلامه الشيخ ناصر مكارم الشيرازی.

٢- تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤ / ٦٥.

و أجب عنه: بان خرق العاده بقدره اللّٰه سبحانه ليس محالا. كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيره فى الأجرام السماويه؛ بسبب عوامل خاصه، و من الأمثله على ذلك:

١- ان ثمه حوالى خمسه آلاف من القطع الكبيره و الصغيره التى تدور حول الشمس و يعتقد العلماء انها بقايا احدى السيارات التى كانت بين مدارى المريخ، و المشترى، ثم انفجرت لاسباب مجهوله و تحولت إلى قطع متفاوتة الاحجام فى مدارات حول الشمس.

٢- و يقولون: إن الشهب هى أحجار صغيره تسير بسرعه مذهله فى مدار حول الشمس. و ربما تتقاطع مع الارض أحيانا، فتجذبها الارض، فتصطدم بالجو الارضى فتشتعل ثم تتلاشى. و يقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت و تشققت بهذا النحو.

٣- و المنظومه الشمسيه أيضا يقال- حسب نظريه لا بلاس-: إنها كانت فى الاصل قطعه واحده، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو.

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر و هو القدره الالهيه، حيث إن النبى (صلى اللّٰه عليه و آله و سلم) قد دعا اللّٰه فاستجاب له.؟ و لم يدّع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلا.

و أما عودته إلى الالتيام بعد ذلك. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبيه. و لذلك نجد أن الشمس كثيرا ما تجذب بعض القطعات التى تدور حولها.

فتتحول تلك القطع بفعل الصدمه و الاحتكاك إلى لهب متلاش.

اذن، فما دام كل من شقى القمر قريبا إلى الآخر، و بعد رفع تأثير القوه المانع من تأثير الجاذبيه، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر

إلى نفسه، ليعودا كما كانا، و أى محذور عقلى فى ذلك (١).

وقد أوجز العلامة الطباطبائى الاجابه عن سؤال امتناع الالتيام لعدم الجاذبيه، فقال: إن الاستحاله العقليه ممنوعه، و الاستحاله العاديه، بمعنى اختراق العاده، لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولا عن الانشقاق بعد الالتيام و لم تمنع. و أصل الكلام مبنى على خرق العاده (٢).

دلاله الآيه القرآنيه على ذلك:

و يحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ ناظرا إلى المستقبل، و أنه من أشراف الساعه، كتكوير الشمس، و انكدار النجوم.

و أجب عنه بما حاصله:

أولا: إن ظاهر قوله تعالى: وَ إِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا: سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ هو أن جماعه من مخالفى النبى لا يؤمنون بالآيات و كلما جاءتهم آيه يزيد عنادهم و استكبارهم، و يعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد جرى له (صلى الله عليه و آله و سلم) معهم فى قصه انشقاق القمر مثل ذلك.

ثانيا: إن جمله (انشق) فعل ماض، و لا يراد الاستقبال من الفعل الماضى إلا بقرينه، و هى غير موجوده. بل الموجود خلافه؛ فقد قال الرازى: (المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، و دلت الاخبار الصحاح عليه) (٣)- و إن كان الطبرسى و ابن شهر آشوب يستثنيان:

١- كتاب: همه بايد بدانند ص ٨٤-٩٠.

٢- تفسير الميزان ج ١٩-٦٥.

٣- التفسير الكبير للرازى ج ٢٩ ص ٢٨.

عطاء، و الحسن و البلخي (١). ثم قال: الطبرسي: و هذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه (٢).

و ان قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: و انشق القمر، يوحي بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: ان كثيرا من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟، قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ، وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (٣). و ينقل عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: (بعثت انا و الساعة كهاتين) (٤) و أشار الى اصبعيه. (و الظاهر: أن ذلك بملاحظه مجموع عمر الدنيا الطويل جدا، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزماني بين بعثته (صلى الله عليه و آله و سلم) و قيام الساعة ليس بشئ ع).

و بعد هذا .. فان مفاد الآيه يكون: ان الساعة قد اقتربت، و هذه الآيه المعجزه قد ظهرت للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم). و لكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، و لا يصدقون. بل يقولون: سحر مستمر (٥).

و لكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: وَ إِن يَرَوْا آيَةً أَخْبَرُوا فِيهَا عَمَزَجًا عَلَىٰ عُقَبِ آلِ مُوسَىٰ، فَانها جملة انشق القمر مساقها قوله تعالى: أتى أمر الله؛ فلا تستعجلوه، فانها جملة

١- مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦.

٣- الأنبياء / ١.

٤- نقله في مفتاح كنوز السنه ص ٢٢٧ عن البخارى، و مسلم، و ابن ماجه و الطيالسي، و أحمد، و الترمذى و الدارمى، فراجع.

٥- راجع في كل ما ذكرناه في دلالة الآيه كتاب: همه بايد بدانند (فارسي) ص ٧٦-٨٠.

فعلية ماضويه. و لكن الأمر لم يأت بعد بقرينه قوله: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ.

و كذا الحال فى قوله تعالى: وَ انشَقَّ الْقَمَرُ بملاحظه قوله تعالى: وَ اِنْ يَرَوْا إلخ. و المراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا. و أما الاجماع الذى أدعاه الطبرسى؛ فلا حجه فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطىء للآيه. انتهى كلامه.

و نقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحه تدل على وقوع انشقاق القمر.

الاساطير:

هذا، و قد لعبت الأهواء و الاساطير فى قضيه شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنه الناس: أن أحد شقى القمر قد مرّ من كمّ النبى (صلى الله عليه و آله و سلم). فيقول العلامة ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له فى كتب الحديث و التفسير عين و لا أثر، سواء عند السنه، أو عند الشيعه.

و ثمة تفاصيل و خصوصيات تذكر فى بعض الروايات لا نرى فى تحقيق الحق فيها كبير نفع، و لا جليل أثر؛ و لذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، و نفعه أعم.

نقض الصحيحه:

و بعد ثلاث سنوات تقريبا من حصر المسلمين فى شعب أبى طالب، أخبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عمه أبا طالب بأن الأرضه قد اكلت كل ما فى صحيفتهم من ظلم و قطيعه رحم و لم يبق فيها إلا ما كان اسما لله (و فى نص آخر: انها قد اكلت كل اسم لله تعالى فيها، و لم تبق إلا كل ظلم و شر، و قطيعه رحم. (١)).

١- و لربما يقال: إن استمرار قريش على عداته (صلى الله عليه و آله)، إلى حين نقض الصحيحه، يدل على أن الأرضه إنما محت اسم الله تعالى. و ابقت قطيعه الرحم و سائر المواد التى اتفقوا عليها. و قد استبعد ذلك بأن أكل الأرضه لأسم الله بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها و ان كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها. و لربما يرد على ذلك بأن الأرضه إنما محت اسم الله عنها تنزيها له عن أن يكون فى صحيفه ظالمه كهذه و هذا إعجاز مطلوب و راجح من أجل اظهار الحق، و ليس فى ذلك إهانته.

فخرج أبو طالب من شعبه، و معه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت و عليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني و لم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفه الإرضه، فأكلت كل قطيعه و إثم، و تركت كل اسم هو لله؛ فان كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، و إن يكن كاذباً ندفعه اليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هي كما قال (صلى الله عليه و آله و سلم): فكبر المسلمون، و امتفعت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينأ أولى بالسحر و الكهانه؟.

فأسلم يومئذ عالم من الناس.

و لكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون

الصحيحه، حتى قام جماعه منهم بالعمل على نقضها، و يذكرون منهم:

هشام بن عمرو بن ربيعه، و زهير بن أميه بن المغيره، و المطعم بن عدى، و أبا البخترى بن هشام، و زمعه بن الاسود، و كلهم له رحم بنى هاشم و المطلب. و تكلموا فى نقضها؛ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا الى معارضته، و مزقت الصحيحه، و بطل مفعولها. و خرج الهاشميون حينئذ من شعب أبى طالب رضوان الله تعالى عليه (١).

حنكه أبى طالب، و ايمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجره النبويه الشريفه ليجد عشرات الشواهد الداله على حنكه أبى طالب (عليه السلام).

و خير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفا، حيث رايناه يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، و يمزج ذلك بالتعريض بامكان أن يكون ثمه صلح فى ما بينهم و بينه. و ما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفه إلا علنا، يراها كل أحد، و أيضا، حتى يهيئهم للمفاجأه الكبرى، و يمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقى عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

و لا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعدا بما يريد، و يضعهم أمام شرف الكلمه، و على محك قواعد النبل و احترام الذات، حسب المعايير التى كانوا يتعاملون على أساسها .. و قد نجح فى ذلك إلى حد بعيد،

١- راجع فيما تقدم: السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ١٦ و دلائل النبوه ط دار الكتب ج ٢ ص ٣١٢ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٨٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ ط دار المعرفه و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣١ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦.

حتى ليصيح الناس: أنصفنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمه حقيقه أخرى، لها أهميتها و انعكاساتها، و هى تدل مدى ثقه أبى طالب بصدق النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و بسداد أمره، و واقعيه ما جاء به. حتى لقد كان يتألم جدا من اتهام ابن أخيه بالسحر و الكهان، و يعتبر ذلك افترا آ ظاهرا، و يغتنم الفرصه السانحه للتعبير عن خطل رأيهم، و سفه أحلامهم، فيقول لهم: (اتبين لكم: أينأ أولى بالسحر و الكهان؟). و كانت النتيجة: أن اسلم بسبب هذه المعجزه يومئذ عالم من الناس.

القبليه و آثارها:

و قد لا حظنا فيما سبق: أن القبليه قد ساعدت إلى حد ما فى منع الكثير من الأحداث التى تؤثر مستقبليا على الدعوه و نجاحها. و ليكن ما قام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفه هو أحد الشواهد على ذلك.

و لكن الذى يلفت نظرنا هو أننا لا نرى أبا لهب فىمن قام فى ذلك أو ساعد عليه.

كما أننا لا نجد اثرا لابن عم خديجه حكيم بن حزام، الذى تدعى الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم و هم محصورون فى الشعب.

و أيضا لا نجد مكانا لابی العاص بن الربيع الأموى (!!))، الذى سوف يأتى حين الكلام على أسطوره تزويج على بنت أبى جهل أنهم يدعون (!!): ان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أثنى على صهره!! تعريضا بعلى الذى لم يكن يستحق إلا- التفرير و التعريض (!!)). على الذى كان يخاطر بنفسه، و يأتى لهم بالطعام من مكه، و لو وجدوه لقتلوه، كما تقدم.

ما بعد نقض الصحيفة:

و استمر الرسول الا-كرم (صلى الله عليه و آله و سلم) يعمل على نشر دينه، و أداء رسالته، و استمرت قريش تضع فى طريقه العراقيل، و تحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، و الاستماع اليه، بكل الوسائل التى تقع تحت اختيارها.

و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يتحمل و يصبر. لا يكل و لا يمل. و لم تفلح قريش فى ذلك، و لا وصلت إلى نتيجة.

و الأحداث التى فى هذا السبيل كثيره، لو أردنا استقصاءها لطلال بنا المقام. و لا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، و إن كان يعز ذلك علينا.

وفد من الحبشه:

و قدم على النبى الأعظم الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) أول وفد من خارج مكه، و بالذات، من الحبشه، و من النصارى، و قيل: من نجران. و كان يتألف- على قول ابن اسحاق و غيره- من عشرين رجلا، و قيل غير ذلك. و كان على رأس الوفد جعفر بن أبى طالب رحمه الله (١).

فوجدوا النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى المسجد؛ فكلموه، و سألوه، و رجال من قريش فى أنديةهم حول الكعبه، و بعد دعوه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لهم إلى الاسلام آمنوا و صدقوا.

فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، و عنفهم على اسلامهم، و تركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، و لكم ما انتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا؛ فأنزل الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ

١- كذا قال البوطى فى فقه السيره ص ١٢٦ و مجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨ و يفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائيا عام خبير.

قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: إِذَا سَجَعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَقَالُوا: لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (١).

و كانت هذه- بطبيعته الحال- ضربه قاسيه لقريش و كبرياتها، و خططها و اهدافها. و خصوصا إذا كان ذلك الوفد قد جاء من الحبشه، و بالأخص بقياده جعفر (عليه السلام)؛ فان ذلك يعنى: أن الدعوه قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب فى مناطق لا تخضع لقريش، و سلطانها، و نفوذها.

كما أنه إنذار لها بلزوم التحرك بسرعه قبل أن يفوت الاوان، و لكن كيف؟ و أنى؟. و هذا أبو طالب، و معه الهاشميون و المطلبون يمنعون محمدا و يحوطونه. فلا بد إذن من الانتظار.

من مواقف أبى طالب:

و كان أبو طالب شيخ الأبطح (عليه السلام) هو الذى حامى و ناصر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و حذب عليه منذ طفولته، و حتى الآن:

فقد نصره بيده و لسانه، و واجه المصاعب الكبيره، و المشاق العظيمه، فى سبيل الدفع عنه، و الذود عن دينه و رسالته، و اعطاها الفرصه للتوسع و الانتشار، ما وجدت الى ذلك سبيلا.

و هو أيضا الذى كان يقدمه على اولاده جميعا، و قد ارجعه بنفسه من بصرى الى مكه عندما حذره بحيرا من اليهود عليه (صلى الله عليه و آله و سلم).

نعم، و هو الذى رضى بعداء قريش له، و بمعاناه الجوع و الفقر،

١- الآيه فى سوره القصص من آيه ٥٢ حتى آيه ٥٥، و راجع الحديث فى سيره ابن هشام ج ٢ ص ٣٢، و تفسير ابن كثير، و القرطبي، و النيشابورى فى تفسير الآيات، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٢.

و النبذ الاجتماعى، و رأى الاطفال يتضاغون جوعا، حتى اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبّر صراحه: عن انه على استعداد لان يخوض حربا طاحنه، تأكل الاخضر و اليابس، و لا يسلم محمدا لهم، و لا يمنع من الدعوه الى الله، بل هو لا يطلب منه ذلك على الأقل.

و هو الذى يقف ذلك الموقف العظيم من جبابره قريش و فراعنتها، حينما جاءه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)- و قد القت عليه قريش سلا ناقه- فأخذ رحمه الله السيف، و امر حمزه بان ياخذ السلا، و توجه الى القوم، فلما رأوه مقبلا عرفوا الشرّ فى وجهه، ثم أمر حمزه ان يلطّخ سبالهم، واحدا واحدا، ففعل. (١)

و فى نص آخر: انه نادى قومه، و امرهم بان يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون ارادوا التفرق؛ فقال لهم: (و رب البنيه، لا يقوم منكم احد الا- جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبى ذلك حتى ادمها- و فاعل ذلك هو ابن الزبعرى- و امر بالفرت و الدم على لحاهم). (٢)

و فى الشعب كان يحرس النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بنفسه و ينقله من مكان إلى آخر. و يجعل ولده عليا (عليه السلام) فى موضع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، حتى اذا كان امر اصيب ولده دونه و قد خاطب رحمه الله فى هذه المناسبه عليا (عليه السلام) بأبيات معبره،

-
- ١- الكافى نشر مكتبه الصدوق ج ١ ص ٤٤٩ و منيه الراغب ص ٧٥ و راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ و السيره النبويه لدحلان مطبوع بهامش الحلبيه ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٢٣١ و البحار ج ١٨ ص ٢٠٩.
- ٢- راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٥٩ و ج ٨ ص ٣-٤ و ابوطالب مؤمن قريش ص ٧٣ كلاهما عن العديد من المصدر و ثمرات الأوراق ص ٢٨٥ / ٢٨٦ و نزّهه المجالس ج ٢ ص ١٢٢ و الجامع لاحكام القرآن ج ٦ ص ٤٠٥، ٤٠٦ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤ / ٢٥.

و أجابه على (عليه السلام) بمثلها (١) فلترجع.

و كان يدفع قريشا عنه باللين تاره، و بالشده اخرى. و ينظم الشعر السياسى، ليشير العواطف، و يدفع النوازل، و يهيبى ء الاجواء لاعلاء كلمه الله، و نشر دينه، و حمايه اتباعه.

و قد افتقد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) مره (فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، و سلحهم، و اراد ان يجعل كل واحد منهم الى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتكك به، لو ثبت ان محمدا اصابه شر). (٢)

كل ذلك فى سبيل الدفع عن الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) و نصر دينه، و اعلاء كلمته، و رفعه شأنه.

و واضح: ان الالمام بكل مواقف ابى طالب، و توضحياته الجسم يحتاج الى وقت طويل، و جهد مستقل و نحن نكتفى بهذه الاشاره، و نعترف اننا لم نقض حقه كما ينبغى (و ذلك من اجل ان نوّفر الفرصه لبحوث اخرى فى السيره النبويه الشريفه.

مع تضحيات أبى طالب رضوان الله عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، كان على استعداد لأن:

١- يتخلى حتى عن مكانته فى قومه، إلى بديل آخر هو فى الاتجاه

١- المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٤ / ٦٥ و أسنى المطالب ص ٢١ و لم يصرح بإسم (على) و كذا فى السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٤٢ و راجع البدايه و النهايه ج ٣ ص ٨٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٣١٢ و تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤٠ / ١٤١ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ج ٨ ص ٣ و ٤ و ابو طالب مؤمن قريش ص ١٩٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٦. ابو طالب مؤمن قريش ص ١٧١ و منيه الراغب ص ٧٦ / ٧٥ و الغدير ج ٢ ص ٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١.

المضاد تماما، و هو العدااء لهم، و سائر أهل بلده، بل و الدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفي و النبذ الاجتماعى له، و لكل من يلوذ به، و لا يستسلم للضغوط المتنوعه التى يتعرض لها، و لا تلين قناته، و لا تصدع صفاته.

٢- يرضى بتحمل الجوع و الفقر و المحاصره الاقتصاديه، بل هو يبذل أمواله و كل ما لديه فى سبيل هذا الدين.

٣- يوطن نفسه على خوض حرب طاحنه، ربما تنتهى باباده الهاشميين و أعدائهم، إذا لزم الأمر.

٤- يضحى حتى بولده الأصغر سنا على عليه السلام و يتحمل آثار غربه ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشه.

٥- يجاهد بيده و لسانه، و يستخدم كل مالمديه من امكانيات ماديه و معنويه، و لا يبالي بكافه الصعاب و المشاق، و هو يدافع عن هذا الدين، و يحوطه بالرعايه و العنايه، ما وجد إلى ذلك سبيلا.

سؤال و جوابه:

و يرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفى، و نابعا عن حميه النسب و القبيله؟! أو على حدّ تعبير البعض: بدافع من (حبه الطبيعى) (١)؟.

و جوابه:

١- ما يأتى من ادله قاطعه على ايمان ابى طالب عليه الصلاه و السلام و لا سيما اشعاره و تصريحاته الداله على ذلك هذا بالإضافة إلى ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عن الأئمه من ولده فى حقه.

٢- يؤيد ذلك انه إذا كان محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ابن

أخيه؛ فان عليا ولده، فلو كانت العاطفه النسبيه هى الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعا مختارا، بعد تفكير و تأمل و تدبر لعواقب ذلك؟ و لماذا يرضى بأن يكون الاغتيال- لو تم- موجها له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعى لابن أخيه أكثر منه لولده، و فلذه كبده؟!.

٣- أما الحميه القبليه، و الرابطه النسبيه، فلو كانت هى السبب فى موقفه ذاك، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه الله لان يقف موقف ابى طالب (عليه السلام)؛ فيدفع عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و يضحى فى سبيله؛ حتى بولده، و بمكانته، و بكل ما يملك؟!.

بل لقد رأينا من اشد الناس على النبى، و اكثرهم جرأه عليه، و ايداء له.

و أما ساير بنى هاشم فانهم و إن دخلوا الشعب مع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) إلا أن توضحياتهم فى سبيل النبى لم تبلغ عشر معشار توضحيات أبى طالب، كما انهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ ابى طالب، و إصراره ..

و هكذا يتضح: ان حميه الدين اقوى من حميه النسب، و لذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آباءهم و اولادهم فى سبيل دينهم. و قد استأذن عبد الله بن عبد الله بن أبى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بقتل ابيه (١) و فى صفين أيضا لم يرجع الأخ عن أخيه حتى أذن له امير المؤمنين (ع) بتركه، (٢) الى غير ذلك من الشواهد الكثيره.

٤- ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلك من اجل الدنيا؛ فقد كان

١- تفسير الصافى ج ٥ ص ١٨٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٦٤ و الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤ عن عبد بن حميد، و ابن المنذر و الاصابه ج ٢ ص ٣٣٦.

٢- صفين للمنقرى ص ٢٧١ / ٢٧٢.

يجب ان يضحى بابن اخيه دون ولده، و يضحى به دون عشيرته؛ لانه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، و سمّت ام الهادي ولدها، لا أن يضحى بكل شىء دونه، ثم تكون النتيجة هي: أن يدمره و يدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح فى منطق المصالح الدنيويه بايه صورته على الاطلاق.

٥- و أيضا، فان الحميه القبليه- لو كانت- فانما تؤثر اثرها فى حدود مصالح القبيله، و الحفاظ على شؤونها، و مستقبلها اما اذا كانت هذه الحميه سببا فى تدمير القبيله و القضاء عليها، و تعطيل مصالحها، و تعريض مستقبلها للاخطار الجسام؛ فان هذه الحميه لا يمكن ان يفسح لها المجال، و لا ان يظهر لها اثر لى عقلاء الرجال.

و هكذا يتضح: اننا لا يمكن ان نفسر مواقف ابى طالب (ع) تلك، الّا على انها بدافع عقيدى و ايمانى راسخ، يدفع الانسان للبذل و العطاء، لكل ما يملك فى سبيل دينه و عقيدته.

فصلوات الله و سلامه عليك يا ابا طالب، يا ابا الرجال، و يا رائد قوافل التضحيه و الفداء، فى سبيل الحق و الدين، و رحمه الله و بركاته.

عام الحزن:

و فى السنه العاشره من البعته كانت وفاه الرجل العظيم، ابى طالب عليه الصلاه و السلام.

ففقد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بفقده نصيرا قويا، و عزيزا وفيا، كان هو الحامى له، و الدافع عنه، و عن دينه، و رسالته، كما اشرنا اليه.

ثم توفيت بعده بمدته و جيزه- قيل: بثلاثه أيام، و قيل بعده بحوالى

شهر (١) خديجه أم المؤمنين صلوات الله و سلامه عليها، أفضل أزواج النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أحسنهن سيره، و أخلاقا مع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد كانت بعض نساء النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) (و هي عائشه) تغار منها غيره شديده، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها فى بيت الزوجيه، لأن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد تزوجها بعد وفاه خديجه بزمان. (٢)

و نستطيع أن نعرف: كم كان لأبى طالب (عليه السلام)، و لخديجه صلوات الله و سلامه عليهما من خدمات جلى فى سبيل هذا الدين من تسميه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عام وفاتهما ب:

(عام الحزن). (٣)

الحب فى الله و البغض فى الله:

و من الواضح: أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن ينطلق فى حبه لهما، و حزنه عليهما من مصلحته الشخصيه، أو من عاطفه رحميه، و إنما هو يحب فى الله تعالى، و فى الله فقط. و يقدر أى إنسان، و يحزن لفقده، و يرتبط به روحيا و عاطفيا، بمقدار ارتباط ذلك الانسان بالله، و قربه

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٤٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٣٢ البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢٧ و التنبيه و الاشراف ص ٢٠٠.

٢- البدايه و النهايه لابن كثير ج ٣ ص ١٢٧-١٢٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٣٣-١٣٥ صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٠٢ و كتاب عائشه للعسكرى ص ٤٦ فما بعدها. و قد ذكرنا بعض المصادر لذلك فى ما يأتى فى فصل: حتى بيعه العقبه، حين الكلام حول جمال عائشه و حظوتها.

٣- سيره مغلطى ص ٢٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٥٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٣٩ ط دار المعرفه و اسنى المطالب ص ٢١.

منه، و تفانيه في سبيله، و في سبيل دينه و رسالته.

أى أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يتأثر على ابي طالب و خديجه؛ لأن هذه زوجته و ذاك عمه. و إلا فقد كان أبو لهب عمه أيضا.

و إنما لما لمس فيهما من قوه إيمان، و صلابه في الدين، و تضحيات و تفان في سبيل الله، و العقيدة. و في سبيل المستضعفين في الارض و لما خسرت الامه فيهما، من جهاد و اخلاص قلّ نظيره في تلك الظروف الصعبه و المصيريه.

و قد المسح النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الى ذلك حينما جعل موت ابي طالب و خديجه مصيبه للأمم بأسرها، كما هو صريح قوله في هذه المناسبه:

(.. اجتمعت على هذه الأمم مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشدّ جزعا) (١).

نعم، و ذلك هو الأصل الاسلامى الأصيل، الذى قرره الله تعالى بقوله: (لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر، يوادون من حادّ الله و رسوله، و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ (٢)) و هل ثمه محادّه لله و لرسوله أعظم من الشرك، الذى عبر الله عنه بقوله:

(إن الشرك لظلم عظيم) و (إن الله لا يغفر أن يشرك به، و يغفر ما دون ذلك)!

و الآيات و الروايات التى تؤكد على الحب فى الله و البغض فى الله كثيره تفوق حد الحصر فى عجاله كهذه.

و على هذا الأساس قال الله تعالى لنوح عن ولده: إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّ

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٥ ط صادر.

٢- المجادله الآيه ٢٢.

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. (١)

و قال تعالى حكاية لقول ابراهيم (ع): فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي (٢)

و على هذا الأساس أيضا كان سلمان الفارسي من أهل البيت.

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): سلمان منا أهل البيت (٣)

و قال أبو فراس:

كانت موده سلمان لهم رحماو لم تكن بين نوح و ابنه رحم

١- سورة هود الآية ٤٦.

٢- سورة ابراهيم الآية ٣٦.

٣- مصادر هذا الحديث المذكوره في كتابنا سلمان الفارسي في مواجهه التحدى.

ص: ٢٢٦

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش

اشاره

إيمان أبي طالب «ره»:

ولا- بدّ لنا هنا من الحديث بايجاز عن موضوع ما زال بين أخذ وردّ بين المسلمين. ألا وهو إيمان أبي طالب رحمه الله فمن مؤيد، و من منكر

فأما أهل البيت و شيعتهم، فإنهم مجمعون على اسلامه (رحمه الله)، (١) بل في بعض الاحاديث: أنه من الاوصياء (٢). و أن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الأئمة، و فاطمه (عليها السلام) (٣)

و نحن و إن كنا لم نستطع أن نجزم بصحة هذه الأحاديث، إلا أن إيمانه بالله، و تصديقه برسالته (صلى الله عليه و آله و سلم)، و انقياده

١- روضه الواعظين ص ١٣٨، و أوائل المقالات ص ١٣ و الطرائف لابن طاووس ص ٢٩٨ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ١٦٥، و البحار ج ٣٥ ص ١٣٨ و الغدير ج ٧ ص ٣٨٤ عنهم، و عن: التبيان ج ٢ ص ٣٩٨، و كتاب الحجج لابن معد ص ١٣، و مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧.

٢- الغدير ص ٣٨٩ ج ٧.

٣- الغدير ج ٧ ص ٣٨٧ عن مصادر كثيره.

للأوامر و الزواجر الالهيه، كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعه النهار.

و الأحاديث الداله على ايمانه، و الوارده عن أهل بيت العصمه كثيره، و قد جمعها العلماء فى كتب مفرده (١).

و واضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه، من كل أحد. يقول ابن الأثير: (و ما أسلم من اعمام النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) غير حمزه و العباس، و أبى طالب عند أهل البيت) (٢).

و عدا عن ذلك، فان الأدله الداله على إيمانه كثيره، و قد ألف فى اثبات ايمانه الكثير من الكتب من السنه و الشيعه على حد سواء. و قد انهاها بعضهم إلى ثلاثين كتابا، و منها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للاستاذ عبد الله الخيزى، الذى كاد ان يدفع حياته ثمنا لهذا الكتاب؛ حيث حاول الوهابيون فى السعوديه تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؛ فتداركه الله برحمته، و تخلص من شرهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضه الموثقه فى ثنايا الكتب و الموسوعات، و نخص بالذكر هنا ما جاء فى الغدير للعلامه الامينى قده ج ٧ و ٨.

و قد نقل العلامه الامينى عن جماعه من أهل السنه: أنهم ذهبوا الى ذلك أيضا، و كتبوا الكتب و البحوث فى اثبات ذلك، كالبرزنجى فى أسنى المطالب ص ٦- ١٠ و الـجهورى، و الاسكافى، و أبى القاسم البلخى، و ابن وحشى فى شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، و التلمسانى فى حاشيه الشفاء، و الشعرانى، و سبط ابن الجوزى، و القرطبى، و السبكى، و أبى طاهر، و السيوطى، و غيرهم.

١- و كان من الكتب الأخيره كتاب: منيه الراغب فى ايمان ابى طالب للشيخ الطبسى.

٢- البحار ج ٣ ص ١٣٩ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٩.

بل لقد حكم عدد منهم - كابين وحشى و الاجهورى، و التلمسانى بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر (١).

بعض الادله على ايمان أبى طالب:

و قد استدل من قال بإسلامه بعده أدله، مثل:

أ- ما تقدم مما روى عن الائمة (عليهم السلام)، و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) مما يدل على ايمانه، و هم أعرف بأمر كهذا من كل أحد.

ب- ما تقدم من مناصرته للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و تحمله تلك المشاق و الصعاب العظيمة، و توضيحه بمكانته فى قومه، و حتى بولده، و توطينه نفسه على خوض حرب طاحنه تأكل الاخضر و اليابس. و لو كان كافرا؛ فلماذا يتحمل كل ذلك؟! و لماذا لم نسمع عنه و لو كلمه عتاب أو تذر مما جرّه عليه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!.

و احتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم.

غير وجيه، فانه كان حينئذ قد بلغ من الكبر عتيا، حيث إنه قد توفى عن بضع و ثمانين سنه، و هو يرى: موقف قومه منه، و من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) كيف هو، و لا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلك المقام، كما أنه لا يجد الفرصه كبيره لنيل ابن أخيه لذلك المقام بعده.

ج- و قد استدل سبط ابن الجوزى على ايمانه بأنه - كما نقل - لو كان أبو على كافرا لكان شنع عليه معاويه و حزبه، و الزبيريون و أعوانهم، و سائر أعدائه (عليه السلام)، مع أنه (عليه السلام) كان يذمهم و يزرى عليهم بكفر الآباء و الامهات، و رذاله النسب (٢).

١- راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ و غير ذلك.

٢- راجع: أبو طالب مؤمن قريش ٢٧٢/٢٧٣ ط سنه ١٣٩٨ هـ. عن تذكره الخواص.

د- تصريحاته و أقواله الكثيره جدا؛ فانها كلها ناطقه بايمانه و اسلامه. و يكفى أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله: إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجيبي ء التواتر، من حيث مجموعها (١).

و نحن نذكر هنا اثني عشر شاهداً من شعره، على عدد الائمة المعصومين من ولده عليه و عليهم السلام، تبركا و تيمناً، و الشواهد هي:

١- ألم تعلموا: أنا وجدنا محمدانبياء كموسى خط في أول الكتب

٢- نبى أتاه الوحى من عند ربه و من قال: لا، يقرع بها سنّ نادم

٣- يا شاهد الله على فاشهد إنى على دين النبى أحمد

٤- أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزل من ذى العزه الكتب

٥- أنت النبى محمد قرم أغر مسود

٦- أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبى كموسى أو كذى النون

٧- و ظلم نبى جاء يدعو إلى الهدى و أمر أتى من عند ذى العرش قيم

٨- لقد أكرم الله النبى محمداً أكرم خلق الله فى الناس أحمد

٩- و خير بنى هاشم أحمد رسول الإله على فتره (٢)

١٠- و الله لا أخذل النبى و لا يخذله من بنى ذو حسب ١١- و قال رحمه الله يخاطب ملك الحبشه، و يدعوهُ إلى الإسلام.

أتعلم ملك الحبش أن محمدانبياء كموسى و المسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكل بأمر الله يهدى و يعصم

و انكم تتلونهُ فى كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

١- شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨ و البحار ج ٣٥ ص ١٦٥.

٢- و قيل: ان قائل هذا البيت هو طالب بن أبى طالب. راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٨. إلا ان يقال إنه قاله على سبيل التمثل بشعر أبيه (رحمه الله).

فلا تجعلوا لله ندا فأسلموا فان طريق الحق ليس بمظلم ١٢- وقال مخاطبا ولده حمزه رحمه الله:

فصبرا أبا يعلى على دين أحمدو كن مظهراً للدين وفقت صابرا

و حط من أتى بالحق من عند ربه بصدق و عزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرنى أن قلت: انك مؤمن فكن لرسول الله فى الله ناصرا

و باد قريشا فى الذى قد أتته جهارا، و قل: ما كان أحمد ساحرا و أشعار ابى طالب الناطقه بايمانه كثيره، و قد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمححه عن سائر ما قيل، و يقال فى هذا الموضوع.

ه- قال المعتزلى: (قلت: كان صديقنا على بن يحيى البطريق (رحمه الله) يقول: لو لا- خاصه النبوه و سرها لما كان مثل أبى طالب، و هو شيخ قريش، و رئيسها، و ذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمدا و هو شاب قد ربي فى حجره. و هو يتيمه و مكفوله، و جار مجرى أولاده بمثل قوله:

و تلقوا ربيع الابطحين محمدا على ربوه فى رأس عنقاء عيطل

و تأوى اليه هاشم إن هاشماعرانين كعب آخر بعد أول و مثل قوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للارامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل فان هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع و الذنابى من الناس، و إنما هو من مديح الملوك و العظماء. فإذا تصورت: أنه شعر أبى طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم فى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم). و هو

شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاما، و على عاتقه طفلا، و بين يديه شابا. يأكل من زاده، و يأوى إلى داره، علمت موضع خاصيه النبوه و سرّها، و أن أمره كان عظيما (١).

كما أن قصيدته اللاميه تلك التي يقول فيها: و ابيض يستسقى الخ.

و هي طويله، و كان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم (٢) فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، و قد ذكرها ابن هشام و ابن كثير، و غيرهم.

و- لقد رأينا أبا طالب الذي يدعو ملك الحبشه إلى الاسلام، هو الذي دعا ولده جعفرا و أمره بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاه. (٣) و هو ايضا الذي دعا زوجته فاطمه بنت أسد إلى الاسلام (٤) و أمر حمزه بالثبات على هذا الدين، و أظهر سروره باسلامه، و كذلك الحال بالنسبه لولده أمير المؤمنين (عليه السلام). إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لكلامه و مواقفه في المناسبات المختلفه.

ز- و قد صرح ابو طالب في وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقيه في شأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و ان ما جاء به الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قد قبله الجنان و انكره اللسان؛ مخافه الشنآن. و اوصى قريشا بقبول دعوه الرسول و متابعتة على امره، ففي ذلك

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٣ و ماذا في التاريخ ج ٣ ص ١٩٦/١٩٧ عنه.

٢- مقاتل الطالبين ص ٣٩٦.

٣- راجع: الاوائل لابي هلال العسكري ج ١ ص ١٥٤، و روضه الواعظين ص ١٤٠ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٦٩ و السيره الحلييه ج ١ ص ٢٦٩ و أسنى المطالب ص ١٧ و الإصابه ج ٤ ص ١١٦ و أسد الغابه ج ١ ص ٢٨٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٥٧.

٤- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٧٢.

الرشاد و السعاده (١).

ح- ثم هناك ترحم النبي صلى الله عليه و آله وسلم عليه، و استغفاره له باستمرار، و جزعه عليه عند موته (٢) و واضح: أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم، و لأجل ذلك قال (صلى الله عليه و آله و سلم) لسفانه بنت حاتم الطائي:

لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه (٣).

ط- و كيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، و لولده سعيد بن زيد، و لورقه بن نوفل، و قس بن ساعده.

و لابي سفيان الذي ما زال كهفا للمنافقين، و الذي ستأتى لمححه عن تصريحاته و مواقفه في أواخر غزوه أحد كيف يحكمون لهؤلاء بالاسلام.

بل يروون عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): أنه قال عن أميه بن أبي الصلت: انه كاد أن يسلم في شعره (٤).

و يقول الشافعي عن صفوان بن أميه: (و كان كأنه لا يشك في اسلامه) لأنه حين سمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، و قتل محمد، قال له: (بفيك الحجر، فو الله، لرب قریش أحب الي من رب هوازن).

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالاسلام، و هم لم يدركوا الاسلام، أو أدركوه و لم يسلموا، أو اظهروا الاسلام، و أبطنوا الكفر.

١- الروض الأنف ج ٢ ص ١٧١ و ثمرات الاوراق ص ٩٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٠ / ٣٠١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٥٢ و البحار ج ٣٥ ص ١٠٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٦٦ عن مصادر أخرى.

٢- تذكرة الخواص ص ٨.

٣- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٢٠٥.

٤- صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٨-٤٩، و الاغانى ط ساسى ج ٣ ص ١٩٠. و التراتيب الاداريه ج ١ ص ٢١٣.

ثم يحكمون بالكفر على ابي طالب الذى ما فتى ء يؤكد و يصرح عشرات المرات، فى أقواله و فى افعاله، و يعلن بالشهاده لله بالوحدانيه، و لنبيه (صلى الله عليه و آله و سلم) بالنبوه و الرساله؟!.

و ان حال ابي طالب مع الأمويين و أشياعهم مثل حال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) مع المشركين الذين حكى القرآن عنهم بقوله: وَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْدًا، أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ الخ .. (١).

و الأمويون و أشياعهم يقولون: لن نقرّ بإيمان هذا الرجل و لو تضافرت على ذلك كل الأدله و الشواهد، و حتى لو نص الله و رسوله عليه، فبئس الخلف من الأمويين و اشياعهم لبئس السلف من طواغيت الجاهليه و عتاتها.

ى- و بعد كل ما تقدم نقول:

إن اسلام أى شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور اربعة:

١- من مواقفه العمليه، و مواقف ابي طالب، قد بلغت الغايه التى ما بعدها غايه فى الوضوح و الدلاله على اخلاصه و تفانيه فى الدفاع عن هذا الدين.

٢- من اقراراته اللسانيه بالشهادتين، و يكفى أن نشير إلى ذلك القدر الكثير منها فى شعره فى المناسبات المختلفه.

٣- و إما من موقف ممثل الاسلام و رائد الحق النبي الاعظم (صلى

اللّه عليه وآله وسلم) منه. و الموقف الرضى أيضا ثابت منه (عليه السلام) تجاه أبى طالب على اكمل وجه.

٤- من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، و عن حس، كاهل بيته، و من يعيشون معه. و قد قلنا: انهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العمليه، و لا الطعن بتصريحاته اللسانيه، حاولوا: أن يشبهوا على العامه بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا: (إنه لم يكن منقادا (١))!!.

كل ذلك رجما بالغيب، و افتراء على الحق و الحقيقه، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيره بن شعبه و امثاله من أعداء آل أبى طالب كما سنشير إليه حين الكلام على الأدله الواهيه إن شاء اللّه تعالى.

و من أجل أن نوفى أبا طالب بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه- من مصادر غير الشيعه عموما- و نترك سائره، و هو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثله قليله معدوده، و هى.

١- قال العباس: يا رسول اللّه، ما ترجو لأبى طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربى (٢).

٢- جاء ابو بكر بأبيه أبى قحافه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقوده، و هو شيخ أعمى، يوم فتح مكه. فقال رسول اللّه: ألا- تركت الشيخ فى بيته حتى نأتيه؟! قال: أردت أن يؤجره اللّه. لأنا كنت باسلام أبى طالب أشد فرحا منى باسلام أبى، التمس بذلك قره عينك الخ (٣).

١- راجع: سيره دحلان ج ١ ص ٤٤-٤٧، و الاصابه ج ٤ ص ١١٦-١١٩.

٢- الاذكياء ص ١٢٨ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٨، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، و البحار ج ٣٥ ص ١٥١ و ١٠٩.

٣- مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبرانى و البزار، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٤٤ عن المجمع، و الاصابه ج ٤ ص ١١٦ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٩.

و العلامة الاميني في الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال لأبي بكر ذلك، وقد بحث ذلك بحثا جيدا، ونحن نوافق في ذلك أيضا. وربما تكون هذه العبارة زياده من بعض المتزلفين، كما عودونا في امثال هذه المناسبات.

٣- قال المعتزلي: (روى بأسانيد كثيره، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافه: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله (١)).

و تقدم في شعره تصريحات كثيره بذلك أيضا.

٤- ولقد ترحم عليه و دعا له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و استغفر له، حتى في المدينه حينما استسقى لاهلها فجاءهم الغيث فذكر أبا طالب، و استغفر له على المنبر (٢) و لما مات ابو طالب تبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازته مع انهم يروون النهي عن المشي في جنازه المشرك. كما أنهم يروون أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر عليا بأن يغسله و يكفنه و يواريه (٣)، و انما لم يأمره بالصلاه عليه لأن صلاه

١- شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧١، و راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٦٩ عن البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢٣، و سيره ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ و الاصابه ج ٤ ص ١١٦، و عيون الاثر ج ١ ص ١٣١، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٧١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٧٢ و السيره النبويه لدحلان بهامشها ج ١ ص ٨٩، و اسنى المطالب ص ٢٠ و دلائل النبوه للبيهقي و تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠ و كشف الغمه للشعراني ج ٢ ص ١٤٤.

٢- راجع: عيون الانباء ص ٧٠٥.

٣- راجع: في كل ذلك تذكره الخواص ص ٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٧ و المصنف ج ٦ ص ٣٨، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٧، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٥، و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٨ و تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦، و ج ١٣ ص ١٩٦ و تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥، و الطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في نهايه الطلب و البحار

الجنائز لم تكن فرضت بعد. و لاجل ذلك قالوا: إن خديجه لم يصل عليها النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) حينما توفيت، مع انها سيده نساء العالمين.

٥- لقد رثاه ولده على (عليه السلام) حينما توفى بقوله:

أبا طالب عصمه المستجير و غيث المحول و نور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظفصلى عليك ولى النعم

و لَقَاكَ ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم (١) ٦- و كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) رساله مطوله لمعاويه جاء فيها: (ليس أميه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطليق، و لا الصريح كاللصيق) (٢).

فإذا كان أبو طالب كافرا و أبو سفيان مسلما، فكيف يفضل الكافر على المسلم ثم لا يردّ عليه ذلك معاويه بن أبى سفيان؟.

و لكن الحقيقه هى عكس ذلك تماما؛ فان أبا سفيان هو الذى

١- تذكرة الخواص ص ٩.

٢- وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧١ و الفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٢٦٠، و نهج البلاغه الذى بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٨ الكتاب رقم ١٧ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ١١٧ و الامامه و السياسه ج ١ ص ١١٨، و الغدير ج ٣ ص ٢٥٤ عنهم، و عن: ربيع الابرار للزمخشري باب ٦٦، و عن مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢. و راجع أيضا: الفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٢٦٠ و مناقب الخوارزمى الحنفى ص ١٨٠.

قال: (إنه لا يدري ما جنه و لا نار) كما سيأتي في أواخر غزوه أحد.

و يلاحظ هنا أيضا: أن أمير المؤمنين يشير في كلامه الآنف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاويه، و لهذا البحث مجال آخر.

٧- و حمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصره، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كفت عنه. (١)

٨- و ورد عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) أيضا قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، و أمي و عمي أبي طالب، و أخ لي كان في الجاهليه (٢).

٩- و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): إن الله عز و جل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على صلب أنزلك، و بطن حملك، و حجر كفلك. أما الصلب فعبد الله، و أما البطن فأمنه، و أما الحجر فعمه، يعنى أبا طالب، و فاطمه بنت أسد. و بمعناه غيره مع اختلاف يسير (٣).

١٠- و سئل الإمام السجاد (عليه السلام) عن إيمان أبي طالب، فقال: واعجبا، إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمه على نكاح كافر؛ و قد كانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلى الاسلام، و لم تزل تحت أبي

١- طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٧ ط ليدن.

٢- ذخائر العقبى ص ٧ عن تمام الرازى فى فوائده، و الدرر المنيفه للسيوطى ص ٨ و مسالك الحنفا ص ١٤ عن ابى نعيم و غيره و ذكر أن الحاكم صححه، و تفسير القمى ج ١ ص ٣٨٠ و تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٨ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٢.

٣- أصول الكافى ج ١ ص ٣٧١ و البحار ج ٣٥ ص ١٠٩ و التعظيم و المنه للسيوطى ص ٢٧ و راجع: روضه الواعظين ص ١٣٩ و شرح النهج ج ١٤ ص ٦٧ و الغدير ج ٧ ص ٣٧٨ عنهم، و عن: كتاب الحجج لابن معد ص ٨، و تفسير أبى الفتوح ج ٤ ص ٢١٠.

طالب حتى مات (١).

و نزول آيه النهى عن الامساک بعصم الكوافر فى المدينه، لا يضر و لا يوجب بطلان هذه الروايه، لا مكان أن يكون النهى عن ذلك بالقول على لسانه (صلى الله عليه و آله و سلم) قبل نزول القرآن. و عدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذ ربما كان لظروف معينه فرضت عليهم ذلك.

١١- و أخيرا، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن اسلام أبى طالب، فانه قد شك فى ذلك، فكتب (عليه السلام) إليه: وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ، وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الآية. و بعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبى طالب كان مصيرك إلى النار (٣).

١١- و سيأتى فى غزوه بدر: ان الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)) لم يقبل من شهيد بدر عبيده بن الحارث أن يعرض بعمة أبى طالب، و لو بمثل أن يقول: إنى أولى بما قال منه:

كذبتم و بيت الله يبنى محمدا و لما نطعن دونه و ناضل

و نسلمه حتى نصرع دونه و نذهل عن أبنائنا و الحلائل فإذا كان النبى يغضب و لو لمثل هذا التعريض، فهل تراه سوف يكون مسرورا بمن يحكم على عمه بالشرك، و يجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟ إلى آخر ما هنالك؟!.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٨، و الغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٨٩ عنه و عن: كتاب الحجج ص ٢٤، و الدرجات الرفيعه، و ضياء العالمين، و ادعى تواتر هذا الحديث عندنا.

٢- النساء الايه / ١١٥.

٣- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٨ و الغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكى ص ٨٠، و كتاب الحجج لابن معد ص ١٦، و الدرجات الرفيعه و البحار و ضياء العالمين.

و حسبنا ما ذكرناه من الامثله الناطقه باسلام أبى طالب، و من أراد التوسع فعليه بالكتب المعده لذلك.

الأدله الواهيه.

اشاره

و قد استدل القائلون بكفر أبى طالب- و العياذ بالله- بروايات و أدله واهيه، و نحن نشير هنا إلى عمدته ما اعتمدوا عليه فى ذلك، و هى:

١- حديث ابن الضحاح:

عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامه، فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه. و حسب نص آخر: ان العباس قال للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أغنيت عن عمك، فوالله، كان يحوطك و يغضب لك، قال: هو فى ضحضاح من نار، و لو لا أنا لكان فى الدرک الاسفل من النار (١).

و نقول:

أ- لقد ناقش كل من الامينى و الخنيزى (٢) جميع أسانيد هذه الروايه، و بينا و هنها و ضعفها، و تناقض نصوصها العجيب. و نحن نحيل القارىء الذى يرغب فى التوسع إلى ما ذكره هذان العالمان حول هذا

١- صحيح البخارى ط سنه ١٣٠٩ ج ٢ ص ٢٠٩، و ج ٤ ص ٥٤، و المصنف ج ٦ ص ٤١، و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠. و صحيح مسلم، كتاب الايمان، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، و مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٠٧، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢٥، الغدير ج ٨ ص ٢٣ عن بعضهم، و عن عيون الاثر ج ١ ص ١٣٢، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٦.

٢- راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٣ / ٢٤ و أبو طالب مؤمن قريش.

ب- إنه إذا كان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نفع أبا طالب، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتم معروفة، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضا؟!

و أيضا هل تكون الشفاعة في الدنيا؟!

ج- لقد روي: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمه لا- إله إلا- الله، محمد رسول الله؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها. فهذا يدل على أنه قد أناط (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلق الشفاعة بكلمه لا إله إلا الله (١). فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمه التي توجب حلقتها؟!

ثم أ و ليس يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك؟ فلماذا حلت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجه من الدرك الاسفل إلى الضحضاح؟ (٢).

د- قال المعتزلى، نقلا- عن الاماميه و الزيديه: (قالوا: و أما حديث الضحضاح؛ فانما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، و هو المغيره بن شعبه، و بغضه لبنى هاشم، و على الخصوص لعلى (عليه السلام) مشهور معلوم، و قصته و فسقه غير خاف) (٣).

و لكننا نجدهم يروونه عن غير المغيره أيضا، كما في البخارى

١- الترغيب و التهيب ج ٤ ص ٤٣٣ عن أحمد بسندين صحيحين، و عن البزار، و الطبرى باسناد جيد و ابن حبان فى صحيحه و راجع: الغدير ج ٢ / ٢٥.

٢- مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٣٦، و تلخيصه للذهبي و صححاه و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٧١ و الغدير ج ٨ ص ٢٤ عنهما و عن كنز العمال ج ٧ ص ١٢٨، و شرح المواهب للزرقانى ج ١ ص ٢٩١ و كشف الغمه للشعرانى ج ٢ ص ١٢٤، و تاريخ أبى الفداء ج ١ ص ١٢٠.

٣- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٧٠ و البحار ج ٣٥ ص ١١٢.

و غيره، فلعل روايه غير المغيره قد حدثت فى وقت متأخر، فان من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع .. و قد سكت المعتزلى على ردّهم هذا، و كأنه يحتمل ما احتملناه و لو وسعه الرد لفعل.

ه- و سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عما يقوله الناس: إن أبا طالب فى ضحضاح من نار؛ فقال: لو وضع إيمان أبى طالب فى كفه ميزان، و إيمان هذا الخلق فى كفه أخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) كان يأمر أن يحج عن عبد الله، و ابنه، و أبى طالب فى حياته، ثم اوصى فى وصيته بالحج عنهم (١).

و- سئل على (عليه السلام) فى رحبه الكوفه عن كون ابيه معذبا فى النار أو لا، فقال للسائل: مه، فضّ الله فاك، و الذى بعث محمدا بالحق نبيا، لو شفع ابى فى كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله فيهم.

أبى معذب فى النار، و ابنه قسيم الجنه و النار؟ (٢)

ز- يلاحظ: وجود التناقض فى روايات الضحضاح، فواحد يقول: لعله تنفعه شفاعتى؛ فيجعل فى ضحضاح يوم القيامة. و اخرى تجزم بأنه قد جعل فى الضحضاح بالفعل. فراجع

٢- إرث عقيل لابي طالب:

و استدلوا: بأن ولده عقيل هو الذى ورثه، و لم يرثه على و جعفر،

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٨، و الدرجات الرفيعه ص ٤٩، و البحار ج ٣٥ ص ١١٢ و الغدير ج ٨ ص ٣٨٠-٣٩٠ عنهما و عن كتاب الحججه للسيد ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، و الفتونى فى ضياء العالمين.

٢- البحار ج ٣٥ ص ١١٠ و كنز الفوائد ص ٨٠ ط حجريه.

لأنه كان مشركا و هما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، و اهل ملتين لا يتوارثان (١).

و لكن ذلك لا يصح أيضا.

فأولا: من أين ثبت لهؤلاء: أن عليا و جعفرا لم يرثاه.

و ثانيا: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، و لا- تفاعل عندنا في ميراثهما، و اللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب، فانه لا يكون إلا من اثنين، فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، و لا يرث الكافر المسلم (٢).

و ثالثا: لقد روى عن عمر قوله: (أهل الشرك نرثهم و لا يرثونا (٣)) و قد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛ و قالوا:

نرثهم و لا يرثونا (٤).

و رابعا: إنهم يقولون: ان الميراث في وقت موت أبى طالب لم يكن قد فرض بعد، و إنما كان الامر بالوصيه؛ فلعل أبى طالب قد أوصى لعقيل محبه له (٥).

٣- و هم ينهون عنه، و يناون عنه:

لقد ذكروا: أن آيه: و هم ينهون عنه، و يناون عنه، قد نزلت في أبى

١- المصنف ج ٦ ص ١٥، و ج ١٠ ص ٣٤٤، و في هامشه أى هامش السادس عن البخارى ج ٣ ص ٢٩٣، و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٩.

٢- راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٦٩.

٣- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٣٩ و ج ٦ ص ١٠٦.

٤- المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ١٠٦ (١٠٧ و ١٠٥ و ج ١٠ ص ٣٣٨ حتى ص ٣٤١).

٥- راجع: أسنى المطالب ص ٦٢.

طالب، الذى كان ينهى الناس عن أذى الرسول، و ينأى عن أن يدخل فى الاسلام (١).

و نقول:

أ- لقد تحدث الأستاذ الخيزى حول أسانيد هذه الروايه بما فيه الكفايه (٢) فليراجعه من أراد.

ب- إن هذه الآيه لا- تنطبق على أبى طالب بأى وجه؛ حيث إن الله تعالى يقول قبلها: وَ إِن يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا، حَتَّى إِذَا جَآؤَكَ يُجَادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِن هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ الخ .. (٣).

فضمائر الجمع، ككلمه: (هم)، و فاعل (ينهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم الله فى تلك الآيه. و هم المشركون، الذين إن يروا كل آيه لا يؤمنوا بها، و يجادلون الرسول فى هذه الآيات، و يصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى اساطير الأولين. و لا يقف عنادهم عند هذا و حسب، بل يتجاوزوه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبى، كما أنهم هم أنفسهم يتعدون عنه.

و هذه الصفات كلها لا تنطبق على أبى طالب، الذى لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و النصره له باليد و اللسان. بل يطلب من غيره أن يدخل فى هذا الدين. و أن يتمسك به

١- الاصابه ج ٤ ص ١١٥، و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٨، و بهجه المحافل ج ١ ص ١١٦ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٢٦ و الغدير ج ٨ ص ٣ عنهم و عن: تفسير الخازن ج ٢ ص ١١، و تفسير ابن جزى ج ٢ ص ٦، و عن الطبرى و الكشاف. و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١.

٢- أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٠٥ / ٣٠٦.

٣- الانعام / ٢٥- ٢٦.

و يصبر عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، و لحمزه، و جعفر، و على، و ملك الحبشه حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، و أن معناها: ينهون عن استماع القرآن، و اتباع الرسول، و يتباعدون عنه.

و هذا هو المروى عن ابن عباس، و الحسن، و قتاده، و أبي معاذ، و الضحاك، و ابن الحنفية، و السدى، و مجاهد، و الجبائي، و ابن جبير (١).

ج- و يقول الأميني: إن تلك الرواية تقول: إن آية الانعام: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ إِلَّا خ .. قد نزلت حين وفاه أبي طالب (عليه السلام)، و تقول روايه أخرى: إن آية: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ إِلَّا خ .. قد نزلت حين وفاته أيضا، مع أن هذه الآية قد وردت في سورة القصص التي نزلت قبل الانعام،- التي نزلت جمله واحده- (٢) بخمس سور. و هذا يدل على أن سورة الانعام قد نزلت بعد وفاه أبي طالب بمدته. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ٢٤٥ ٣- و هم ينهون عنه، و يتأون عنه: ص: ٢٤٣

إذن، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته (عليه السلام)؟!.

د- انهم يقولون: ان سورة الانعام قد نزلت دفعه واحده و كانت أسماء بنت يزيد ممسكه بزمام ناقته (صلى الله عليه و آله و سلم) (٣) و ذلك

١- راجع: مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥، و ٣٦، و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧ و الغدير ج ٨ ص ٣، و الدر المنثور ج ٣ ص ٨ و ٩ كلهم- كلا- أو بعضا عن القرطبي، و الطبرى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن أبى شيبه و ابن مردويه و عبد بن حميد، و القرطبي ج ٦ ص ٤٠٦.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٣، و فتح القدير ج ٣ ص ٩١/٩٢، و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢ و الغدير ج ٨ ص ٥ عنهم و عن تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٨٣/٣٨٢ كلهم عن: ابى عبيد، و ابن المنذر، و الطبراني، و ابن مردويه، و النحاس.

٣- الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، و ابن مردويه. و قد ذكر فى ص ٢ و ٣ نزولها جمله واحده فى مكه أو باستثناء آيه أو آيتين ليست الآية المذكوره واحده منها فراجع ما رواه عن عشرات الحفاظ مثل البيهقى فى شعب الايمان، و الخطيب فى تاريخه، و ابى الشيخ، و ابن المنذر، و النحاس فى ناسخه، و عبد الرزاق، و الفريابى،

انما كان بعد بيعه العقبة، التي كانت بعد وفاه ابي طالب بمدته طويله.

٤- آيه النهي عن الاستغفار للمشرك:

روى البخارى و مسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن ابيه، روايه تتلخص فى أن النبى طلب من ابي طالب حين وفاته أن يقول كلمه لا إله إلا الله ليحاج بها له عند الله. فقال له أبو جهل، و عبد الله بن أميه:

أترغب عن مله عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول يعرضها عليه، و يقولان له ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمه: على مله عبد المطلب، و ابي أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): و الله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يسيءوا بتعريفوا للمشركين، و لو كانوا أولى قربي، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم). (١) و انزل الله فى ابي طالب: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢).

و لا نريد أن نناقش فى أسانيد هذه الروايه (٣)، المقطوعه، و لا نريد أن نفيض فى الدلائل و الشواهد على أن ابن المسيب فضلا عن غيره متهم

١- التوبه / ١١٣.

٢- القصص / ٥٦ و الروايه فى البخارى ط سنه ١٣٠٩ ج ٣ ص ١١١، و غير ذلك.

٣- راجع فى ذلك: أبو طالب مؤمن قريش ٣١٣-٣٤٠ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦. و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

على على (عليه السلام)، كما نص عليه البعض (١). و لكننا نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشرك قد وردت في سورة التوبة، و لا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) في المدينة، بل لقد ادعى البعض أنها آخر ما نزل (٢). و لا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفردة، و القرآن ينزل، حتى نزلت سورة التوبة، فأضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تلحق بالسور انما تلحق بما نزل سابقاً عليها، و كان ذلك في الأ-كثر في السور الطوال، التي كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التي كانت تنزل دفعه واحده.

فكيف بقي (صلى الله عليه و آله و سلم) يستغفر لابي طالب طيله هذه المده، و يترحم عليه؟! مع أن ذلك من اظهر مصاديق المودّه للكافر، و قد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة كما في قوله تعالى: لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (٣).

و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (٤).

-
- ١- الغارات للثقفى ج ٢ ص ٥٦٩.
 - ٢- الغدير ج ٨ ص ١٠ و أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤١ عن: البخارى، و الكشاف، و البيضاوى، و تفسير ابن كثير و الإتيقان، و ابن أبى شيبه و النسائى و ابن الضريس، و ابن المنذر، و النحاس، و أبى الشيخ، و ابن مردويه.
 - ٣- المجادله/ ٢٢، و قد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الاتقان ج ١ ص ١١ و في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩، و فتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ و الغدير ج ٨ ص ١٠ عنهم و عن تفسير الآلوسى ج ٣٧/٢٨ و اخرجه ابن أبى حاتم، و الطبرانى و الحاكم و البيهقى و ابو نعيم: أنها نزلت في بدر أو في أحد.
 - ٤- النساء/ ١٤٤.

و قوله تعالى: الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ (١).

و قوله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (٢) إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثانيا: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوه بنى المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، و نزلت قبل سورة التوبة على كل حال: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

فإذا كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يعرف ان الله لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم ام لا، فلماذا يتعب نفسه في امر لا نتيجة له؟! فان ذلك امر لا يقزه العقلاء، و لا يقدمون عليه.

ثالثا: إننا نجد النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه يقول: (اللهم لا تجعل لفاجر و لا لفاسق عندي نعمه (٣)).

كما أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد ردّ هديه حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركا، قال عبيد الله: حسبت انه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئا، و لكن ان شئت اخذناها بالثمن (٤).

و ردّ أيضا هديه عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد اسلم بعد. ورد

١- النساء/ ١٣٩.

٢- سورة آل عمران الآية ٢٨.

٣- راجع ابو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

٤- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ و تلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، و صححاه حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عن كثر العمال و عن مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٧٨ و كثر العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن احمد و الطبراني، و الحاكم و سعيد بن منصور. و التراتيب الاداريه ج ٢ ص ٨٦ و يلاحظ هنا: انه (صلى الله عليه و آله) حين الهجره لا يقبل ناقه ابي بكر إلا بالثمن.

أيضا هديه ملاعب الأسنة، وقال: لا أقبل هديه مشرك (١).

عن عياض المجاشعي: انه اهدى إلى النبي هديه فأبى قبولها، وقال: انى نهيت عن زبد المشركين (٢).

و لم يكن ذلك منه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا لأنه يوجب احتراماً و موده من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له.

إلا ان الكشي ذكر روايه تقول: (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يرد هديه على يهودى و لا نصرانى) (٣).

و هذا إن صح يشير إلى الفرق بين هديه الكتابى و هديه المشرك فكان صلى الله عليه وآله وسلم يرد هديه الثانى دون الأول و

ذلك يدل على عدم صحه قوله لهم: إنه صلى الله عليه وآله وسلم فى هدنه الحديبيه استهدى أبا سفيان أدما (٤).

و قد يكون ذلك لأجل الفرق بين المشرك و الكتابى- لو صححت هذه الروايه- فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل هديه

الثانى دون الأول.

و بعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحه قولهم ان النبي قد استهدى من أبى سفيان أدما، و ذلك أيام هدنه الحديبيه.

١- كنز العمال ج ٣ ص ١٧٧ طبعه اولى عن ابن عساكر ط ثانيه ج ٦ ص ٥٧ عن الطبرانى و المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٤٦

و ٤٤٧ و فى الهامش عن مغازى ابن عقبه و مجمع البيان المجلد الاول ص ٥٣٥.

٢- كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن ابى داود و الترمذى و صححه و احمد و الطيالسى و البيهقى، و راجع ما عن عمران بن

حصين فى الكنز نفس الجلد و الصفحه و المصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٤٧ و فى الهامش عن ابى داود و احمد و عن

الترمذى ج ٢ ص ٣٨٩. و راجع الوسائل ج ١٢ ص ٢١٦ عن الكافى و المعجم الصغير ج ١ ص ٩.

٣- رجال الكشي ط جامعه طهران ص ٦١٠ و البحار ج ٥٠ ص ١٠٧ و الوسائل ج ١٢ ص ٢١٧.

٤- راجع التراتيب الاداريه ج ١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب.

و رابعا: لقد روى بسند صحيح - كما يقول الأمينى - عن على: أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه، و هما مشركان؛ فذكر على (عليه السلام) ذلك للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فنزلت الآية المذكوره (١).

و فى أخرى: ان المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت (٢).

و فى روايه: انها نزلت حينما استأذن (صلى الله عليه و آله و سلم) الله فى الاستغفار لأمه فلم يأذن له، و نزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها، فأذن له (٣).

و إن كنا نعتقد: أن الروايه الأخيره بعيده عن الصحه لاعتقادنا بأن أم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت مؤمنه موحده، كما أسلفناه فى بحث ايمان آباءه (صلى الله عليه و آله و سلم). و لكنها على أى حال مناقضه لما تقدم فعله الرواه طبقوها على هذا المورد، اجتهادا عمديا او سهويا منهم، و الصحيح هو النص المتقدم عن على (عليه السلام). و إلا

١- الغدير ج ٨ ص ١٢، و غيره عن: الطيالسى، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و الترمذى، و النسائى، و أبى يعلى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابى الشيخ، و ابن مردويه، و الحاكم و صححه، و البيهقى فى شعب الايمان، و الضياء فى المختاره، و الاتقان، و اسباب النزول، و تفسير ابن كثير، و الكشاف، و اعيان الشيعه، و اسنى المطالب ص ١٨، لدحلان و ابو طالب مؤمن قريش، و شيخ الابطح و مسند أحمد ج ١ ص ١٣٠ / ١٣١.

٢- مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن، و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣، و ابو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٨، عنهما و عن الاعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس و الحسن، و الكشاف ج ٢ ص ٢٤٦.

٣- تفسير الطبرى ج ١١ ص ٣١، و الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣، و ارشاد السارى ج ٧ ص ٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم فى صحيحه، و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ و أحمد فى مسنده، و أبو داود فى سننه، و النسائى، و ابن ماجه، و الحاكم، و البيهقى، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه و الكشاف ج ٢ ص ٤٩. و ابو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٩.

فلماذا نسي النبي الاستغفار لآله إلى آخر أيام حياته؟ هذا عدا عما تقدم.

و خامسا: إن آيه لا تهدي من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم احد، حينما كسرت رباعيته، و شج وجهه (صلى الله عليه و آله و سلم)، فقال:

اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون، فانزل الله: إنك لا تهدي من أحببت إلخ (١).

و قيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) يرغب في اسلامه، بل لقد ادعى الاجماع على ذلك (٢).

سادسا: إذا كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يحب إيمان أبي طالب فالله يحب ذلك أيضا، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب الله.

و قولهم: كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يكره إيمان وحشى، ثم آمن، لا- يصح؛ لأن هذا من نوع التضاد بين الرسول و المرسل، لو لم يتوافقا، و إذا توافقا، فكيف يمكن أن يكره الله و رسوله إيمان أحد (٣).

و سابعا: ان قوله تعالى: لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ لا يمنع من ايمان ابى طالب، فإن الله قد شاء الهدايه لأبى طالب ايضا كما دلت عليه النصوص.

و الآيه انما تريد تعليم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): ان محبته لهدايه شخص غير كافيه. بل لا بد معها من مشيئه الله سبحانه.

و أخيرا، فان عبد المطلب لم يكن كافرا و لا مشركا حسبما قدمنا،

١- راجع التراتيب الإداريه ج ١ ص ١٩٨ عن الإستيعاب. أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٨ عن أعيان الشيعة ج ٣٩ ص ٢٥٩ و الحججه ص ٣٩. و لربما يأتي بعض مصادر ذلك في وقعه أحد.

٢- أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٩ عن شيخ الابطح ص ٦٩.

٣- راجع هامش أنساب الأشراف ج ٢ ص ٢٨ عن الدكتور زررور في مقدمته على تفسير الحاكم الجشمى.

بل كان مؤمنا على دين الحنيفيه. و قد صرح المسعودى فى بعض كتبه بانه قد مات مسلما (١). فقول ابى طالب: بل على مله عبد المطلب لا يدل على كفره؛ فلو كان قد قال ذلك حقا. فلا بد أن يكون قد قال ذلك تعميمه على قريش، لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها فى تلك الفتره.

الوجه الأخير:

كان ما تقدم هو عمده ما استدل به القائلون بكفر ابى طالب، و العياذ بالله، و قد رأينا: أنه لا يستطيع أن يثبت أمام النقد الواعى و الدقيق. و قد بقيت بعض الروايات، التى يمكن الاستدلال بها على ذلك. و ليس فيها أيضا ما ينفع أو يجدى و نحن نشير إليها باختصار شديد؛ فنقول: إنهم قد رووا أيضا:

١- أن الرسول قال لابى بكر حول ما ينجى من الوسوسه: (ينجيكم من ذلك: أن تقولوا مثل الذى أمرت به عمى عند الموت؛ فلم يفعل، يعنى شهاده أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله (٢)).

و فى روايه عن عمر: إن كلمه التقوى التى أخلص عليها نبى الله عمه أبا طالب عند الموت: شهاده إلخ (٣).

و نقول:

أ- ان من الواضح: ان الذين يسألونه عما ينجى من الوسوسه كانوا يقولون تلك الكلمه، و يشهدون الشهادتين، و لكنهم كانوا- مع ذلك-

١- الروض الانف ج ٢ ص ١٧٠ / ١٧١.

٢- حياه الصحابه ج ٢ ص ٥٤٠ / ٥٤١ و كنز العمال ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ عن أبى يعلى و البوصيرى فى زوائده، و عن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٢.

٣- مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥، و كنز العمال ج ١ ص ٢٦٢ و ٦٣ عن أبى يعلى، و ابن خزيمه، و ابن حبان و البيهقى و غيرهم كثير جدا.

مبتلين بالوسوسة فكيف يأمرهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولها للنجاه من ذلك؟!.

إلا ان يكون المراد: كثره التللف بها و تكرارها.

و لكن ربما يقال: إن اراده هذا المعنى بعيد عن مساق الروايه.

ب- إن نفس هذه الروايه مرويه بسند صحيح، و تفيد: أن الخلاف كان بين سعد و عثمان، و أن الذى حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، و ذكر: دعوه ذى النون: (لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين).

و لم يذكر أبا طالب (١).

٢- لما مدّ أبو قحافه يده ليسلم بكى أبو بكر، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك؟ قال: لأن تكون يد عمك مكان يده، و يسلم، و يقر الله به عينك أحب إلى من أن يكون (٢).

و نقول:

أ- قد تقدمت هذه الروايه بنحو يدل على ايمان أبى طالب عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

ب- قد جاء أنه لما اسلم أبو قحافه لم يعلم أبو بكر باسلامه، حتى بشره النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك (٣) فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مدّ يده؟!.

١- مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٨ عن أحمد و رجاله رجال الصحيح، باستثناء ابراهيم بن محمد بن سعد و هو ثقه، و حياه الصحابه عنه و عن الترمذى و عن الكنز ج ١ ص ٢٩٨ عن أبى يعلى و الطبرانى- و صحح.

٢- الاصابه ج ٤ ص ١١٦ و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن عمر بن شبه و ابى يعلى، و أبى بشر سمويه فى فوائده، و نصب الرايه ج ٦ ص ٢٨١ / ٢٨٢ عن عدد من المصادر فى هامشه، و المصنف ج ٦ ص ٣٩، و فى هامشه عن ابن أبى شيبه ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ و أبى داود ٤٥٨ و مسند أحمد ج ١ ص ١٣١.

٣- المحاسن و المساوى ء ج ١ ص ٥٧.

٣- لما توفى ابو طالب، جاء على إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفى.

و فى روايه أن عليا رفض ما أمره به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تغسيله، و دفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره (١).

و نقول:

أ- قد روى أحمد فى مسنده هذه الروايه، و فيها: إن عمك الشيخ قد توفى، من دون ذكر كلمه (الضال) (٢).

ب- و لو لم يكن مؤمنا فلماذا يأمر بتغسيله؟.

ثم كيف يأمر عليا بتغسيله و لا يأمر عقيلًا، أو طالبا اللذين كانا مشركين؟. إلا أن يقال: إنهما لم يكونا على استعداد لإطاعته.

ج- كيف يتناسب هذا مع كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حزن، و ترحم عليه، و دعا له، و عارض جنازته، و مشى فيها، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشى فى جنازه المشرك!؟ (٣).

د- هل صحيح: أن عليا (عليه السلام) رفض تنفيذ ما أمره به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى احتاج لأن يأمر بأن يتولى ذلك غيره؟ فهل كان على يملك نفسه متمرده كهذه النفسيه؟ حاشاه!

ه- ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن عليا عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله و دفنه، و اغتسل

١- المصنف ج ٦ ص ٣٩ و راجع كتر العمال ج ١٧ ص ٣٢ و ٣٣ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢ و فى هامشه عن عدد من المصادر.

٢- مسند الامام أحمد ج ١ ص ١٢٩ / ١٣٠ و انساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٢٤ و فيه أنه أمره هو فواراه.

٣- قد تقدمت بعض مصادر ذلك فى أوائل هذا البحث، و عن عدم جواز المشى فى جنازه المشرك، راجع كتب الحديث كسنن البيهقى و غيره.

بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب من مس كل ميت مسلم (١).

خطايات وأرجاز المدني:

و بعد ما تقدم، إذا كان أبو طالب مسلماً مصدقاً؛ فلا يصغى لأرجاز و خطايات أمثال المدني، غير الموافقه للعقل و الدين. و لا يفيدهم تملقهم البارد، و لا تظاهرهم بالصلاح، حتى ليقول المدني: (وددت أن أبا طالب كان اسلم، فسرّ به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) و أنى كافر (٢)!!

سزیه إيمان أبي طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوه، و مواقف أبي طالب فاننا نجد: أنه كان بادیء ذی بدء یکتّم إيمانه، تماماً كمؤمن آل فرعون، و الظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تاره، و يخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون في الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلك.

و قد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان و اظهروا الشرك، فأتاهم الله اجرهم مرتين (٣)).

و عن الشعبي، يرفعه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: كان و الله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً يكتّم إيمانه؛

-
- ١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١.
 - ٢- عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦٣ لابن قتيبه.
 - ٣- أمالي الصدوق ص ٥٥١، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ٧٠، و أصول الكافي ج ١ ص ٣٧٣، و روضه الواعظين ص ١٣٩، و البحار ج ٣٥ ص ١١١ و الغدير ج ٧ ص ٣٨٠-٣٩٠ عنهم و عن: الحجه لابن معد ص ١٧ و ١١٥ و تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢، و الدرجات الرفيعه، و ضياء العالمين.

مخافه على بنى هاشم أن تنابذها قريش. و كذا عن ابن عباس (١).

و قد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل فى حرب الجمل على رجل من اهل البصره، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين ابى طالب، فلما عرفت الذى اراد كفتت عنه (٢).

و ثمه أحاديث أخرى عديده بهذا المعنى لا مجال لذكرها (٣).

و لكن لا- بد أن نذكر روايه أخرى، و لعلها هى الأقرب الى واقع الأمر، و هى ما ذكره الشريف النسابة العلوى، المعروف بالموضح، باسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاه على الموتى، فما صلى النبى عليه، و لا على خديجه، و إنما اجتازت جنازه أبى طالب، و على و جعفر (٤)، و حمزه جلوس، فقاموا، و شيعوا جنازته، و استغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا و أقاربنا المشركين أيضا- ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا؛ لأنه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبى طالب الشرك، و نزه نبيه، و الثلاثه المذكورين (رحمهم الله) عن الخطأ فى قوله: ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يشتموا أنفسهم و المؤمنين، و لو كانوا أولى قربي.

فمن قال بكفر أبى طالب، فقد حكم على النبى بالخطأ و الله تعالى قد نزهه عنه فى أقواله و افعاله الخ (٥).

١- الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ عن كتاب الحجج ص ٢٤ و ٩٤ و ١١٥. و راجع أمالى الصدوق ص ٥٥٠.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

٣- راجع الغدير ج ٧ ص ٣٣٨-٣٩٠ عن: الفصول المختاره ص ٨٠ و اكمال الدين ص ١٠٣، و كتاب الحجج لابن معد عن أبى الفرج الاصفهاني.

٤- لقد كان جعفر بالحبه، فإما أن يكون قد جاء فى زياره قصيره ثم رجع. و إما أن يكون الراوى قد ذكره من عند نفسه سهوا أو عمدا.

٥- الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجج لابن معد ص ٦٨.

ضروره سريره إيمان شيخ الابطح:

و نستطيع أن نقول: إن سريره إيمان أبى طالب كانت ضروره لا بد منها؛ لأن الدعوه كانت بحاجه إلى شخصيه إجتماعيه قويه تدعمها، و تحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفا فى النزاع. ففتكلم من مركز القوه لتتمكن الدعوه من الحركه، مع عدم مواجهه ضغط كبير يشل حركتها، و يحد من فاعليتها.

قال ابن كثير و غيره: (إذ لو كان اسلم أبو طالب (و نحن نقول:

أسلم، و لكنه كتم إيمانه و اسلامه)؛ لما كان له عند مشركي قريش و جاهه، و لا كلمه، و لا كانوا يهابونه و يحترمونه، و لا جترؤا عليه، و لمدوا أيديهم و السنتهم بالسوء إليه) (١).

لماذا الإفتراء على أبى طالب:

و أخيرا .. فلعل ذنب أبى طالب الوحيد، هو أنه كان أبا لأمير المؤمنين على (عليه السلام)، فالمستهدف بهذه النسبه الشنيعه فى الحقيقه هو ولده، الشوكه الجارحه فى أعين الأميين، و الزبيريين، و كل أعداء الاسلام. فهم يريدون النيل من على فى كل أمر يرتبط به حتى وصلت النوبه إلى أخيه جعفر، و ابيه أبى طالب (رحمه الله)، ثم إلى كل شيعته و محبيه، بل إننا لا- نكاد نرى فضيله ثبتت له بسند صحيح عند مختلف الفرق الاسلاميه الا و لها نظير فى الخلفاء الثلاثه، و لكن بسند ضعيف عندهم على الأكثر، و لله الحمد و له الحجه البالغه.

و يقينا لو كان أبو سفیان أو أى شخص آخر، من آباء مخالفى على (عليه السلام) قد عمل معشار ما عمله أبو طالب، لرأيت من الثناء العاطر عليه، و التبجيل و التقدير، و الأحاديث فى فضله، و ماله من

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٤١، و راجع السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٤٦.

الكرامات و الشفاعات، إن دنيا، و إن آخره، ما يفوق حدّ الحصر، و يزيد و يتضاعف باستمرار في كل مصر، و عصر.

و الغريب في الأمر: أن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة: قد صارت إليك بعد تيم و عدى فأدرها كالكره، و اجعل اوتادها بنى أميه، فإنما هو الملك و لا أدري ما جنه و لا نار (١) إن أبا سفيان هذا مؤمن تقي عادل، معصوم، و أبو طالب - أو فقل:

أبو علي - كافر مشرك، و في ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، و يغلى منه دماغه!! ما عشت أراك الدهر عجباً!!

أبو لهب و نصره النبي صلى الله عليه و آله وسلم :

و نشير أخيرا هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفي أبو طالب أعلن أبو لهب استعدادة لنصره النبي (صلى الله عليه و آله و سلم). فاحتالت قريش فأخبرته أنه يقول: إن اباك عبد المطلب في النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، و انقلب ليكون عدوا له ما عاش (٢).

و نحن لا نشك في كذب هذه القضية.

فأولا: كيف لم يعلم أبو لهب طيله عشر سنين من عدائه للنبي، و محاربتة له: أن هذا هو رأيه و رأى الاسلام في كل من يموت مشركا بالله تعالى؟! و على أى شىء كان يحاربه طيله هذه المده إذن؟!

و ثانيا: لماذا عاداه في حياه أبي طالب، ثم عاد إلى حمايته و نصرته بعد وفاته؟! و لماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو لهب؟، أو لماذا لم

١- النزاع و التخاصم ص ٢٠.

٢- راجع على سبيل المثال: البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٣٤ عن ابن الجوزى و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٢.

يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب!

و ثالثا: قد اسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركا، بل كان على دين الحنيفيه مؤمنا صادق الإيمان.

سر افتعال الروايه:

و لعل سر افتعال هذه الروايه هنا هو إظهار: أن حمايه أبي طالب لم تكن إلا بدافع العصبيه و الحميه القبليه، أو الحب الطبيعي.

و لكن أين كانت حميه و عصبيه أبي لهب قبل هذا الوقت، و أين كان حبه الطبيعي لابن أخيه؟ و لا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين في الشعب، و كادوا يهلكون جوعا؟!.

و أين ذهبت حميته بعد ذلك؟ و هو الذي كان يتبع محمدا (صلى الله عليه و آله و سلم) من مكان إلى مكان يؤذيه، و يصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

و قد قدمنا بعض الكلام في ذلك، حين الكلام على توضيحات أبي طالب، فلا نعيد.

الباب الرابع: من وفاه أبي طالب حتى الهجره الى الحبشه

اشاره

ص: ٢٦٤

الفصل الأول: الهجره الى الطائف

اشاره

لابد من تحرك جديد:

لقد فقد النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بوفاه أبى طالب نصيرا قويا، دافع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و عن دعوته الالهيه، بيده و لسانه، و شعره، و ولده، و عشيرته، و كل مواهبه و طاقاته، وضحى من أجله بمركزه و ماله و علاقاته الاجتماعيه، كما قدمنا- فاعتقدت قريش انه (صلى الله عليه وآله وسلم) سيضعف عزمه عن مواصله جهوده، بعد أن مات ناصره. فنالته بعد وفاه شيخ الابطح بأنواع الاذى، مما عجزت عنه فى حياه عمه العظيم، و وجدت الفرصه للتنفيس عن حقدتها، و صب جام غضبها على ذلك الذى ترى فيه سببا لكل مشاكلها و متاعبها.

و رأى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الدعوه الاسلاميه تتعرض لضغوط قويه تمنع من انتشارها، و من دخول الآخرين فيها، ما داموا لا يرون فى ذلك الدخول إلا العذاب و النكال، و إلا الذل و المهانه. بل يمكن أن يتعرض ما حصل عليه، و جاهد من أجله و فى سبيله لأخطار ربما لا يكون فى وسعه مواجهتها و تجاوزها بنجاح تام.

و من هنا فقد كان لابد من تحرك جديد، يعطى للدعوه دفعه جديده، و يجعلها أكثر حيويه، و أكثر قدره على مواجهه الاخطار المحتمله

و اذا كان بقاؤه (صلى الله عليه و آله و سلم) فى مكه- إن لم يكن فيه خطر على الدعوه- معناه جمودها، و تحجيمها، و شل حركتها، فان من الطبيعى أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حريه الحركه، و الدعوه إلى الله، بعيدا عن أذايا قريش و مكائدها. و تتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب و التكيل، قبل ان يتطرق اليأس الى نفوسهم، و ينهاروا امام تلك الضغوط التى يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلك و سواه دافعا إلى الهجره الى الطائف.

الهجره الى الطائف فى كلمات المؤرخين:

فبعد ان أذن الله له (صلى الله عليه و آله و سلم) بالخروج من مكه إذ قد مات ناصره؛ خرج إلى الطائف، و معه على (عليه السلام) (١)- أو زيد بن حارثه او هما معا (٢) على اختلاف النقل- و ذلك ليالى يقين من شوال سنه عشر.

فأقام فى الطائف عشره أيام، و قيل: شهرا، لا يدع من أشرافهم أحدا إلا جاءه، و كلمه، فلم يجيبوه، و خافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، و أغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له فى الطريق صفين، يرمونه بالحجاره، و على (عليه السلام) يدافع عنه، حتى شج فى رأسه، او ان الذى شج فى رأسه هو زيد بن حارثه.

و يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) التجأ الى بستان لعتبه و شبيهه ابنى ربيعه، و جلس فى أحد جوانبه، فتحركت عاطفه ابنى ربيعه،

١- سيره المصطفى ص ٢٢١ / ٢٢٢ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ١٤ ص ٩٧ عن الشيعة.

٢- شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ١٢٧ عن المدائنى و سيره المصطفى ص ٢٢١ / ٢٢٢.

و هما يريان ما به من الجهد، فأرسلا اليه غلامهما عداسا و هو نصراني من أهل نينوى- بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، و قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من ان يكون بهذا البلد أحد يذكر الله، و جرت بينهما مكالمه انتهت باسلام عداس. فقال احدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

ثم انصرف (صلى الله عليه و آله و سلم) راجعا الى مكة، فاستعد اعداؤه للقاءه بأنواع من الاذى لم يعرفها من قبل.

و لكنّه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مصمما على مواجهه كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه على، او زيد: إن الله جاعل لما ترى فرجا و مخرجا، و ان الله ناصر دينه، و مظهر نبيه.

فطلب من الأخنس بن شريق ان يجيره ليتمكن من دخول مكة، فرفض على اعتبار انه حليف، و الحليف لا- يجير على الصميم (١).

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضا، لأنه من بنى عامر فلا يجير على بنى كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدى، الذى تجهز و من معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قريش جواره.

و يقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله. و قال آخرون: بل استمر فى جواره مده.

هكذا باختصار يروى المؤرخون قضيه الهجره الى الطائف، ثم العوده منها.

هجرات أخرى له «صلى الله عليه و آله و سلم»:

إشارة

و يقولون أيضا: إنه بعد وفاه عمه خرج إلى بنى صعصعة، و معه

١- قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجره أبى بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنه.

على؛ فلم يجيبوه، و غاب عن مكة عشره أيام.

و هاجر أيضا مع على و أبى بكر الى بنى شيبان، و غاب ثلاثة عشر يوما، فلم يجد عندهم نصره (١).

و لا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الامور التى ترتبط بما تقدم، و نراها هامه، الى حدما، و هى التاليه:

١- ما ذكر عن عداس:

إننا نشك فيما ذكر من دور عداس، و أكله (صلى الله عليه و آله و سلم) العنب المهدى اليه، و ذلك لما يلى:

أولا: ما تقدم فى الفصل السابق من أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن يقبل هديه مشرك، و لا يرضى بأن يكون له أى فضل او نعمه عليه، يستحق بها المكافأه. فكيف قبل هديه ابني ربيعه المشركين، و رضى بأن يكون لهما فضل عليه؟! إلا أن يقال: إنما قبل هديه عداس، و لعله لم يكن يعلم أن ابني ربيعه هما اللذان أرسلاه.

و ثانيا: إن هذه الروايه تنص على أن عداسا قد أسلم. مع ان البعض ينص على أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد عاد من الطائف محزونا، لم يستجب له رجل و لا امرأه (٢).

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب له أحد من الأحرار، او لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد. و عداس من أهل نينوى.

ثالثا: كان قد مضى على دعوه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) الناس الى الاسلام حوالى عشر سنوات، و كانت شهره دعوته قد تجاوزت مكة الى غيرها من الاقطار و الامصار. و أصبح ذكره و ذكر ما جاء به على

١- شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ١٢٦.

٢- راجع: طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ١٤٢.

كل شفه و لسان.

كما أنه قد مضى على وجود النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في الطائف نفسها عشرة أيام، أو شهر و هو يدعو الناس الى الله، لا يفترو ولا يمل فكيف إذن يتعجب عداس من ذكر الله في ذلك البلد؟!.

فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع بذكره (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا بدعوته هذه المده كلها، سواء مده وجوده في الطائف، أو مده دعوته الى الله في المنطقه؟!.

و قد قدمنا بعض الكلام عن عداس في مناقشتنا لروايات بدء الوحي فلا نعيد.

٢- دخوله «صلى الله عليه و آله و سلم» مكة بجوار:

و تقدم: أن الأخنس بن شريق، و سهيل بن عمرو لم يقبلوا أن يجيرا النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ليدخل مكة. و احتج الاخنس بانه حليف، و الحليف لا يجير على الصميم. فدخل (صلى الله عليه و آله و سلم) بجوار المطعم بن عدى، و نحن نشك في ذلك أيضا.

فأولا: قد قدمنا: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن يقبل ان يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها. و هذه يد و لا شك.

و ثانيا: كيف لم يعلم النبي الذي بلغ من العمر حوالى خمسين عاما، و يعيش بين العرب، كيف لم يعلم طيله هذه المده: أنه ليس للحليف أن يجير على الصميم عندهم؟!.

و ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب؟!

و ثالثا: أليس هذا يعتبر ركونا للظالمين، و لغير أهل دينه، و الله تعالى يقول: **وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ**. و يقول: **وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ (١)؟**

إلا ان يجاب عن هذا بالنفى، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود فى الآيه.

و رابعاً: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبه منه فى مواساه أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أقل من ابن مظعون فى ذلك؟! ولا يستطيع الصبر على تحمل المشاق و الاذى الذى استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلك لعجيب حقاً!!.

ثم لماذا لم يخف من الاذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

و أما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلك طلب الجوار؛ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشا لا تستطيع ذلك. و أنها تعرف: أنه فى غير صالحها فى تلك الظروف، و بالأخص إذا كان ذلك علناً.

ثم أين كان عنه الهاشميون فى تلك الساعه؟ و لماذا لا يحمون كبيرهم و سيدهم حتى يحتاج الى جوار الآخرين؟!

و أين كان عنه أسد الله و أسد رسوله، الذى فعل بأبى جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!.

٣- إسلام نفر من الجن:

و يذكر هنا: أنه و هو (صلى الله عليه وآله وسلم) منصرف من الطائف الى مكه، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، و رجعوا الى قومهم، مبشرين و منذرين، فقص الله خبرهم فى سوره الجن، فقال: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ، فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.

و لكن الظاهر: أن قضيه الجن قد كانت فى أوائل البعثه؛ حيث إن الروايه تذكر: أنه لما بعث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيل بين

الجن و بين استراق السمع فى السماء، و أرسلت عليهم الشهب، ففهموا:

أن ذلك إنما هو لحدث جرى فى الأرض فعادوا إليها، و بحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث، فاستمعوا القرآن و آمنوا، فنزلت الآية (١).

و فى روايه أخرى: أن ابليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه بنبأ بعثته (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

و إلى ما ذكرناه من كون ذلك فى أوائل البعثة ذهب ابن كثير أيضا (٣).

و يدل على ذلك أيضا: أن عددا من الروايات تذكر: أن ابن مسعود كان معه (صلى الله عليه و آله و سلم) ليله الجن (٤). و ابن مسعود من المهاجرين الى الحبشه، فلا بد أن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته إليها، أى قبل الخامسة من البعثة.

٤- الطائف و علاقاتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين إقتصاديا بأهل مكة، و من حولهم، لأنهم كانوا يصدرون الفاكهه التى هى عمده محاصيلهم إلى مكة و غيرها

١- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠ / ٢٧٥، عن: البخارى، و مسلم، و عبد بن حميد، و أحمد، و الترمذى و النسائى، و الحاكم، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى معا فى الدلائل و غير ذلك. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤ و يقال: إن آيات سوره الاحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبه. و لكن يدفع ذلك ما فى الدر المنثور ج ٦ ص ٤٥ عن مسلم، و أحمد، و الترمذى، و عبد بن حميد و غيرهم.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ عن المواهب اللدنيه.

٤- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

من الأطراف المحيطة بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطا إقتصاديا و إجتماعيا بغيرهم، و هم بحاجة إلى التقرب و التزلف إلى ذلك الغير، و استجلاب محبتهم و رضاهم، حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعى، أو إلى حصار إقتصادى- كما جرى لبنى هاشم- من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.

ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات، و كان له سدنه. و يزوره العرب (١) فكان لهم مركز دينى أيضا بين العرب، يهتمون جدا بالمحافظة عليه.

و من هذا و ذاك، نعرف السر فى انهم كانوا اشداء فى مواجهه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و حريصين على اخراجه من بينهم بسرعه.

و يشار هنا: إلى ان أهل الطائف الذين قتلوا عروه بن مسعود الداعى الى الإسلام قد تأخر اسلامهم الى أواخر حياه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فوفدوا عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) فى سنه تسع، سنه الوفود و لم يؤمنوا إلا بعد أن ادركوا: أنه لا طاقه لهم بحرب من حولهم من العرب. فلا يخرج لهم مال إلا نهب، و لا إنسان إلا أخذ؛ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا و أرسلوا.. الخ (٢).

-
- ١- الاصنام للكلبى ص ١٦، و السيره النبويه لدحلان مطبوع بهامش الحلبيه ج ٣ ص ١١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.
 - ٢- راجع: الكامل فى التاريخ ج ٢ / ٢٨٣ و راجع أيضا: السيره النبويه لدحلان ج ٣ ص ٩ مطبوع بهامش الحلبيه و السيره النبويه لابن هشام ج ٤ ص ١٨٣ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.

٥- الإسلام دين الفطره:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، رغم أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يقم بينهم سوى فتره قصيره جدا. الأمر الذى يؤكد على ان الإسلام كان يجد سبيله بيسر و سهوله إلى العقول الصافيه و النفوس البريئه و ينسجم مع الفطره السليمه، التى لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفه، و لم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصيه، و العواطف القبليه، و غير ذلك.

و كيف لا- يجد سبيله إليها بيسر، و هو الدين القائم على الدليل و البرهان العقلى، و المنسجم مع الفطره، و هو دين الضمير و الوجدان الحى.

و من هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه و مناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، و حاولوا ان يشوهوا صورته فى أذهان أولئك الذين استمعوا إليه،- و فى أذهان الصغار الذين اغروهم به (صلى الله عليه و آله و سلم) و الذين يمكن ان تؤثر فيهم دعوتة- بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقيه، و إنما تتميز بالاهانه و الأذى، ثم السخرية و الاستهزاء الجارح و المهين.

٦- هل كانت هذه سفره فاشله؟!.

و لربما يتساءل البعض: عن الفائده لهذه الرحله الفاشله؟

و فى جوابه نقول: إن هذه الرحله لم تكن فاشله، كما ربما يتصور البعض.

فإن من الطبيعى أن تترك هذه الحادته آثارا إيجابيه من نوع ما فى أذهان من التقى بهم، و كلمهم، و ان تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبه و المرجوه

منها. حيث قد أثرت بشكل واضح في تهيئه الجو لإيمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الإسلام، و لم تعد تخشى الضغوط الإقتصادية و الإجتماعية عليها ممن حولها، و لا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين لأن القبائل كانت تفد الى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فتعلن عن إسلامها، و يكتب لها كتابا، و يشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك و أرببهم.

و قد كانت قريش تشيع عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): أنه مجنون أو ساحر، أو كاهن الخ، فها هو (صلى الله عليه و آله و سلم) يتصل بالناس مباشرة، و يلمسون بأنفسهم حقيقه الأمر، و يتعرفون عن قرب على شخصيته و خصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبه و المغرضه؛ و ليصير الإيمان به و برسالته، و نبوته أسهل و أيسر، و ليصبح أكثر قوه و عمقا و رسوخا.

ص: ٢٧٦

الفصل الثاني: حتى يبعه عقبه

اشاره

المجاعة:

ثم هاجت الأزمه، وهى الجوع فى قريش، و أهل مكه، و كان ذلك بدعاء النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى دعا عليهم- حتى أكلوا العلهز (١)، و القد، و حتى أحرقوا العظام فأكلوها و اكلوا الكلاب الميتة، و الجيف، و نبشوا القبور، و أكلت المرأه طفلها .. و حتى كان الرجل يرى بينه و بين السماء كهيئه الدخان؛ فشغل ذلك الناس بأنفسهم و بمشاكلهم، فأتيحت الفرصه للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم)- و لو لفته قصيره- ليتحرك فى سبيل دينه و رسالته داعيا الى الله، و مجاهدا فى سبيله.

فلما دخلت سنه إحدى عشره من البعثه، جاء أبو سفيان الى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: يا محمد، جئت بصله الرحم، و قومك قد هلكوا جوعا، فادع الله لهم، فدعا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لهم؛ فكشف عنهم يقول الله عز و جل: إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (٢).

١- العلهز: دم يابس يدق به اوبار الابل فى المجاعات و يؤكل.

٢- الدخان/١٥. راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٥٧، و تفسير البرهان ج ٤ ص ١٦٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

فإن الظاهر هو ان هذه الآيه قد جاءت جوابا لقولهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيرا الى ما صدر منهم سابقا مما يدل على عدم وثوقه في وعدهم، ثم عاد الى خطابهم بالآيه الآنفه الذكر، متوعدا إياهم بالعذاب الأليم في الآخره فى صورته عودتهم الى العناد.

و نشير هنا: إلى ان رجوع أبى سفيان الى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به (صلى الله عليه و آله و سلم) هو الحق، و لكنهم حجدوا ذلك استكبارا و عتوا، و علوا، و حفاظا على الإمتيازات الظالمه التى جعلوها لأنفسهم.

و من الجبهه الثانيه، فإننا نجده (صلى الله عليه و آله و سلم) يستجيب لطلب أبى سفيان، و لكن ليس فقط لاجل ما ذكره من لزوم صله الرحم؛ لأن الاسلام هو الصله الحقيقيه بين أبناء البشر جميعا، و على أساسه تكون الأخوه بينهم. و إنما يستجيب له ليعطيه دليلا- جديدا على أحقيه ما جاء به، و ليقيم الحججه عليه، و على كل من يرى رأيه؛ ليهلك من هلك عن بينه، و يحيى من حى عن بينه. و ليمنح الفرصه للذين يعيشون بعيدا عن الأضواء، و ليس لهم مصالح دنيويه كبيره، ليفكروا بموضوعيه و تجرد؛ بعيدا عن الاجواء المصطنعه.

عرض الإسلام على القبائل:

لقد كان النبى الأ-كرم (صلى الله عليه و آله و سلم) يغتتم الفرصه فى مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيله قبيله، أن تعتنق الإسلام، و تعمل على نشره و تأييده، و حمايته و نصرته. بل كان لا يسمع بقادم الى مكه، له إسم و شرف، إلا تصدى له، و دعاه الى الإسلام.

و لكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، و يعقب على كلامه، و يطلب منهم ان لا- يقبلوا منه و لا- يطيعوه فى شىء. هذا بالإضافة الى اتهامه

بالجنون، و السحر و الكهانه، و الشعر، و غير ذلك.

و كان الناس فى الغالب يسمعون من قريش! إما خشيه من سلطانها و نفوذها، و إما حفاظا على مصالحهم الإقتصاديّه فى مكه، لا سيما فى مواسم الحج، و عكاظ.

كما أن تصدى أبى لهب عمّ النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بالذات لإفساد الأمر عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان أبعد تأثيرا فى ذلك، على اعتبار: أنه عمه، و أعرف الناس به.

و لقد افادت تحركات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) هذه، حيث إنهم بعد ان ذهبوا شوكه قريش، و خمد عنفوانها، و أصيب نفوذها بنكسه قويه بسبب ظهور دعوته و انتشار دينه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و توالى انتصاراته عليها، و لا سيما بعد فتح مكه. بدأت و فادات العرب تترى الى المدينه، بعد أن أمنوا غائله عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم و مساندتهم، لأن دعايات قريش و اشاعاتها الكاذبه قد ذهب أثرها، و بطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبى عن قرب، و عرفوا فيه رجاحه العقل، و استقامه الطريقه، منذ اجتمعوا به فى تلك المواسم، و عرض دعوته عليهم.

و قد صرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشا و كانوا إمام الناس، و أهل الحرم، و صريح ولد إسماعيل لا تنكر العرب ذلك.

فلما فتحت مكه و استسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقه لها بحرب رسول الله و لا عداوته، فدخلوا فى الدين أفواجا (١).

بل إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) حينما كان يعرض دعوته على القبائل كانوا يردون عليه. أقبح الرد، و يقولون: اسرتك و عشيرتك أعلم

بك حيث لم يتبعوك (١).

و هذا يدل على ان الخوف من قريش لم يكن هو الدافع الوحيد للامتناع عن الدخول فى الاسلام لا سيما و أن الكثيرين من العرب كانوا بعيدين عن مكه، و لا يخشون سطوتها.

و نقطه أخرى لا- بد من الاشاره اليها. و هى ان تحرك النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و عرض دين الله على القبائل، و هجرته المتعدده فى سبيله ليعتبر إدانته للمنطق القائل: إن على صاحب الدعوه: أن يجلس فى بيته، و لا يتحرك، و على الناس أن يقصدوه و يسألوه عما يهمهم، و يحتاجون اليه.

بنو عامر بن صعصعه، و نصره النبى «صلى الله عليه و آله و سلم»:

إشارة

و نشير هنا الى واقعه هامه، حدثت فى خلال عرض النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) دعوته على القبائل، و هى:

ان رسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أتى بنى عامر بن صعصعه، فدعاهم الى الله، و عرض عليهم دعوته فقال لهم رجل منهم، إسمه:

(بيحره بن فراس): و الله، لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: رأيت إن نحن بايعناك على امرك، ثم اظهرك الله على من خالفك، أياكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الامر لله، يضعه حيث يشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فاذا اظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجه لنا بأمرك.

فأبوا عليه. فلما صدر الناس، رجع بنو عامر الى شيخ لهم؛ فسألهم عما كان فى موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بنى عبد

المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا الى أن نمنعه، و نقوم معه، و نخرج به الى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذنا باها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، و إنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم! (١)

و مثل ذلك جرى له (صلى الله عليه و آله و سلم) مع قبيله كنده، كما ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوه (٢).

و نحن نسجل هنا ما يلى:

١- الأمر لله:

لقد نصت الروايه على ان الامر لله يضعه حيث يشاء، و نستفيد من ذلك:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعدا بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأن الأمر لله، يضعه حيث يشاء أى انه لا يمكن ان يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماما على العكس من السياسيين الذين عرفناهم فى عصرنا الحاضر، و على مَرَّ العصور الذين لا يتورعون عن إغداق الوعود المعسوله على الناس، حتى اذا وصلوا الى غايتهم، و جلسوا على كرسى الزعامه فإنهم ينسون كل ما قالوه، و ما وعدوا به.

و لكن نبي الإسلام الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) رغم انه كان

١- راجع: سيره ابن هشام ج ٢ ص ٦٦، و الثقات لابن حبان ج ١ ص ٨٩-٩١، بهجه المحافظ ج ١ ص ١٢٨، و حياه محمد لهيكل ص ١٥٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٤٧، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣، و الروض الانف ج ١ ص ١٨٠، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٣٩، و ١٤٠، و عن دلائل النبوه لابی نعيم ص ١٠٠ و حياه الصحابه ج ١ ص ٧٨ و ٧٩.

٢- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٤٠.

بأمس الحاجة الى من يمد له يد العون لا سيما من قبيله كبيره تملك من العدد و العده ما يمكنها من حمايته، و الرد عنه. إلا إنه يرفض ان يعد بما لا يملك الوفاء به، حتى و لو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلا.

ب- إن جواب النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لهم بقوله:

(الأمر لله يضعه حيث يشاء) يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت (ع) و شيعتهم الابرار رضوان الله تعالى عليهم، من ان خلافه النبوه ليست من المناصب التي يرجع البت فيها الى الناس. بل هي منصب الهى، و الأمر لله فيها، يضعه حيث يشاء.

٢- سمو الهدف، و النظره الضيقه:

و إن عرض هذه القبيله مساعدتها على النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد فى مساعدتها له وجه الله سبحانه، و لا تنطلق فى موقفها ذاك من قاعده إيمانيه قويه، و قناعه عقائديه راسخه، و لا طمعا بثواب الله، و لا خوفا من عقابه.

و إنما تنطلق فى ذلك من نظره ضيقه، مصلحيه تجاريه بالدرجه الأولى: و تريد من نصرها له أن تأكل به العرب، و تحصل على المجد و السلطان.

و من الواضح- بناء على هذا- أن نصرها له لسوف ينتهى، عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، و حصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى:

أن تجارتها الدنيويه قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقا يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمه التى تفرضها لنفسها.

و هكذا يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقله كهذه، و يتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتمادا على سراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء و العذاب.

٣- الدين، و السياسة:

و قد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربى، و هو من بنى عامر بن صعصعه، لما أخبروه بما يدعو إليه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و نقلوا إليه ما جرى لهم معه قد أدرك: أن هذا الدين ليس مجرد ترهب فى الصوامع، و صلاه، و دعاء، و أوراد، و أذكار، بل هو دين يشتمل على التدبير و السياسه، و الحكم، و لأجل هذا قال: (لو أنى أخذت هذا الفتى (يعنى محمدا بماله من الدعوه الشامله) لأكلت به العرب).

و لقد سبقه إلى إدراك هذه الحقيقه شيخ الأنصار أسعد بن زراره، لما قدم إلى مكه، و عرض عليه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ما يدعو إليه، فرأى: أن فيه و فى دعوته ما يصلح مجتمعه، و يعالج مشاكلهم المستعصيه بينهم و بين إخوانهم من الأوس، و على هذا كانت الهجره (١).

و قد أدرك ذلك أيضا نفس أولئك الذين اشترطوا على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يكون لهم الأمر من بعده، فرفض صلى الله عليه و آله و سلم طلبهم. و سيأتى ذلك عن عامر بن الطفيل، فى غزوه بئر معونه.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسلام، و لدعوه القرآن، حتى إن هذا الفهم هو الذى مهّد لإسلام الأنصار، ثم الهجره. و كذلك لبيعتهم (بيعه العقبه الأولى و الثانيه)، و اختيار النقباء و الكفلاء على المبايعين، و بين ذلك الذى يعتبر الدين منفصلا عن السياسه، و أن السياسه أمر غريب عن الدين. فإن ذلك و لا شك من القآآت الاستعمار، و من الفكر المسيحى الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

١- راجع: البحار ج ١٩ ص ٩ و اعلام الورى ص ٥٧ عن القمى.

٤- نتائج عرضه «صلى الله عليه وآله وسلم» دعوته على القبائل:

و يمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

١- ما تقدمت الإشارة إليه، من أن مقابلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للناس، و التحدث معهم مباشرة كان من شأنه: أن يعطى الناس الانطباع الحقيقى عن شخصيه الرسول الأ-كرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، و حقيقه ما جاء به. و يدفع كل الدعايات و الإشاعات الكاذبه، و المغرضه، التى كانت تبثها قريش و أعوانها، ككونه ساحرا، أو كاهنا، أو شاعرا، أو مجنونا، أو غير ذلك من ترّهات.

٢- إن ما جرى فى قضيه بنى عامر ليدل دلالة واضحه: على أن عرضه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته على القبائل، قد أسهم فى دعايه لهذا الدين، و نشر صيته، فى مختلف الأنحاء، و الأرجاء، فقد كان من الطبيعى أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه و سمعوه فى سفرهم ذاك و لم يكن ثمه خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، و فى مكه بالذات.

زواج النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» بسوده و عائشه:

إشاره

و يقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج بسوده بنت زمعه، و عقد على عائشه بنت أبى بكر و كان ذلك بعد عشر سنوات من البعثه.

و لا- نجد لسوده دورا هاما فى التاريخ، و لا فى حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو بعده و كل الاهتمامات مركزه على عائشه، حتى لقد حكموا باستحباب العقد فى شوال، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج عائشه فى شوال (١)!! مع أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه تزوج غيرها فى أشهر أخرى!!.

و على كل حال، فاننا لن نستطيع أن نلّم في هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فإن ذلك متعسر، بل متعذر و لذلك فنحن نكتفى بذكر أمرين لهما صلّه بموضوع زواجه (صلى الله عليه و آله و سلم) بها.

و لربما يأتي إن شاء الله بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها.

و هذان الأمران هما: سنّ عائشه و جمالها و حظوتها عند النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فنقول:

١- سن عائشه:

و يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد عقد على عائشه، و هي بنت ست سنين، أو سبع. ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، و هي بنت تسع. و هذا هو المروى عنها (١).

و نحن نقول: إن ذلك غير صحيح، و أن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، و نستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: إن ابن إسحاق قد عدّ عائشه في جملة من أسلم أول البعثة، قال: و هي يومئذ صغيرة. و أنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً فقط (٢). فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فإن عمرها حين العقد عليها كان ١٧ سنة، و حين الهجرة ٢٠ سنة.

١- راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٩، و الاصابه ج ٤ ص ٣٥٩، و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤١٣ و تهذيب التهذيب ج ١٢، و أسد الغابه ج ٥ و غير ذلك و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ٩ ص ١٩٠ لكنه ناقض نفسه ص ١٩١ فقال: انها توفيت سنة ٥٧ هـ. و عمرها ٦٤ سنة، و هذا يعنى أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط.

٢- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٧١، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن ابى خيثمه فى تاريخه عن ابن اسحاق، و البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

ثانيا: و فى مقام رفع التنافى بين قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمه: أنها سيده نساء العالمين، و بين ما نسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، و آسيه امرأه فرعون، و أن فضل عائشه على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (١).

يقول الطحاوى: (قد يحتمل أن يكون ما فى هذا الحديث قبل بلوغ فاطمه، و استحقاقها الرتبة التى ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها. إلى أن قال: و أن كل فضل ذكر لغير فاطمه، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمه، محتملا لأن يكون و هى حينئذ صغيره، ثم بلغت بعد ذلك الخ) (٢).

لقد قال الطحاوى هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمه صلوات الله و سلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمسا و عشرين سنة (٣).

و هذا يعنى أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، و الفرض: أن فاطمه كانت صغيره حينما كانت عائشه بالغه مبلغ النساء.

و ثالثا: يذكر ابن قتيبه أن عائشه قد توفيت سنة ٥٨- و عند غيره سنة ٥٧ هـ- و قد قاربت السبعين (٤) و لضم ذلك إلى ما يقوله البعض من أن خديجه قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين ثم ما

١- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧.

٢- مشكل الآثار ج ١ ص ٥٢.

٣- مشكل الآثار ج ١ ص ٤٧. و قد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشه كفضل الثريد الخ. على المزاح منه (صلى الله عليه وآله وسلم) معها؛ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما فى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمه سيده نساء العالمين، و لم يكمل من النساء إلا مريم و آسيه الخ. و لا سيما بملاحظه: أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من المهتمين بأمور الاطعمه، و اللذيذ منها لياتى بها كمثال على تفضيل فى أمر حساس كهذا.

٤- المعارف لابن قتيبه ص ٥٩ ط سنة ١٣٩٠ هـ.

روى عن عائشه من قولها: تزوجنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنا بنت تسع سنين (١).

[و لعل هذه الروايه هى الأقرب بقريته ما قدمناه، و لكثرة الخلط بين كلمتى (سبع) و (تسع) بسبب عدم نقط الكلمات فى السابق. بل أن هذا الرقم أيضا مشكوك فيه لما تقدم، و لأن المرأه تميل إلى تقليل مقدار عمرها عاده].

فكلام ابن قتيبه و الذى بعده يدل على أنها قد ولدت أما سنه البعثه أو قبلها. و هذا الثانى هو الأرجح لما قدمناه. فى المستند الأول و الثانى.

إذن، فيكون عمر عائشه حين عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليها فى سنه عشر من البعثه أكثر من ست سنين بكثير، أى ما بين ثلاثه عشر إلى سبعة عشر سنه.

من طرائف الروايات الموضوعه:

و من الموضوعات الغريبه فى هذا المجال، ما جاء عن أبى هريره:

من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دخل المدينه، و استوطنها طلب التزويج؛ فقال لهم: أنكحونى. فأتاه جبرئيل بخرقه من الجنة فيها صورته لم ير الراؤون أحسن منها، و أبلغه أمر الله له: أن يتزوج على تلك الصوره.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا من أين لى مثل هذه الصوره يا جبرئيل؟

فقال له: إن الله يقول لك: تزوج بنت أبى بكر الصديق. فمضى رسول الله إلى منزل أبى بكر، ففرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله أمرنى أن أصاهرک، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن الله أمرنى أن

أتزوج هذه الجارية و هي عائشه، فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (١). انتهى باختصار.

و عدا عما فى سند هذه الروايه، فاننا نقول:

أولاً: لم نفهم كيف يتصرف النبى تصرفاً لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، و يقول لهم:

أنكحونى!! إلا أن يكون صبياً صغيراً، لا حياء عنده، و لا عقل لديه!! و الغريب فى الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابه طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، و أهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حلّ مشكلته.

و ثانياً: هل صحيح: أن عائشه كانت من الحسن بهذه المثابه: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟! لعل فى ما سيأتى مقنعا و كفايه لمن أراد الرشد، و الحق، و الهدايه.

و ثالثاً: لقد تزوج النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عائشه بمكه قبل الهجره بثلاث سنوات، و لم يتزوجها فى المدينه، و إجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

و رابعاً: لم نعرف البنات الثلاث اللواتى عرضهن أبو بكر على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فأسماء كانت تحت الزبير، و قدمت المدينه و هى حامل بولدها عبد الله و عائشه قد تزوجت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى مكه و أم كلثوم، قد ولدت بعد وفاه أبى بكر (٢). و لم يولد له غيرهن.

و أخيراً، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبى بكر بعد وفاه النبى

١- تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١٩٤، و ميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٤، و قد كذبا (الخطيب و الذهبي) هذا الحديث الذى جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدّعاء الأصم. و راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢١.

٢- راجع: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٧٥-٢٧٨ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

صلى الله عليه و آله من محبى الخليفة الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضيه الغار إن شاء الله تعالى.

٢- جمال عائشه و حظوتها:

و نسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشه، و عن حظوتها، و حب النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لها، إنما هو مروى عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروه. و نحن نقطع بعدم صحه ذلك كله من الأساس.

فأولاً: لماذا لم يرو ذلك كله إلا من طريق عائشه، أو عروه ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

و ثانياً: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقه: أنها لم تكن أحسن نساء النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) وجهها، و لا بأكرمهن حسباً (١). كما أن عمر إنما يصف زينبا بالحسن، دون عائشه؛ فإنه لم يشر إليها فى قليل و لا كثير؛ كما سيأتى.

و ثالثاً: قال على فكرى: (و ما رواه ابن بكار: من أن الضحاک بن أبى سفيان الكلابى كان رجلاً دميماً قبيحاً؛ فلما بايعه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشه، و ذلك قبل أن تنزل آيه الحجاب)؛ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها؟- و عائشه جالسه تسمع؛ فقالت: أهى أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن و أكرم.

فضحك رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من سؤالها إياه (لأنه كان دميماً قبيح الوجه) (٢).

١- الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٣٣٧ ط الهند.

٢- السميع المذهب ج ٢ ص ٨-٩.

و رابعا: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لى عائشه.

قال: كانت أدماء.

و قال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشه؟

قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء (١)

إذن، فما يقال عنها، أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلك بقول رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لها: (يا حميراء)..
يصبح موضع شك و ريب كبير.

و لعل قول النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لها ذلك قد جاء على سبيل التلطف و الرفق بها. أو لعله إشاره إلى قول العرب: شر النساء الحميراء المحياض (٢) فقال لها (صلى الله عليه و آله و سلم) ذلك على سبيل المداعبه و التلطف و المزاح.

و خامسا: إن من يتتبع سيره زوجات النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يجد: أن عائشه هى التى كانت تحسد و تغار من كل زوجة و سرّيّه له (صلى الله عليه و آله و سلم). و يدرك بما لا- مجال معه للشك: أن أكثرهن - إن لم يكن كلهنّ - كنّ أكثر حظوه لدى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) منها. إن لم نقل أنهن أجمل و أضوء منها أيضا؛ فإن من الطبيعى أن نجد الديميم هو الذى يحسد على الجمال و يغار، أما الجميل فليس من الطبيعى أن يحسد الديميم، و أن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعى أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميله الوضيئه، و قد ذكر فى حديث الإفك على لسان أم المؤمنين عائشه

١- الضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ١٥٥.

٢- ربيع الابرار ج ٤ ص ٢٨٠ و روض الاخيار ص ١٣٠.

قولها: (فو الله لقلما كانت امرأه قط وضيئه عند رجل يحبها، و لها ضرائر إلا أكثرن عليها).

و لو صدقنا: أنها كانت هي ذات الحظوه لدى الرسول، و أنه كان يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيره، و هذا الحسد منها لهن؟ فإن الحسد لا بد و أن يكون على شىء يفقده الحاسد، و يتمنى زواله عن المحسود، و انتقاله إليه.

و إليك بعض موارد غيره و حسد عائشه لضرئرها.

٣- حسد و غيره عائشه:

١- خديجه عليها السلام عن عائشه قالت: ما غرت على امرأه كما غرت على خديجه، و ما بى أن أكون أدركتها. و لكن لكثرة ذكر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إياها، و إن كان ليذبح الشاه؛ فيتبع بذلك صدائق خديجه يهديها لهن (١).

و للحديث عبارات و أسانيد مختلفه لا مجال لها الآن.

و قد ذكر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) خديجه يوما، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟ و فى لفظ مسلم: (و ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، أبدلك الله خيرا منها)؟ فغضب (صلى الله عليه و آله و سلم)،

١- صحيح البخارى ج ٩ ص ٢٩٢، و ج ٥ ص ٤٨، و ح ٧ ص ٤٧، و ج ٨ ص ١٠، و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤ و ١٣٣، و أسد الغابه ج ٥ ص ٤٣٨، و المصنف ج ٧ ص ٤٩٣، و الإستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٢٨٦، و صفه الصفوه ج ٢ ص ٨ عن البخارى، و مسلم، و تاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٥٣، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢٨.

حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيرا منها الخ الروايه (١).

وقال العسقلاني والقسطلاني: (و أن عائشه كانت تغار من نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكن كانت تغار من خديجه أكثر) (٢).

ولعمري، لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت خديجه على قيد الحياة؟! - وإذا كانت غيره أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء. وكيف كانت معاملتها لهن!؟

٢- زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشه في حديث الأفك بأن زينب هي التي كانت تسامها من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

واعترفت عائشه أيضا: أنها قد أخذها ما قرب وما بعد، حينما أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جمالها (٣).

وما فعلته عائشه و حفصه مع زينب، في قضيه المغافير مشهور و مسطور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آيه التحريم (٤)، و إن كنا

١- صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤، لكنه لم يذكر جوابه (صلى الله عليه وآله وسلم) و أسد الغابه ج ٥ ص ٥٥٨ / ٥٥٧ و ٤٣٨ و الإصابه ج ٤ ص ٢٨٣، و الإستيعاب هامشها ج ٤ ص ٢٨٧ / ٢٨٦، و صفه الصفوه ج ٢ ص ٨، و مسند أحمد ج ٦ ص ١١٧، و ليراجع البخارى ج ٢ ص ٢٠٢ ط سنه ١٣٠٩ هـ. ق و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢٨ و اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٩٦.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ١٠٢، و إرشاد السارى ج ٦ ص ١٦٦ و ج ٨ ص ١١٣.

٣- الإصابه ج ٤ ص ٣١٤، و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٢، و الدر المنثور ج ٥ ص ٢٠٢ عن ابن سعد، و الحاكم.

٤- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٦، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٧٦١ عن البخارى و مسلم.

نعتقد أنها نزلت في غير هذه القضية.

و اعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب، عندما قال لابنته، ليس لك حظوه عائشه، و لا حسن زينب (١).

فلو كانت عائشه موصوفه بالحسن لقدمها على زينب في هذا الأمر.

أما بالنسبه للفقره الأولى فنحن نشك في صحتها، و نعتقد أنها سياسه من عمر تجاه أم المؤمنين، أو من تزويد (٢) الرواه لحاجه في النفس، و ذلك لما تقدم و سيأتي.

و مهما يكن من أمر، فإن أم سلمه تذكر:

أن زينب كانت معجبه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و كان يستكثر منها (٣).

٣- أم سلمه رحمها الله تعالى:

كانت أم سلمه من أجمل الناس (٤).

و عن الإمام الباقر: أنها أجمل نساء النبي (صلى الله عليه و آله و سلم). و يذكر أن قصه المغاير من عائشه و حفصه كانت معها (٥). كما أن عائشه قد اعترفت بأن أم سلمه و زينب كانتا أحب نسائه (صلى الله عليه و آله و سلم) إليه بعدها (٦).

١- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٣٧، ١٣٨.

٢- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٣، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٤٧.

٣- المواهب اللدنيه ج ١ ص ٢٠٥ و تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

٤- راجع طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢٢، و الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

٥- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨١.

٦- الإصابه ج ٤ ص ٤٥٩، و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦.

تقول عائشه: (و لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أم سلمه حزننا شديدا، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت و الله أضعاف ما وصفت الخ) (١).

و قال ابن حجر: (كانت أم سلمه موصوفه بالجمال البارع، و العقل البالغ الخ) (٢).

٤- صفيه بنت حبي بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلميه: (كانت من أضيوا ما يكون من النساء) (٣).

و لما قدمت المدينه جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، و عائشه متنقبه معهن. فلما سألتها رسول الله: كيف رأيت يا عائشه؟ قالت: رأيت يهوديه.

فنهاها (صلى الله عليه و آله و سلم) عن قولها ذاك (٤).

و عندما وقعت فى السبى جعلوا يمدحونها، و يقولون: رأينا فى السبى امرأه ما رأينا ضربها (٥). و لما أرسلت صفيه قصعه فيها طعام إلى النبى و هو فى بيت عائشه أخذتها رعدته حتى استقلها افكل، و ضربت القصعه، فرمت بها الخ (٦).

و قد أكد لها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): أنها خير من

١- الإصابه ج ٤ ص ٤٥٩.

٢- الإصابه ج ٤ ص ٣٤٧، و ص ٤٦٣ و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٧.

٣- الإصابه ج ٤ ص ٣٤٧، و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٠.

٤- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٨.

٥- مسند أحمد ص ٢٧٧ ج ٦، و البخارى باب الغيره، أو اخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشه!!!

٦- أسد الغابه ج ٥ ص ٤٩١.

حفصه و عائشه (١).

٥- جويره بنت الحارث:

تقول عائشه أنها كانت امرأه حلوه ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستعينه فى كتابتها.

قالت عائشه: فو الله ما هى إلا أن رأيتها، فكرهتها، و قلت: يرى منها ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخ (٢).

٦- ماريه القبطيه:

قالت عائشه: ما غرت على امرأه إلا دون ما غرت على ماريه، و ذلك أنها كانت جميله جعده، فأعجب بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). و كان أنزلها أول ما قدمت فى بيت لحارثه بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامه الليل و النهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّلها إلى العالیه، و كان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا (٣).

و عن أبى جعفر عليه السلام: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حجب ماريه (و كانت ثقلت على نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله و سلم)، و غرن عليها، و لا مثل عائشه (٤).

و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعجب بماريه، (و كانت

١- الإصابه ج ٤ ص ٢٦٥، و الإستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٢٥٩، و صفه الصفوه ج ٢ ص ٥٠.

٢- الإصابه ج ٤ ص ٤٠٥، و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣، و لتراجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٠٣ / ٣٠٤ و وفاء الوفاء للسمهودى ج ٣ ص ٨٢٦.

٣- طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣٠٩.

٤- طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ و الإصابه ج ٤ ص ٤٠٥.

ماريه بيضاء جعده، جميله) (١). و كانت حسنه الدين (٢).

و تنافست الأنصار فيمن يرضع ابراهيم، و أحبوا أن يفرغوا ماريه للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، لما يعلمون من هواه فيها (٣).

و لعل مما زاد في غيره عائشه قضيه ولاده ابراهيم منها، حتى تجرأت على نفى شبهه برسول الله، رغم تأكيد النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لها على ذلك (٤) و حتى كان ما كان من نزول آيه التحريم، كما عن السيوطي و غيره.

٧- سوده بنت زمعه:

كانت عائشه تقول: ما من الناس امرأه أحب إلى أن أكون في مسلاخها من سوده بنت زمعه، إلا أنها امرأه فيها حسد (٥).

و ليراجع ما فعلته حفصه بسوده، و ضحكها هي و عائشه عليها (٦).

-
- ١- تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٥٥، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٠٣.
 - ٢- ذخائر العقبى ص ٥٤ و الاستيعاب هامش الإصابه ج ١ ص ٤٢، و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣.
 - ٣- طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٨ و الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠ عن ابن مردويه و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٠٥ و قاموس الرجال ج ١١ ص ٣٠٥ عن البلاذري. و راجع السيره الحلبيه ج ٣ ص ٣٠٩ و مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٣٩ و تلخيصه للذهبي بهامشه و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٨٧ ط صادر.
 - ٤- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧، و البدايه و النهايه ج ٨ ص ٧٠.
 - ٥- حياه الصحابه ج ٢ ص ٥٦٠ و مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣١٦.
 - ٦- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٤ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦ دون تصريح باسم من خدعها.

٨- أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها وأشبّه. وقد حسدنها نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و خدعتها. وكانت الخديعة لها من عائشه و حفصه معا.

حتى قالت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أعوذ بالله منك، فطلقها (١).

٩- مليكه بنت كعب:

كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشه، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعازت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فطلقها (٢).

١٠- أم شريك:

وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقبلها (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت عائشه: ما فى امرأه حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك، فسامها الله مؤمنه؛ فقال: و امرأه مؤمنه إن وهبت نفسها للنبي، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله ليسر لك فى هواك (٣).

١١- شراف بنت خليفه:

خطب رسول الله امرأه من كلب؛ فبعث عائشه تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول الله: ما رأيت؟ فقالت: ما رأيت طائلا.

١- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٦، و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٦.

٢- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٢.

٣- طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥.

فقال رسول الله: لقد رأيت طائلا، لقد رأيت خلا بخدّها، اقشعرت كل شعره منك. فقالت: يا رسول الله، ما دونك سر (١).

١٢- حفصه بنت عمر:

بل أن عائشه كانت تغار حتى من رفيقتها حفصه، ويقال: إن قضيه المغافير كانت لها معها (٢).

نهايه المطاف:

هذه كانت حاله عائشه مع زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). و أكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، و حسنهن الرائع كما قدمنا، و لم نجد لأى من زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معشار ما وجدناه لعائشه من المشاكل و التجاوزات. - اللهم إلا- روايه أو روايتان مرويتان عن عائشه نفسها!!! فهذا السيل العارم منها- خاصة- دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمة ما يبرز منها و هو أنها تحسّ بالنقص فى نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

و هكذا، تسقط جميع الادعاءات و الروايات التى عن عروه و غيره و عنها، و التى تدعى حظوتها و مكانتها لدى النبي صلى الله عليه وآله. أو على الأقل تصير محل شك و ريب. و أما ما يقال فى حديث الإفك فإنه أيضا باطل و قد فصلنا القول فى ذلك فى كتاب مستقل طبع مؤخرا.

و ملاحظه أخيره نسجلها هنا، و هى: أننا نجد عائشه تكثر من أحاديث تقييل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و مباشرته لها، و هى

١- راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٧٦٢ عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٧ و عن جمع الفوائد ج ١ ص ٢٢٩ و عن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٥.

٢- راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٧٦٢ عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٧ و عن جمع الفوائد ج ١ ص ٢٢٩ و عن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٥.

حائض و اغتسالها و إياه من إناء واحد، و غير ذلك من الأحاديث التي تتخذ طابع الجنس، و الاغراء، و اللذنه. و لا نجد من ذلك الشىء الكثير عند غيرها من نساءه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و لعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن ثمه ما يربطها برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بصورة قويه، حيث لم يكن لها ولد منه (صلى الله عليه و آله و سلم) و ليس لديها من المستوى الفكرى و الثقافى و العملى ما يصلح أن يكون نقطه اشتراك و يجعل لها به ارتباطا خاصا و وثيقا و ليست اهتماماتها من جنس اهتماماته (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا تطلعاتها تلتقى مع تطلعاته (صلى الله عليه و آله و سلم).

و ماذا بعد:

هذا و أننا لا نجد مبررا لتحمل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من عائشه جرأتها. و تجاوزاتها المتكرره و إيذائها له فى أخيه على، و فى زوجته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائى بالنسبه إليها، لأن السياسه كانت تقضى عليه بتحمل كل هذه المشاق. و يدلنا على أن النبى كان يتعامل مع زوجته من موقعه السياسى الحرج، لا- من جو بيت الزوجيه. قول عمر لحفصه- عندما تظاهرت على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) مع عائشه، و اعتزلهن: (و الله، لقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يجبك، و لو لا أنا لطلقك رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)). (١).

هذا، و لم يكن ثمه من يستطيع الجهر بالحقيقه، و إظهار الواقع.

لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشه، و يعلى قدرها، و يرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، و أسناها. و كان ثمه خطه

١- صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٩. و لسوف يأتى مزيد توضيح لذلك فى البحث عن سبب تكثر زوجته قبل واقعه احد فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

مرسومه لإظهار عظيم منزلتها، وإغداق الأوسمه عليها، بثمان، أو بغير ثمن!!

و كانت هي تستغل موقعها كزوجه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و كأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجه الهيئه الحاكمه إليها، و كل ذلك يفسر لنا السر في أنها كانت توحى للناس بأنها أقرب زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه، و آثرهن لديه؛ لجمالها، و لكونه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تزوجها بكرا حسب دعواها. و كأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يهتم للبكاره و للجمال (مع نقاش لنا في ذلك).

و لا ندرى ما هو السر في تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد حتى إنها لم ترفى نفسها المؤهلات لأن تعتر بالدين، و بالمعاني الإنسانية النبيله أو لعلها كانت ترى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطلق في حبه و بغضه من الدين و الأخلاق، و إنما من الشهوه، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهوانى لا أكثر.

دخول الاسلام إلى المدينه:

إشاره

و ثمه خلاف بين المؤرخين في من؟ و متى؟ و كيفية إسلام أول دفعه من أهل المدينه. و لكننا نستطيع أن نؤكد على أن الإسلام قد دخل المدينه على مراحل. فأسلم أولاً: أسعد بن زراره. و ذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشعب. ثم أسلم خمسه، أو ثمانيه، أو ستة نفر بعد ذلك، ثم كانت بيعه العقبه الأولى، ثم كانت بيعه العقبه الثانيه، و هذا هو ما يظهر من مغلطاي (١) و غيره.

و لذلك فهم يقولون: إن أسعد بن زراره، و ذكوان بن عبد القيس

الخزرجيين قدما مكة في أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين في الشعب (شعب أبي طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبه بن ربيعة على الأوس. فرفض عتبه ذلك، وقال: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم، وأنه أفسد شبابهم، و فرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه. وأمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن في أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان آتئذ يجلس في الحجر مع طائفه من بنى هاشم.

و كانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

و جاء أسعد للطواف، و رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسا في الحجر، فقال في نفسه: ما أجد أجهل مني. أن يكون هذا الحديث في مكة فلا أتعرفه، حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟، ثم أخذ القطن من أذنيه فرمى به، و جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسلم عليه، و كلمه؛ فعرض عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما جاء به فأسلم، و اسلم بعده ذكوان.

و في روايه: أنه لما التقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسعد بن زرارته و ذكوان، قال أسعد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله، بأبي أنت و أمي، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، و بيننا و بين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعه، فإن وصلها الله بك، و لا أجد أعز منك، و معي رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك.

و الله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبيرك، و يبشروننا بمخرجك، و يخبروننا بصفتك، و أرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد اعلمنا اليهود ذلك؛ فالحمد لله الذي ساقني إليك، و الله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، و قد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود

تبشرنا به، و تخبرنا بصفته؛ فهل فأسلم؛ فأسلم ذكوان الخ (١).

ثم فى سنة إحدى عشرة من النبوه خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الموسم، يعرض على القبائل دعوته، و يطلب منهم نصرته؛ فالتقى على عقبه برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى الله و الإسلام، و قرأ عليهم القرآن فآمنوا به، و كانوا ستة نفر، و هم: اسعد بن زراره، و جابر بن عبد الله بن رثاب، و عوف بن الحارث و رافع بن مالك، و عقبه و قطبه ابنا عامر. و قيل: ثمانية نفر و قيل غير ذلك (و ثمة اختلاف فى أسمائهم، و ذكر أشخاص آخرون مكان بعض من قدمنا أسماءهم، و لا مجال لتحقيق ذلك).

و رجع أولئك نفر إلى قومهم فى المدينة، فذكروا لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و دعوهم إلى الإسلام. ثم كانت بيعة عقبه الأولى فى سنة اثنتى عشرة من البعثة أى قبل الهجره بسنه (٢).

و لعل أسعد بن زراره كان قد كتم إسلامه هو و ذكوان، حتى كان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانية معه (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الهجره بسنه فأعلنوا ذلك

و نحن قبل أن نمضى فى الحديث نشير إلى ما يلى:

١- أخبار أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: إن أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النبى عن قريب، و أن ذلك قد جعلهم مهيين نفسيا لقبول الدين الذى جاء به هذا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

١- البحار ج ١٩ ص ٩ و اعلام الورى ص ٥٧ عن على بن ابراهيم.

٢- البحار ج ١٩ ص ٩ و اعلام الورى ص ٥٧ عن على بن ابراهيم.

٢- المشاكل بين الأوس و الخزرج:

لقد كان ثمة حروب هائلة بين الأوس و الخزرج، كانت آخرها وقعه بعث التي انتصرت فيها قبيله الأوس، حينما كان الهاشميون و النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) محصورين فى شعب أبى طالب. و كانت الحاله بين القبيلتين صعبه للغاية، حتى ليدكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا فى الليل و لا فى النهار (١) مما يعنى أنهم يعانون من أفسى الحالات التي يمكن أن يواجهها من يملك إمكانات معيشيه محدوده مثلهم.

و حتى لقد كان واضحا: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحاله المأساه. و يأملون فى وصل الحبال المقطوعه فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زراره، الذى كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبه بن ربيعه ضد الأوس.

فأهل المدينه إذن قد ذاقوا مراره الانحراف و الظلم. و هم يريدون المنقذ الحقيقى لهم. و قد وجدوه فى نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، الذى جاءهم بتعاليم الشريعه السهله السمحاء. و لذلك فقد قالوا لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): (نرجع إلى قومنا، و نخبرهم بالذى كلمتنا به، فما أرغبنا فيك. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حيا من العرب بينهم من العداوه ما بينهم. و سنرجع إليهم بالذى سمعنا منك، لعل الله يقبل بقلوبهم، و يصلح بك ذات بينهم، و يؤلف بين قلوبهم) (٢).

٣- تعاليم الشريعه السمحاء:

إن تعاليم الإسلام لهي التعاليم الموافقه للفطره السليمه، و بلا تعقيد

١- البحار ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠ و اعلام الورى ص ٥٥.

٢- الثقات لابن حبان ج ١ ص ٩٠ / ٩١.

أو إبهام فيها، فهي بسيطة و سهلة، لا يحتاج إدراك حقيقتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد في فهم مراميها، و التكهن بنتائجها. و لذلك نجد أهل المدينة يدركون بسره قدره هذه الدعوه على حل مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سماعهم لأهدافها، و مبادئها.

و من الواضح: أن أهل المدينة كانوا لا- يعانون من ظروف أهل مكة، الذين يحاربون الإسلام؛ لأنهم رأوا فيه خطرا على مصالحهم الشخصية، و امتيازاتهم الظالمة التي فرضوها لأنفسهم، و أهوائهم و انحرافاتهم، كما أوضحناه في غير موضع.

إن أهل المدينة بالإضافة إلى إخبارات اليهود لهم، قد رأوا منذ اللحظات الأولى في الإسلام و تعاليمه المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياه، و رأوا فيه الموافقه للفطره و العقل السليم. سواء على صعيد العقائد أو التشريع، أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعى و السياسى، فقد سألوا النبى صلى الله عليه و آله و سلم عما يدعو إليه، فقال: إلى شهاده أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله، و أدعوكم إلى:

(أن لا- تشركوا به شيئا، و بالوالدين إحسانا، و لا تقتلوا أولادكم من اطلاق، نحن نرزقكم و إياهم، و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و لا- تقتلوا النفس التي حرم الله إلا- بالحق، ذلكم و صاكم به لعلكم تعقلون، و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن، حتى يبلغ أشده، و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط، لا- نكلف نفسا إلا وسعها، و إذا قاتم فاعدلوا، و لو كان ذا قربي، و بعهد الله أوفوا، ذلكم و صاكم به لعلكم تذكرون) (١).

و لأجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوه، و حاربوا قريشا و العرب من أجلها

٤- المدينون و المكيون:

إن الوثنيه التى كان أهل المدينه يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخليه، على اختلافها، و لا حتى أن تخفف من حدتها. كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعيه، و لا اقتصاديه و لا غيرها.

و لذلك فقد ضعفت و وهنت، و زاد فى ضعفها و وهنها مخالفتها للفطره السليمه، و العقل القويم. ثم جاءت اخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلك الضعف و الوهن إلى حد بعيد.

و هذا تماما على عكس الحال فى مشركى مكه؛ فإنهم كانوا يستفيدون من وثنيتهم اجتماعيا و اقتصاديا. و جعلوا من أنفسهم محورا تلتقى عليه سائر الفئات و القبائل فى المنطقه، و كرسوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات الظالمه. - و لم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه الامتيازات من أجل خدمه الحق و الإنسان، بل كانوا يضحون بالإنسان و الحق فى سبيل امتيازاتهم، و انحرافاتهم، و مصالحهم تلك.

هذا، و لا بد من ملاحظه ما قدمناه حين الكلام على العوامل التى ساعدت على انتصار الإسلام و انتشاره، لنجد: أن شخصيه الرسول العظيمه، و أخلاقه الكريمه، و كونه من أرفع بيت فى قريش و العرب- و يضيف البعض: رابطه القربى، التى كانت تربطه بينى النجار الخزرجيين، عن طريق آمنه بنت وهب (١) كل ذلك و سواه مما تقدم قد أسهم فى إقبال أهل المدينه على الإسلام، و تقبل دعوته، و التضحيه فى سبيله.ر.

١- و لكنه تعليل لا شاهد له، مادام ان مجرد وجود رابطه كذلك لا توجب ما ذكر.

ص: ٣٠٨

الفصل الثالث: بيعه العقبه

اشاره

بيعه العقبة الأولى:

يقول المؤرخون: إنه حينما عاد أولئك نفر المدنيون الذين أسلموا الى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم)، و دعوهم الى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الإنصار، إلا و فيها ذكر من رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم).

حتى إذا كان العام المقبل أى فى السنه الثانيه عشره من البعثه، وافى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم اوسيان، و الباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله و سلم) فى العقبه، و بايعوه على بيعه النساء، أى البيعه التى لا- تشتمل على حرب، أى: (على أن لا- يشركوا بالله شيئا، و لا- يسرقون، و لا- يزنون، و لا- يقتلون أولادهم، و لا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم و أرجلهم، و لا- يعصونه فى معروف، فان وفوا فلهم الجنه و ان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز و جل، ان شاء عذب، و ان شاء غفر). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٣ ٣٠٩ بيعه العقبة الأولى: ص : ٣٠٩

و لما رجعوا الى المدينة أرسل النبى (صلى الله عليه وآله و سلم) معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، و يعلمهم الإسلام، و يفقههم فى

الدين، فكان يسمى المقرئ. و ألحقه با بن أم مكتوم (١) كما قيل. و أقام مصعب أول صلاه جمعه في المدينه!!.

و قد نجح مصعب، و من معه ممن أسلم في الدعوه الى الله تعالى، و اسلم سعد بن معاذ، الذي كان السبب في إسلام قومه بنى عمير بن عبد الأشهل، حيث إنه حين اسلم على يد مصعب رجع الى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعرفون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا و افضلنا رأيا، و ايمننا نفسا و أمرا.

قال: فان كلام رجالكم و نسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله.

قال: فو الله، ما أمسى في دار قبيله بنى عبد الأشهل رجل و لا إمراه إلا مسلما، او مسلمه (٢)، فأسلموا كلهم في يوم واحد، (إلا عمرو بن ثابت، فانه تأخر اسلامه الى أحد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجده واحده، كما قيل).

و أقام مصعب بن عمير يدعو الناس الى الاسلام، حتى أسلم الرجال و النساء، من الانصار باستثناء جماعه من الاوس، اتبعوا في ذلك أحد زعمائهم، الذي تأخر اسلامه الى ما بعد هجره الرسول الاعظم (صلى الله

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٩ و فيه أن الواقدي ذكر ان ابن أم مكتوم إنما قدم المدينه بعد بدر بقليل، و في كلام ابن قتيبه أنه قدم المدينه مهاجرا بعد بدر بستتين. ثم جمع الحلبى بين الاقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينه ثم عاد إلى مكه، ثم عاد فهاجر بعد بدر .. و هو احتمال وجيه لا باس به.

٢- راجع ما تقدم: في سيره ابن هشام ج ٢ ص ٧٩- ٨٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ح ص ١٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٩٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤.

عليه وآله وسلم) (١).

ولنا هنا وقفات، فلنتقف أولاً مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوة إلى الله ليست مختصه بالأنبياء والأوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات وقدرات. وهي من الأمور التي يلزم بها العقل الفطري السليم، ويوجبها على كل إنسان، ولا تحتاج إلى جعل شرعي؛ فإن العقل يدرك أن في ارتكاب المنكرات، وترك الواجبات، والانحراف في الفكر والعقيدة والسلوك ضرراً جسيماً على المجتمعات وعلى الأجيال ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة إلى الإلتزام بالخط الفكري الصحيح، وترك المنكر، وفعل المعروف.

وهذا هو - بالذات - ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ في الدعوة إلى الله تعالى، حتى أنه على استعداد لقطع كل علاقته مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

وإن عظمه هذا الموقف لتتضح أكثر إذا عرفنا مدى ارتباط سعادته ومصير الإنسان العربي في تلك الفترة بقييلته ومدى ارتباطه بها فهو حين يضحى بعلاقاته القبليه، فإنه يكون قد ضحى بأمر عظيم وأساسى في حياته وفي مصيره، ومستقبله، في سبيل دينه.

وقد جاء القرآن مؤيداً لحكم العقل والفطره هذا؛ ففرض على كل من كان له بصيره في امر الدين ان يدعو الى الله قال تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (٢).

١- السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ و السيره لابن هشام ج ٢ ص ٧٩-٨٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ح ص ١٤.

٢- يوسف / ١٠٨.

كما أننا لا بد أن نشير أيضا: إلى أن من عرف الحق، و ذاق حلاوه الايمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع فى محاوله لجلب الآخرين نحو هذا الحق، و جعلهم يؤمنون به، و يستفيدون منه، و يلتذون به و يشعرون بحلاوته.

و لذلك نجد الامام على بن الحسين (عليه السلام)، الذى كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوه فى الامه الاسلاميه، و الذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، و البلايا فى الدوله الامويه، و بعدها فى الدوله العباسيه كان يظهر تدمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف و المناسبات، و هو يرى حده اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوه الإيمان، و ضروره ابلاغ كلمه الحق، قال الإمام السجاد (عليه السلام): (وددت انى افتديت خصلتين فى الشيعة ببعض لحم ساعدى:

الترق و قله الكتمان) (١)

أضف الى ذلك: أن التراحم فيما بين المؤمنين، و الشده على الكافرين يصبح امرا طبيعيا، كما قال تعالى: **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ.**

البيعه:

و نجد: أن نص البيعه قد تضمن الخطوط العريضة، و أهم المبادئ التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى، و هى تتضمن جانبا عقائديا، و آخر عمليا. و قد حملهم (صلى الله عليه و آله و سلم) مسؤوليات معينه فى علاقاتهم مع بعضهم بعضا. و جعل التزامهم هذا قائما على اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تنافى مع شرف الكلمه و قدسيتها؛ و ذلك تحت

١- سفينه البحار ج ١ ص ٧٣٣ و البحار ج ٧٥ ص ٦٩ و ٧٢ عن الخصال ج ١ ص ٢٤ و الكافى ج ٢ ص ٢٢١.

عنوان: (البيعه) التي تعنى اعطاء كلمه الشرف بالالتزام بتلك المبادئ .

و لكنه لم يقرر عقابا عنيفا لمن ينقض هذا العهد، و يتجاوز و يغش فيه؛ فإن الوقت حينئذ لم يكن مناسباً لقرار كهذا. بل اوكل ذلك الى الوجدان و الضمير الشخصى لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدى. و مع إعطاء الفرصه له للعوده لاصلاح الخطأ إن كان؛ حيث أبقى الامل حيا لدى ذلك الذى يمكن أن يغش، و أوكل امره الى الله، إن شاء عذب، و إن شاء غفر.

صلاه الجمعه:

و قد تقدم فى الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين فى المدينه قبل الهجره (١). و ربما يشكل على ذلك: بأن سوره الجمعه قد نزلت بعد هجرته (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى المدينه؛ فكيف صلى مصعب الجمعه قبل تشريعها.

و الجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعه. إذ من المحتمل: أن يكون المراد صلى جماعه - لو سلمنا ذلك - فإن قوله تعالى فى سوره الجمعه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (٢). ليس المقصود به تشريع إقامة الجمعه، و إنما هو يوجب السعى الى الجمعه التى تقام، فلعل وجوب إقامتها كان قبل ذلك قد جاء على لسانه (صلى الله عليه و آله و سلم) فى مكه، و لكن لم يكن يمكن إقامتها، أو كان يقيمها سرا و لم يصل ذلك إلينا.

و يؤيد ذلك قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا

١- و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٩ و التعليق المغنى (مطبوع بهامش سنن الدار قطنى) ج ٢ ص ٥ عن الطبرانى فى الكبير و الأوسط.

٢- الجمعه / ٩.

وَتَرَكُوا قَائِمًا، قُلْ: مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ (١)؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْجُمُعَةَ كَانَتْ قَدْ شَرَعَتْ قَبْلَ ذَلِكَ. وَ أَنَّ هَذَا كَانَ سَلُوكَهُمْ مَعَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ).

و يُؤَيِّدُ ذَلِكَ: مَا أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أذُنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْجُمُعَةَ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ، وَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْمَعَ بِمَكَّةَ؛ فَكُتِبَ إِلَى مَصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ: أَمَا بَعْدُ، فَانظُرِ الْيَوْمَ الَّذِي تَجْهَرُ فِيهِ الْيَهُودُ بِالزُّبُورِ، فَاجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ وَ ابْنَاءَكُمْ، فَإِذَا مَالَ النَّهَارُ عَنِ شَطْرِهِ عِنْدَ الزُّوَالِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِرُكْعَتَيْنِ. قَالَ: فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ، حَتَّى قَدَّمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) الْمَدِينَةَ، فَجَمَعَ بَعْدَ الزُّوَالِ مِنَ الظُّهْرِ، وَ أَظْهَرَ ذَلِكَ (٢).

وَ ثَمَّ رَوَايَاتٌ تَفِيدُ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِهِمْ هُوَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ (٣) وَ سَيَأْتِي بَعْضَ الْكَلَامِ أَيْضًا حَوْلَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بِيعَةُ الْعَقْبَةِ الثَّانِيَّةُ:

وَ عَادَ مَصْبُ بْنُ عَمِيرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَعَرَّضَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) نَتَائِجَ عَمَلِهِ؛ فَسَّرَ بِذَلِكَ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ سُرُورًا

١- الجمعة / ١١.

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن الدارقطني. و السيره الحلبيه: ج ٢ ص ١٢.

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن أبي داود، و ابن ماجه و ابن حبان، و البيهقي، و عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٢٦. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٩ و ص ٩ و سنن الدارقطني ج ٢ ص ٦/٥ و في التعليق المغني على الدارقطني (مطبوع بهامش السنن) ص ٥ قال: الحديث اخرجه ابو داود، و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم و البيهقي في سننه.

عظيما (١).

و فى موسم حج السنه الثالثه عشره من البعثه أتى من أهل المدينه جماعه كبيره بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمس مئه (٢)، فيهم المشركون، و فيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم، تقيه منهم.

و التقى بعض مسلميهم بالرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و وعدهم اللقاء فى العقبه فى أواسط أيام التشريق ليلا، إذا هدأت الرجل.

و أمرهم ان لا ينبهوا نائما، و لا ينتظروا غايبا.

و يلاحظ هنا: ما لهذا التوقيت من أهميه، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجهم، و مفارقتهم للبلد، و لا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال

و يلاحظ كذلك: أمره (صلى الله عليه و آله و سلم) لهم بأن لا ينبهوا نائما، و لا ينتظروا غائبا. و ذلك كى لا ينكشف أمرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعته تصرفاتهم.

و فى تلك الليله بالذات ناموا مع قومهم فى رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤا يتسللون إلى مكان الموعد، واحدا بعد الآخر، و لا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبه، و هم سبعون او ثلاثه و سبعون رجلا، و امرأتان.

و التقوا بالرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) هناك فى الدار التى كان (صلى الله عليه و آله و سلم) نازلا فيها، و هى دار عبد المطلب، و كان

١- و فى البحار ج ١٩ ص ١٢: أن مصعبا قد كتب إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بذلك و كذا فى اعلام الورى ص ٥٩.

٢- طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٩.

معه حمزه و علي، و العباس (١).

و بايعوه علي أن يمنعوه و أهله مما يمنعون منه أنفسهم، و أهليهم و أولادهم، و أن يؤوؤوهم، و ينصروهم، و علي السمع و الطاعة في النشاط و الكسل، و النفقه في العسر و اليسر، و علي الامر بالمعروف، و النهي عن المنكر و ان يقولوا في الله، و لا يخافوا لومه لائم، و تدين لهم العجم، و يكونون ملوكا.

و عند آخرين- و النص لمالك-، عن عباده بن الصامت: (بايعنا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علي السمع و الطاعة، في العسر و اليسر، و المنشط و المكروه، و أن لا ننازع الأمر أهله و أن نقول (او نقوم) بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومه لائم (٢) قال السيوطي: (يريد الملك و الإمارة (٣)).

و قد أدرك العباس بن نضله خطوره الموقف، و لا سيما من قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): (و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكا)، و أنهم مقدمون علي مواجهه و مقاومه، ليس فقط مشركي مكة او الجزيره العرييه، و إنما العالم بأسره. فأحب ان يستوثق من الامر، و يفتح عيون المبايعين ليكونوا علي بصيره من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا

١- اعلام الوري ص ٥٩، و تفسير القمي ج ١ ص ٢٧٣، و البحار ج ١٩ ص ١٢-١٣ و ٤٧ عنهما، و عن قصص الانبياء، و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ١٦، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٥٢.

٢- الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ٢ ص ٤ و راجع سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٧ و مسند احمد ج ٥ ص ٣١٤ و ٣١٦ و سنن النسائي ج ٧ ص ١٣٨-١٣٩ و صحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٦ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٦٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ٩٧ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٢ ص ٤٥٢ ط دار الكتب العلميه و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢٠٤ و صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦ و ١٧.

٣- تنوير الحوالك: ج ٢ ص ٤.

نعلم ان الامر ينتهى الى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الاموس و الخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الاحمر و الابيض، و على حرب ملوك الدنيا؛ فان علمتم انه إذا أصابتكم المصيبه فى انفسكم خذلتموه و تركتموه، فلا تغروه فان رسول الله، و ان كان قومه خالفوه، فهو فى عز و منعه.

فقال عبد الله بن حزام، والد جابر، و أسعد بن زراره، و أبو الهيثم بن التيهان: مالك و للكلام؟! يا رسول الله، بل دمننا بدمك، و أنفسنا بنفسك، فاشترط لنفسك، و لربك ما شئت (١).

و يذكر أيضا: أن أسعد بن زراره قد قال فى بيعه العقبه: يا رسول الله، إن لكل دعوه سبيلا، إن لين، و إن شدة، و قد دعوت اليوم الى دعوه متجهمه للناس، متوعره عليهم:

دعوتنا الى ترك ديننا و إتباعك على دينك، و تلك رتبه صعبه، فأجبتناك الى ذلك.

و دعوتنا الى قطع ما بيننا و بينه الناس من الجوار و الارحام، القريب و البعيد، و تلك رتبه صعبه؛ فأجبتناك الى ذلك.

و دعوتنا، و نحن جماعه فى دار عز و منعه، لا- يطمع فيها أحد: ان يرأس علينا رجل من غيرنا، افرده قومه، و أسلمه أعمامه، و تلك رتبه صعبه، فأجبتناك الى ذلك الخ (٢).

١- راجع ما تقدم فى البحار ج ١٩ ص ١٣/١٢ عن اعلام الورى، و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤٥٠ ط دار الكتب العلميه و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢٠١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ١٧.

٢- حياه الصحابه: ج ١ ص ٨٨ و دلائل النبوه لأبى نعيم: ص ١٠٥.

و يذكر المؤرخون هنا أيضا: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعه العقبة و أنه أراد ان يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو في عز من قومه، و منعه في بلده، و قد أبى إلا الانحياز اليكم، و اللحق بكم، فان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممن خالفه، فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فإنه في عز و منعه من قومه و بلده.

و في روايه، أنه قال لهم: قد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فان كنتم أهل قوه و جلد، و بصر في الحرب، و استقلال بعدواه العرب قاطبه، ترميكم عن قوس واحده فروا رأيكم. و ائتمروا بينكم الخ ..

و بعد أن استمع الى اجابتهم، طلب (صلى الله عليه و آله و سلم) منهم: أن يخرجوا له اثني عشر نقيبا، أى كفيلا يكفل قومه، فأخرجوا له تسعه من الخزرج، و ثلاثه من الأوس؛ فكانوا نقباء و كفلاء قومهم.

و عرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، و أقبلوا بالسلاح.

و سمع الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) النداء؛ فأمر الانصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيافنا. فعلنا.

فقال: لم أوامر بذلك، و لم يأذن الله لى فى محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله ...

فجاءت قريش على بكره ابيها، قد حملوا السلاح. و خرج حمزه، و معه السيف، هو و على بن ابى طالب (عليه السلام). فلما نظروا الى حمزه قالوا: ما هذا الذى اجتمعتم له؟.

فعمل حمزه بالتقيه من أجل الحفاظ على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و المسلمين و الاسلام، فقال: ما اجتمعنا، و ما هاهنا أحد، و الله لا

يجوز أحد هذه العقبه إلا ضربته بسيفي.

فرجعوا، و غدوا الى عبد الله بن أبي، فقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمدا على حربنا. و الله، ما من حى أبغض من أن ينشب الحرب بيننا و بينه منكم. فحلف لهم عبد الله: أنهم لم يفعلوا، و لا علم له بذلك، و انهم لم يطلعوه على أمرهم؛ و تفرقت الانصار، و رجع رسول الله الى مكة.

و لكن قريشا قد تأكدت بعد ذلك من صحه الخبر؛ فخرجت في طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عباده، و المنذر بن عمير. فأما المنذر فأعجزهم. و أما سعد فأخذه، و عذبه. فبلغ خبره جبير بن مطعم، و الحارث بن حرب بن أميه، فأتياه و خلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما، و يمنع الناس من التعدى عليها (١).

و لنا قبل المضى فى الحديث ها هنا وقفات. فنشير اولا الى: دور العباس فى بيعه العقبه:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان فى بيعه العقبه مع النبى، و لم يكن أحد غيره معه. و يقولون: إنه و إن كان حينئذ مشركا، ألا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، و يتوثق له. و قد قدمنا ما ينسب اليه من قول فى هذه المناسبه.

١- راجع فى ما تقدم أى كتاب تاريخى أو حديثى شئت مثل: البحار ج ١٩ ص ١٢/١٣ و اعلام الورى ص ٥٧ و تفسير القمى ج ١ ص ٢٧٢/٢٧٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨/٣١٩ و دلائل النبوه للسيهقى ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٤٥٠ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٥٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٩٣/٢١٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ١٧ و ما قبلها و ما بعدها و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ و قبلها و بعدها. و غير ذلك كثير.

و لكننا نشك في صحه ذلك.

فأولاً: إن في الكلام المنسوب الى العباس تخذيلاً واضحاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و ليس توثيقاً لأمره كما يقولون، و لا سيما قوله: (و استقلال بعداوه العرب قاطبه، ترميكم عن قوس واحده الخ) ..

إلا- أن يقال: إن هذا الكلام من العباس، إنما هو لبيان الحقيقه، ليكون الأنصار على بصيره من أمرهم، حتى لا يكون منهم أى تعلق في المستقبل.

و ثانياً: إن في كلامه ما يخالف الحقيقه، و لا سيما قوله: (قد أبى محمد الناس كلهم غيركم)؛ فإن معناه: أن الناس كلهم غير الأنصار قد وافقوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و قبلوا مناصرته، و لكنه هو رفضهم. مع أن الامر على عكس ذلك تماماً، باستثناء قبيله شيبان بن ثعلبه التي رضيت بحمايته مما يلي مياه العرب، دون ما يلي مياه كسرى (١) و قبيله شيبان ليست هي (الناس كلهم).

و احتمال إرادته خصوص عشيرته لا يتلاءم مع التعبير (الناس كلهم). و احتمال أن تكون العبارة: (أبى محمداً الناس) ليس له ما يؤيده، لأن النص الموجود بين أيدينا خلافه.

و ثالثاً: إن موضوع الهجره الى المدينه لم يكن قد طرح بعد، و لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أرى دار هجرتهم و لا أخبرهم برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف يهاجر الى المدينه؟ فهل نزل عليه الوحي في ذلك؟! لست أدري!! و لكننا نقرا في كلامه قوله: (و قد أبى إلا الانحياز لكم، و اللحق بكم).

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥ و ١٦ و راجع السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ١٦٨.

الى أن قال: و إن كنتم ترون انكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه الخ).

إلا ان يكونوا قد طلبوا منه (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يخرج اليهم، فظهر منه (صلى الله عليه و آله و سلم) الميل الى إجابته طلبهم، و ان كان قد جاء ذلك بصيغته: لم أؤمر بذلك، أى بالهجره، و لكنه احتمال بعيد و لا شاهد له.

رابعا: إن ما ينسب الى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الإيمان. و لم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقى على شركه الى وقعه بدر. و خرج لحرب النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فيها مكرها، و أسلم ثمه، كما سيأتى. بل سوف يأتى انه لم يسلم الى فتح مكه.

إلا ان يكون قد قال ذلك محاماه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بدافع الحميه و العصبية، و لكننا لم نر لهذه الحميه كبير أثر فى مواقف العباس قبل و بعد ذلك. و هذا أمر يثير العجب حقا.

و الذى نرجحه: هو أن الذى كان حاضرا و تكلم بكلام يهدف منه الى شدّ العقده له (صلى الله عليه و آله و سلم) هو العباس بن نضله الانصارى (١) و ليس العباس بن عبد المطلب. و لذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول و المنسوب إليهما.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى بين العباسين؛ لتشابه الإسمين، أو لعل العباسيين أرادوا اثبات فضيله جليله لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، و لعل، و لعل.

١- الإصابه: ج ٢ ص ٢٧١، و البحار: ج ١٩، و السيره الحلبيه: ج ٢ ص ١٧، و السيره النبويه لدحلان: ج ١ ص ١٥٣.

أبو بكر في العقبة:

و تذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، و قد جعله العباس على فم الشعب.

و نحن لا نطيل في بيان بطلان هذا، بعد ان كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزه، و على (رحمه الله)، و العباس. مع الشك في هذا الاخير ايضا، و ان حمزه و عليا قد خرجا الى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، و هاجت بالسلح و ذلك في أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.

حمزه و علي «عليه السلام» في العقبة:

ان كون الاجتماع في دار عبد المطلب ليقرب صحه ما ورد من ان حمزه و عليا قد حضرا بيعه العقبة، خصوصا و أنه كان ثمة حاجه إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولي الرائع في وجه قريش و خيلائها و جيروتها؛ ليمنعها من دخول الشعب. و يعطيا الفرصه للمجتمعين للتفرق (١). حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحدا؛ فترفع الأمر الى ابن أبي؛ فينكر ذلك. و لولا موقفهما ذاك لكانت قد جرت الامور على غير ذلك النهج، و لوقع المسلمون في مأزق حرج و خطير جدا.

و الغريب في الامر: أننا نجد عددا من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين (عليه السلام)، و أسد الله و أسد رسوله. مع أنها هي نفسها تذكر قضيه تجمهر و هياج قريش، و غضبها من الاجتماع!! و ان كانت تسكت عن هجومها على الشعب، و دفع حمزه و علي لها، بل تكتفي بذكر لقائها

١- و يحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش و ليس كل قريش - قد حاولوا دخول الشعب فصدّهم علي و حمزه و لكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش .. و لكن عليا و حمزه أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرّق المجتمعين.

مع ابن أبي، ثم تتبعها للمسلمين، و ظفرها بابن عباده الى آخر ما تقدم.

و قد فات هؤلاء: أن قريشا التي عرفت بالإجتماع بعد انفضاضه فغضبت، و هاجت، ثم اتصلت بابن أبي، فأنكر ذلك، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، و آذت سعد بن عباده الخ، لا- يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الإجتماع، و أخذ الأنصار و النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بالجرم المشهود، و تكون حينئذ معذوره أمام من تريد الاعتذار منهم. فلماذا سكتت هنا. و غضبت و تصرفت بعنف هناك.

و على كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيرا من أمثال هذه الخيانات للحق و للدين؛ لأهداف دنيوية رخيصة، و صدق المثل الذي يقول:

(لأمر ما جدع قصير أنفه).

و لعلك تقول: كيف يمكن لرجلين: ان يقفا في وجه قريش و يرداها على أعقابها؟! و هي في إبان غضبها، و أعلى درجات تحمسها.

و الجواب: أن الرجل الواحد أيضا كان يكفي لرد كيد قريش، و ذلك لأن هذا الرجل و الرجلين يقف او يقفان على فم الشعب، حيث لا يمكن أن يعبر إلا أفراد او جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفته الأولى منها. و قد كان يقال: إن عمرو بن عبدود (الذى قتله امير المؤمنين (عليه السلام) يعد بألف فارس، و ذلك لانه وقف على فم الوادي، و منع الف فارس من ورودها، و لم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سريه الإجتماع، و التقية.

إن المحافظه على سريه الإجتماع، التي بلغت الحد الذي لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشيء، و لا عرفوا

بغية رفقاءهم، وكذلك الحال في موعد الاجتماع و مكانه، و الطريقة التي تم بها، رغم ضخامته، و اتساع نطاقه - ان كل ذلك -
ليعتبر مثلاً رائعاً، و دليلاً قوياً على مدى وعى اولئك المسلمين و يقظتهم، و حسن تدبيرهم.

كما أنه برهان آخر على أن اللجوء الى عنصر السريه لا يعتبر تخاذلاً، إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم
في مقابل قوى الظلم و الطغيان. و هو دليل آخر على أن التقية التي يقول بها الشيعة و أهل البيت، و نزل بها القرآن و تحكم بها
الفطره و العقل السليم هي الاسلوب الصحيح في التعامل مع الواقع بمرونه، و وعى، حينما يكون الباطل هو القوى مادياً و لا
يملك أهل الحق ما يدفع عنهم او يمنع.

شروط البيعه:

و نجد هنا: أن النبي الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل و صعوبات، في سبيل
نشر الدعوه، و الدفاع عنها. ليكونوا على علم مسبق بذلك، و على بصيره من أمرهم، و من دون أى إبهام أو غموض. حتى لا
يترك لهم في المستقبل مجالاً - للإعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهى بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب و
متاعب. بل هو لا يريد أن يشعروا في أنفسهم بالغبن، أو حتى أن يمر ذلك في وهمهم و خيالهم على الإطلاق.

و هو بذلك يدلل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحداً بالوعود الخلابه، و لا أن يجعلهم يعيشون الآمال و الأحلام الفارغه
لأن الوسيله عنده جزء من الهدف، رغم أنه في أمسّ الحاجه إلى نصرتهم، بل هو لم يجد طيله فتره دعوته غيرهم.

لماذا النقباء:

و إن من طبيعه العربى الالتزام بالعهد، و الوفاء بالذمار و تعتبر كل

قبيله: أنها مسؤوله عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

و عندما بايع الأنصار النبي على الإيمان و النصره حسبما تقدم- أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات و العهود، و كان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤوليه الوفاء بتلك الالتزامات. و هم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم و من قومهم على حد سواء.

أما إذا ترك الأمور في مجاريها العامه، فلربما يمكن لكل فرد أن يتملص و يتخلص من التزاماته، و يلقي التبعه على غيره، و يعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، و لا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفرد مسؤولا عنه.

و أما بعد أن التزم ذلك أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيله. فإن المسؤوليه قد أصبحت محدوده، و يمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجه إلى ذلك. لا سيما في مواقف الحرب و الدفاع.

و بذلك تتعد القضية عن الأهواء الشخصيه، و الأهم من ذلك عن الفوضى في المواقف العامه، و تدخل مراحل التنظيم و البناء الاجتماعى على مستوى الفرد و الجماعه.

المشركون فى مواجهه الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعه جدا، حتى إنهم تهددوا أهل المدينه بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدنى، و تفككه بسبب الحروب الداخليه بين الأوس و الخزرج.

نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حربا كهذه لسوف تجر عليهم أخطارا جسيمه من وجهه نظر إقتصادييه، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينه. مما يعنى: أن المشركين كانوا يرون فى هذه البيعه خطوره قصوى، تجعلهم يضطرون

إلى التضحيه بعلاقتهم الحسنه مع كل من يتقبل هذه الدعوه و يناصرها، حتى و لو كانوا أهل المدينه، الذين كانوا يكرهون جدا أن تشب الحرب فيما بينهم و بينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبي. كما أن ذلك يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون في مكه من ظلم و اضطهاد.

منازعه الأمر أهله:

قد تقدم أن من جمله ما اشترطه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم على أهل المدينه في ضمن نص البيعه، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله.

و إن اشترط ذلك في نص بيعه حساسه جدا في تاريخ الإسلام، و يتقرر مصير الإسلام على نجاحها و عدمه. و تعريض هذه البيعه لخطر الرفض و الانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلك- كما كان الحال بالنسبه لبنى عامر، حسبما تقدم- ان ذلك لمما يدل على أن هذا الأمر كان له أهميه قصوى بالنسبه للرسول صلى الله عليه و آله الذى كان رأيه يمثل رأى الإسلام الواقعى. و يوضح أنه لن يتنازل عنه و لو تعرض لأعظم الأخطار.

مما يعنى: أن هذا الأمر ليس له، و إنما هو لله يضعه حيث يشاء. و أن هذا هو الأمر الذى إذا لم يبلغه فما بلغ رساله ربه سبحانه و تعالى.

و يمكن أن نفهم من ذلك أيضا: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم كان من أول الأمر يمهد السبيل لجهه معينه و إلا فكيف ينهى الناس عن منازعه الأمر أولئك الأهل المخصوصين و المؤهلين للملك و الخلافه، ثم ينسى أن يعين شخص ذلك الخليفه منهم؟!.

و ليعطف ذلك على ما تقدم من تعيينه ذلك الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين. ثم على ما أتى بعد من مواقف و تصريحات و كنايات له صلى الله عليه و آله و سلم ، و لا سيما فى قضيه الغدير.

النبي لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا نجده (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يأذن للمجتمعين في العقبة بأن يميلوا على قريش بأسيافهم؛ لأن معنى ذلك هو القضاء على هذا الدين، وعلى حماته الأبرار، ولا سيما مع قتلهم، وكونهم في الموسم، الذي تجتمع فيه الناس من كل حذب و صوب، وكلهم على نهج و طريقه، و مذاق قريش، و يدورون في فلكها دينيا و عقائديا و فكريا، و حتى مصلحيا أيضا. و لن يكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم في بلاده.

و قريش التي ترى في المدينة أهميه خاصه لأنها على طريق قوافلها إلى الشام و لأجل ذلك أطلقت سعد بن عباده. لن تسكت على موقف الأنصار هذا. و يكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، و حتى أمام المدنيين المشركين في أن تضربهم الضربه القاصمه و القاضيه، لأنهم في موقف المعتدى، و على قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفيه و بالحجم الذي تراه مناسبا.

ص: ٣٣٠

الباب الخامس: من مكة الى المدينة

اشاره

ص: ٣٣٢

الفصل الأول: ابتداء الهجرة الى المدينة

اشاره

حب الوطن من الإيمان:

لقد ورد عنهم عليهم السلام أن (حب الوطن من الإيمان) (١) و إنما بغض النظر عن سند هذا الحديث. لربما يصعب علينا- لأول وهله- تصور معنى سليم و مقبول لهذه الكلمه؛ إذ لماذا يكون حب الوطن من الإيمان؟! و هل يمكن أن يكون لهذا التراب بما هو تراب، ولد الإنسان عليه، و عاش في أجوائه، مهما كان وضعه الجغرافي سيئا، قيمه و احترام إلى حد أن يعتبر حبه من الإيمان؟ و بسوى هذا الحب، فإن الإيمان يكون ناقصا، و ليس فيه تلك الفاعليه المتوخاه؟.

و إنما في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول:

إن هذا الحب الذى يهتم به الإسلام لا يمكن أن يكون حبا عشوائيا، لا هدف له، و لا فائده منه. و لا فى خط مخالف للإسلام. و إنما هو حب منسجم مع أهداف الإسلام العليا، و من منطلق إيمانى واقعى إلهى، فإنه (من الإيمان).

كما أن الوطن الذى يعتبر الإسلام حبه من الإيمان، ليس هو محل ولاده الإنسان، و إنما هو الوطن الإسلامى الكبير، الذى يعتبر الحفاظ عليه

حفاظا على الدين و الإنسانيه، لأن به يعز الدين، و تعلق كلمه الله، و هو قوه للإسلام، لأنه محل استقرار و هدوء، و موضع بناء القوه فكريا و روحيا و ماديا، ثم الحركه على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل و الأمثل. أما حيث الغربه و عدم الاستقرار، فهناك الضياع، و هدر الطاقات، و حيث لا يجد الإنسان الفرصه للتأمل و التفكير فى واقعه، و لا فى مستقبله، و لو أنه استطاع ذلك، فليسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزيه التى تمنحه الحركه المنظمه، و الثابته. ثم التركيز و الإستمرار.

نعم، إن الوطن ليس إلا وسيله للدفاع عن الدين و الحق، و للوصول إلى الأهداف الخيره و النبيله، فالدين و الإنسان هو الأصل، و الوطن و غيره لا بد و أن يكون فى خدمه هذا الدين، و من أجل ذلك الإنسان.

فمن يحافظ على وطنه، و يحبه بدافع الحفاظ على الإسلام؛ و حبه، فإن حفاظه و حبه هذا يكون من الإيمان.

و أما إذا كان الوطن وطن الشرك و الكفر و الانحراف، و الانحطاط بإنسانيه الإنسان؛ فإن الحفاظ على وطن كهذا و حبه يكون حفاظا على الشرك و تقويه له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر و الشرك، لا من الإيمان و الإسلام.

و من أجل ذلك فقد حكم الإسلام و القرآن على من كان فى بلاد الشرك، و كان بقاؤه فيها موجبا لضعف دينه و إيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان و الإسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قويا فاعلا، و بإنسانيه خلاقه نبيله قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (١).

بل إن محل ولاده الإنسان إذا كان يحارب الدين الحق، و يسعى فى اطفاء نور الله، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذى ولد و عاش فيه (١).

و من هنا نعرف أن هجره النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه من مكة إلى المدينه كانت هجره طبيعیه و منسجمه مع مقتضيات الفطره و العقل السليم و الفكر الصحيح، الذى يلاحظ سمو الهدف و نبل الغايه، و يقيم كل شىء انطلاقا من ذلك الهدف، و على طريق الوصول و الحصول على تلك الغايه.

و ليكن هذا تمهيدا للحديث عن ظروف الهجره و عواملها و أحداثها، فى حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

دوافع الهجره من مكة إلى المدينه:

إننا بالنسبه لدوافع الهجره من مكة إلى المدينه يمكننا الإشاره إلى ما يلى:

أولاً: إن مكة لم تعد أرضاً صالحه للدعوه، فقد حصل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، و لم يبق بعد أى أمل فى دخول فئات جديده فى الدين الجديد، فى المستقبل القريب على الأقل.

و قد كان ثمه مبرر لتحمل الأذى و المصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل فى الإسلام جماعات تقويه، و تشد من أزره.

١- و يرى العلامة المحقق الشيخ على الأحمدي: أن معنى حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فإنه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، و حل مشاكله، و هدايه مجتمعه الى طريق الحق و الايمان و الاسلام، لأن الايمان هو الذى يدفعه إلى ذلك، كما هو معلوم.

أما بعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، و من المستضعفين، و لم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل الله، و يضع الحواجز و العراقيل الكثيره أمام تقدم هذا الدين، و يمنع من انتشاره و اتساعه؛ فإن البقاء فى مكة ليس فقط لا- مبرر له، بل هو خيانه للدعوه الإسلاميه، و مساعده على حربها، و القضاء عليها، و لا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، و إطفاء نوره، و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا- بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوه فيه لنفسها حريه الحركه، فى القول و العمل، بهدوء بال، و اطمئنان خاطر، بعيدا عن ضغوط المشركين، و فى منأى عن مناطق سيطرتهم و نفوذهم.

و قد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و يرصدونها بدقه، و يتهددون، بل و يعذبون كل من يدخل فى هذا الدين الجديد، و يخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانيا: إن الإسلام و ممثله و داعيته الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دينه دين البشريه جمعاء: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ**.

و ما حصل عليه حتى الآن لا- يمكنه من تطبيق كافه تشريعات الإسلام، و تحقيق كامل أهدافه. و لا سيما بالنسبه إلى ذلك الجانب، الذى يعالج مشاكل الناس الاجتماعيه و غيرها، مما يحتاج إلى القوه و المنعه فى مجال فرض القانون و النظام.

و من الناحيه الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب و الهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحمايه لشخص الرسول من اعتداءات الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم و لن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدره على حمايه أصحابه. الذين دخلوا فى هذا الدين، و قبلوا رساله السماء. فضلا عن أن

يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع في نشر رساله الإسلام، و فرض هيمنه هذا الدين و سلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

و أما بعد وفاه أبي طالب رحمه الله فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبه إلى شخص النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، كما رأينا و سنرى.

ثالثا: و لقد صمد أولئك الذين أسلموا سنوات طويله فى مواجهه التعذيب و الظلم و الاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربه، و بقى الباقون يواجهون محاولات فتنهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تاره، و بأساليب متنوعه من الإغراء أخرى.

و إذا استثنينا أشخاصا معدودين، كحمزه أسد الله و أسد رسوله، و بعض من كانت لهم عشائر تمنعهم (1)، فإن بقية المسلمين كانوا غالبا من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيله، و لا يجدون سبيلا إلا الصبر، و تحمل الأذى.

و إذا فرض عليهم أن يستمروا فى مواجهه هذه الآلام و المشاق، دونما أمل أو رجاء؛ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قويه و راسخه؛ فإن من الطبيعى - و حاله هذه- أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب و الملل من حياه كهذه. و قد تستميلهم بعض الإغراءات العاجله، فيهلكون و يهلكون؛ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام و المتاعب. بل إن بعضهم - كما سيأتى- يهّم بالعوده إلى الشرك، و يتطلب السبل لمصالحه مشركى مكه، حينما أشيع فى غزوه أحد: أن النبي (صلى الله

١- و حتى هؤلاء فانهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسى و المقت الاجتماعى المر. و لربما يكون ذلك بالنسبه لبعضهم أشد من التعذيب الجسدى، تبعا لنسبه الوعى و الشعور المرهف الذى كان يمتاز به بعضهم على غيره.

عليه وآله وسلم) قد قتل. وقد نزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١).

رابعا: لقد رأت قريش أخيرا: أنها قد اهدت للطريقه التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، دون أن تكون مسؤوله أمام الهاشميين بشكل محدد. أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ذلك بأن يقتله عشره، كل واحد منهم من قبيله، فيضيع دمه فى القبائل، و لا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعا؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها، و تكون الدائره عليهم، و أما أن يقبلوا بالديه، و هو الأرجح. و إذا قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن القضاء على غيره من اتباعه يكون أسهل و أيسر، و لا يشكّل لقريش مشكله ذات شأن. بل و حتى لو تركوهم على ما هم عليه، فإن أمرهم لسوف يصير إلى التلاشى و الاضمحلال.

هكذا كانت تفكر قريش و تخطط. و هو تفكير محكوم بالعصبيه القبليه. و لكنه ذكى جدا. و بالإمكان تحقيق الأهداف الشريره تجاه الرسول و الرساله من خلاله.

و لكن عنايه الله سبحانه و إن كانت تشمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قريش على تنفيذ مخططاتها- فشلت أو نجحت- لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسه خطيره، و لسوف تزيد مضاعفاتها بشكل مخيف ببقاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مكه. كما أن عاده الله قد جرت على أن لا- يحول بين أحد و بين تنفيذ إرادته، بشكل قهرى و قسرى، إلا بنحو من العنايات و الألفاف التي

تشمل ذلك النبي الذي يكون حفظه ضروريا لحفظ الدين و الإنسان.

فأراده الانسان حره طليقه، و لكن الله يسدد ويلهم و يؤيد من تستهدفه تلك الاراده بالشر و الاذى.

و بعد كل ما تقدم يتضح: أنه كان لا بد للنبي الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و لمن معه من المسلمين من الخروج من مكه إلى مكان أمن و سلام لا يشعرون فيه بأى ضغط، يملكون فيه حريه الحركه، و حريه الكلمه، و حريه التخطيط لبناء مجتمع إسلامى يكون فيه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قادرا على القيام بنشر دعوته، و إبلاغ رسالته، على النحو الأفضل و الأكمل.

سر اختيار المدينة:

و أما عن سر اختيار النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) - الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى - للمدينه بالذات دارا لهجرته، و منطلقا لدعوته، دون غيرها كالحبشه مثلا؛ فذلك يرجع إلى عده عوامل، نذكر منها ما يلي:

١- إن مكه كانت- كما قدمنا- تتمتع بمكانه خاصه فى نفوس الناس. و بدون السيطرة عليها، و القضاء على نفوذها الوثنى، و استبداله بالنفوذ الإسلامى؛ فإن الدعوه تعتبر فاشله، و كل الجهود تبقى بدون جدوى؛ فإن الدعوه كانت بحاجه إلى مكه، بنفس القدر الذى كانت مكه بحاجه فيه إلى الدعوه.

فلا بد من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها رقابه، و نوعا من الضغط السياسى و الاقتصادى، و حتى العسكرى إن لزم الأمر فى الوقت المناسب، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها.

و المدينه، هى ذلك الموقع الذى تتوفر فيه مقومات هذا الضغط،

فهى تستطيع مضايقه مكه اقتصاديا؛ لوقوعها على طريق القوافل التجاريه المكيه، و قريش تعيش على التجاره بالدرجه الأولى.

و قد تقدم قول المشركين لعبد الله بن أبى، حين بيعه العقبه: (ما من حى أبغض من أن تنشب الحرب بيننا و بينه منكم).

و تقدم أيضا: أنهم لما أخذوا سعد بن عباده بعد بيعه العقبه و عذبه، جاء الحارث بن حرب و جبير بن مطعم و خالصه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

و إذا كانت قريش قد لقيت من أبى ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينه سيكون أشد، و أعظم خطرا، و أبعد أثرا، و لا سيما إذا عقد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) تحالفات مع سائر القبائل المقيمه فى المنطقه، كما حصل بالفعل، و كانت المعاهده بصوره تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين (١).

٢- لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجره إلى المدينه هى الحل المفروض، الذى لا خيار معه؛ و ذلك لأن الهجره إلى الطائف لم تكن بالتي تجدى نفعا، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابه إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكه هى التى تستطيع أن تضايقهم اقتصاديا، و هم إليها أحوج منها إليهم.

و لأجل ذلك فإنهم لا يستطيعون فى المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسيا فى فلكتها، و أن يخضعوا لسيطرتها. و أما سائر قبائل العرب؛ فلا يجدون فى أنفسهم القدره على ذلك. و قد جرب أن يعرف

١- راجع: و ثيقه المدينه الآتيه فى الجزء التالى من هذا الكتاب؛ أو آخر فصل: أعمال تأسيسيه فى مطلع الهجره. فقد جاء فيها ما يلى: (و أنه لا يجير مشرك مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن). و راجع: نشأه الدوله الإسلاميه: ص ٢٨٩ - ٢٩٥.

مدى استعدادهم لقبول دعوته، و الدفاع عنها؛ فوجد ما لا يتفق غله، و لا يبل صدى، إن لم نقل أنه وجد ما يزيد الطين بله، و الامر خطوره.

و أما اليمن، و فارس، و الروم، و بلاد الشام و غيرها؛ فقد كانت خاضعه لسلطه الدولتين العظيمين، اللتين لن يكون نصيب الرسول و رساله منهما سوى المتاعب و الاخطار الجسيمه. و قد تكلمنا عن شىء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام و انتشاره فى أواخر الباب الأول من هذا الكتاب. و لسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيره تجاه الرسول و رسالته حينما أرسل إليه (صلى الله عليه و آله و سلم) يدعوه إلى الإسلام.

و أما الحبشه فهى بحكم موقعها الجغرافى مفصوله عن مكه، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعى، و السياسى، و البشرى، و العنصرى، و بحكم كونها بلدا أفريقيا، فإنها ليست بلدا قادرا على أن يقود عملية التغيير العالميه الشامله، لا إقتصاديا، و لا سياسيا، و لا عسكريا، و لا حتى فكريا، و اجتماعيا.

أضف إلى ذلك أن مهاجمه مكه بجيش من الحبشه لسوف يدفع العرب كافه إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقه من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، و المستضعفون، و يواجه هؤلاء الملأ و المستكبرين من قومهم بالذات.

و هكذا يتضح: أنه ليس ثمة إلا المدينه، و المدينه فقط موقعا مناسباً للهجره فكانت الهجره إليها.

٣- و من الجبهه الأخرى، فإن المدينه كانت أغنى من مكه زراعيا.

أى أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجارى من نوع ما- مع أنه ليس باستطاعه مكه أن تفعل شيئا من ذلك- فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، و تحتفظ لنفسها بنوع من الحياه، و لو بصعوبه ما، من دون أن

تستسلم لإرادته الآخرين، و تنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوه التي تحتاج إلى نشاط واسع، و جهد شامل، لأنها تريد أن تقود عمليه التغيير الشامل على مستوى عالمي - هذه الدعوه- تحتاج إلى استقرار اقتصادى داخلى، يستطيع أن يوفر الفرصه لحمله هذه الرساله للحركه فى سبيل نشر دينهم، و بث رسالتهم.

٤- و إذا كان الحج من أهم تشريعات الاسلام؛ فما دامت مكه فى أيدي الوثنيين؛ فإنه سوف يفقد أثره و فعاليتها فى مجال التربيه السياسيه، و الإجتماعيه، و فى غير ذلك من مجالات.

و أيضا، فما دامت مكه فى أيدي الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع فى القبائل العربيه، و قدسيه من نوع ما فى نفوسهم.

فلا بدّ إذن من اخراجها من أيديهم؛ لينتهى مالهم من رصيد معنوى فى نفوس الناس، و لتنتفح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، و ليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره- الحج- بحريه تامه، دونما رادع أو زاجر.

و يدل على ذلك، ما يرويه الطبرانى و غيره: أنه لما عرض النبى الإسلام على ذى الجوشن الضبابى، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد غلب على الكعبه. و فى روايه أخرى، أنه قال له: (رأيت قومك قد كذبوك، و أخرجوك، و قاتلوك. فانظر ماذا تصنع؛ فإن ظهرت عليهم آمنت بك، و اتبعتك، و إن ظهروا عليك لم أتبعك (١)).

١- مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٨، و قال: (رواه عبد الله بن أحمد، و أبوه، و لم يسق المتن، و الطبرانى و رجالهما رجال الصحيح، و روى أبو داود بعضه) انتهى.

و بعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، و هي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافه سكانيه جيده، تستطيع أن تقوم بالمهمه التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه، و لا توجد هذه الميزه في أى من المناطق القريبه إلى مكة.

و نلاحظ: أن إيجاب الهجره على من يسلم، قد جعل المدينة- بعد هجره الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إليها- في حاله نمو سكانى مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤوليه بناء دوله، و حمايه منجزاتها على المدى المنظور.

٥- إن أهل المدينة كانوا فى الاصل من مهاجرى اليمن، التي كانت تملك شيئاً من الحضاره البدائيه فى قديم الزمان، فهم ليسوا أعراباً؛ لتكون قلوبهم ممعنه فى القسوه. و لا كان ثمة زعامات و مصالح خطيره لهم فى المنطقه، كما كان الحال بالنسبه لقريش، و لا- كانوا يعيشون فى تلك الأجواء النفسيه المعينه، كما كانت تعيش قريش؛ نتيجة لموقعها النسبى فى العدنانيه، و لموقعها فى زعامه مكة، و حجابها البيت.

ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانيه و القحطانيه. حيث لا يسع القحطانيين، حتى و لو لم تكن ثمة دوافع دينيه و عقيديه: أن يسلموا النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى أعدائه.

و يشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافى حتى إلى ما بعد وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانيه على القحطانيه فى العطاء، الأمر الذى مهد السبيل أمام الأمويين لإستغلال هذه الروح و إشعال الفتن بين اليمانيه و القيسييه. إبان حكمهم البغيض. بينما نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يرى لبنى إسماعيل على بنى إسحاق فضلاً. (و لهذا البحث مجال آخر).

٦- ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مراره الانحراف كأشد ما يكون،

و قد أنهكتهم الحروب و اكلتهم، و يعيشون فى رعب دائم و خوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا فى الليل و لا بالنهار (١). و تقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم. و كانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجا من المأزق الذى يرون أنفسهم فيه، حتى إن اسعد بن زراره لا يخفى لهفته على هذا الأمر؛ حيث قال للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) حينما دعاه إلى الاسلام: (إنا من أهل يثرب من الخزرج، و بيننا و بين اخوتنا من الاوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، و لا أحد أعز منك الخ) (٢).

ثم و بعد أن دخل الإسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضا من الحفاظ على المسلمين فيها، و شد أزهرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار فى نصره هذا الدين، و اعلاء كلمه الله.

٧- لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي فى المنطقه قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين. و لكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعه، و إلى ظروف مشجعه؛ فلماذا يهملهم الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و لا يهيبى لهم الفرصه لذلك؟!.

٨- هذا كله، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و بايعوه بيعه العقبه، و وعدوه النصر، و النبي صلى الله عليه و آله و سلم إنما يتصرف وفق الإراده الإلهيه التى لا تغيب عنها تلك المصالح و سواها.

فالله هو الذى يرعاه و يسدده، صلى الله عليه و على آله الطاهرين.

هذا ما رأينا الاشاره إليه فى هذا الصدد.

١- البحار: ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠، و أعلام الورى: ص ٥٥.

٢- البحار: ج ١٩، و أعلام الورى: ص ٥٧.

المؤاخاه بين المهاجرين:

و كتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه، كانت عملية المؤاخاه التي أريد بها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي، و جعلها علاقه إلهيه تصل إلى درجه الأخوه؛ ليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعيه، و انسجاما، و بعيدا عن النوازع النفسيه التي ربما توحى للمعين و المعان بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما نفسيا على الاقل.

و قد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاه دون الرحم، و ذلك يدل على عمق تأثير هذا الحدث في المسلمين؛ في روحياتهم و في علاقاتهم على حد سواء.

و على كل حال، فلقد آخى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قبل الهجره فيما بين المهاجرين، على الحق و المواساه؛ فأخى بين أبي بكر و عمر، و بين حمزه و زيد بن حارثه، و بين عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و بين الزبير و ابن مسعود و بين عباده بن الحارث و بلال. و بين مصعب بن عمير و سعد بن أبي وقاص، و أبي عبيده و سالم مولى أبي حذيفه، و بين سعيد بن زيد و طلحه، و بين علي (عليه السلام) و نفسه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قال: أما ترضى أن أكون أخاك؟.

قال: بلى يا رسول الله رضيت.

قال: فأنت أخي في الدنيا و الآخرة (١).

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٥٥ عن الاستيعاب. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤ و تلخيصه للذهبي.

و سيأتي إن شاء الله في الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجره. و لسوف نذكر طائفه من مصادر حديث المؤاخاه هناك إن شاء الله و نذكر انكار ابن تيميه و غيره لحديث مؤاخاه مهاجرى لمهاجرى، و جوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاه بما نراه مناسباً؛ فإلى هناك.

ابتداء هجره المسلمين إلى المدينه:

و يقول المؤرخون إن بيعه العقبه الثانيه قد كانت قبل هجره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينه بثلاثه أشهر و يقولون أيضاً: إنه بعد أن عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيعه العقبه الاولى - على الظاهر - مع أهل المدينه و لم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكه بسبب إيذاء المشركين، و لم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجره إلى المدينه. و بقى (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكه ينتظر أن يؤذن له. فخرجوا أرسالا حتى أذن الله سبحانه لنبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهجره، كما سيأتي.

المثل الاعلى:

و جدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقي يضحى بوطنه الذى نشأ و عاش فيه، و بكل ما يملك من متاع الحياه الدنيا، و بعلاقاته الاجتماعيه، و روابطه النسيبه و يقدم على معاداه الناس كلهم، حتى آباءه، و اخوانه و ابنائه. و يخرج من بلده و مسقط رأسه ليواجه مستقبلا يعرف أنه مليء بالأحداث و الأخطار، كل ذلك فى سبيل هدفه و دينه و عقيدته. و هو أروع مثل نستفيده من عمليه الهجره. سواء فى ذلك الهجره إلى المدينه، أو الهجره إلى الحبشه.

هجره عمر بن الخطاب:

و مما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفية هجره عمر بن الخطاب، حيث يروون عن علي (عليه السلام) أنه قال:

ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجره تقلد بسيفه، و تنكب قوسه، و انتضى في يديه أسهما، و اختصر عنزته، و مضى قبل الكعبه، و الملاء من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحده واحده؛ فقال: شأهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تشكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادى.

قال علي رضى الله عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه (١).

و نحن نقطع بعدم صحه هذا الكلام. لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعه، و ذلك:

أولاً: لما تقدم فى حديث اسلامه عن البخارى و غيره، من أنه حين اسلم اختبأ فى داره خائفا، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذ.

و فى بدر تكلم و اساء الكلام، حيث كان يجبن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و المسلمين.

ثانياً: إن مواقفه الحربيه كانت عموماً غير مشجعه لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فر فى أحد، و فر فى حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد

١- منتخب كتر العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٧ عن ابن عساكر، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢ / ٢١، و أشار إلى ذلك فى نور الابصار ص ١٥. و كتر العمال ج ١٤ ص ٢٢٢ / ٢٢١ عن ابن عساكر.

الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يلتفت إليه، ولا يفكر إلا في الحفاظ على نفسه.

و أما فراره في خير فهو أعجب و أعجب حيث إنه كان معه من يدافع و يحامى عنه.

أما في واقعه الخندق ففر فيها أيضا كما أنه لم يجرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبدود.

و حينما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفا في أحد، و قال:

من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، و عمر فلم يعطهما إياه. و اعطاه أبا دجانه. إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا. و لسوف نشير اليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى. حين الكلام على الغزوات المشار إليها.

و الغريب في الأمر: أننا لم نر و لم نسمع: أن عمر، و أبا بكر، و عثمان قد قتل واحد منهم أحدا، أو بارز انسانا، و ما ذكر من ذلك قد ثبت عدم صحته.

كما أنه لم يجرح أي من هؤلاء و لا دميت له يد و لا رجل في سبيل الله. مع أن أعظم صحابته (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أصيبوا في الله وضحوا في سبيله، الامر الذي يشير إلى أن هؤلاء كانوا شجعانا في الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.

ثالثا: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجرؤ على أن يأخذ رساله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للمكيين في عام الحديبيه، بحجه: أن بني عدى لا- ينصرونه إن أودى!! فمن كانت هذه فعالة في تلك المواقع الصعبة هل يحتاج إلى بني عدى، أو إلى غيرهم؟!.

رابعا: قال أبو سفيان في فتح مكة للعباس، حينما كانا يستعرضان الألوية، فمر عمر، و له زجل: (يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟!.

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و الله- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، و إن عمر ممن رفعه الاسلام (١).

و خامسا: إنهم متفقون على أن الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) كان أشجع البشر دون استثناء، بل سيأتى أن بعضهم يحاول ادعاء أشجعيه أبى بكر على سائر الصحابه- و ان كان سيأتى أن العكس هو الصحيح- و نحن نرى فى حديث الهجره أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يختفى فى الغار، حذرا من المشركين، كما أن أبى بكر يخاف و يبكى، رغم كونه مع النبى الاعظم، الذى يتولى الله رعايته و حمايته، و ظهرت له آئذ الكثير من المعجزات الداله على ذلك. و قد ذكر الله خوف و حزن أبى بكر فى القرآن. فكيف يخاف أبو بكر و يحزن مع أنه إلى جانب رسول الله الذى يتولى الله حمايته و رعايته، مع ادعاء محبى أبى بكر أنه أشجع الصحابه بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)- نعم كيف يخاف أبو بكر و لا- يخاف عمر؟!

و لماذا يعمل الرسول بالحزم، و يراعى جانب الحذر من قريش، و لا يفعل ذلك عمر بن الخطاب؟!

و لماذا لم يحم عمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، حتى يخرج من مكه إلى المدينه؟!

و لماذا يرضى عمر للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يتحمل كل هذه الصعاب و المشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطه التى هو فيها؟!

١- مغازى الواقدي ج ٢ ص ٨٢١ و عن كثر العمال ج ٥ ص ٢٩٥ عن ابن عساكر من طريق الواقدي.

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعه و الشده؛ فلماذا يضطر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى الهجره،؟ فليحمله هذا البطل الشجاع، و ليردّ عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟!.

ثم إننا لا ندرى لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزه بن عبد المطلب، أسد الله و أسد رسوله، الذى شجّ رأس أبى جهل شجّه منكره، و عز المسلمون باسلامه؟!.

و لماذا يترك النبي و الهاشميين محصورين فى الشعب، يكادون يهلكون جوعا، و لا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئا من طعام؟! لأن عمر عند هؤلاء قد اسلم قبل الحصر فى الشعب، و ان كنا اثبتنا فى ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد اسلم قبل الهجره بقليل.

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيره التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

ما هى الحقيقه إذن؟!.

و لكن الحقيقه هى: أن هذا التهديد و الوعيد إنما كان من أمير المؤمنين على (عليه السلام)، حينما هاجر، و لحقه سبعة من المشركين فى ضجنان و سيأتى تفصيل القضية حين الكلام على هجره أمير المؤمنين على (عليه السلام) بعد هجره النبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لكن أعداء على (عليه السلام) لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامه له، و لا سيما بعد ما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ليله الهجره. و كما كان يبيت على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مدة ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين فى شعب أبى طالب (رحمه الله).

فلما لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على

فضيلته الاخرى- كعادتهم- فاستولوا عليها، و نسبوها إلى غيره،- و عظموا من شأن أبي بكر في الغار- كما سيأتى حين الكلام على الهجره إن شاء الله تعالى. بل انهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيله عمر على لسان على نفسه، كما عودونا في مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع في النفس، و أبعد عن الشبهه، و ادعى إلى القبول.

و لكن الله تعالى يقول: **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ (١).** و هكذا كان.

ماذا عن الهجره إلى المدينه؟

لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أصحابه بالهجره إلى المدينه، تمهيدا لخروجه هو (صلى الله عليه و آله و سلم) إليها أيضا، و قال لهم: إن الله عز و جل قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سرا، و بعضهم علانية، مضحين بوطنهم، و بعلاقاتهم، و كثير منهم بثرواتهم، و مكانتهم الاجتماعيه و كل شىء، فى سبيل دينهم، و عقيدتهم.

و هذا معناه: أن الدين و العقيدته فوق و أعلى من كل شىء؛ فالوطن، و المال، و الجاه، و كل شىء لاقيمه له، إذا كان الدين مهددا بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن و المال و كل شىء، و بدونه يكون كل شىء فى معرض الزوال، إن لم يكن عبئا، أو فقل: خطرا يتهدد هذا الانسان فى كثير من الظروف و الأحوال.

قريش و الهجره:

و قد قدمنا بعض الكلام حول الهجره، و موقف قريش منها حين

الكلام على هجره الحبشه فلا- نعيد و إذا كانت قريش قد قاومت الهجره إلى الحبشه بذلك الشكل القوي، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشه. فماذا عساها يكون موقفها من الهجره إلى المدينه، و التي ترى فيها أعظم الخطر على مصالحتها، و على وجودها و مستقبلها؟!.

لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجره بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، و تفتنه عن دينه، و تمارس ضده مختلف أساليب القهر و القسوه، فلم تنجح و لم تفلح و هي من الجبهه الأخرى ترى نفسها عاجزه عن التصفيه الجسديه لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا- عموما- من القبائل المكيه، و ليس قتل أى منهم إلا سببا فى اثاره حرب أهليه بين المشركين أنفسهم. و هذا و لا شك ليس فى مصلحه قريش فى أى حال.

و يشهد لما ذكرناه ما حصل لأبى سلمه حينما خرج بزوجه و ولده، فقام إليه رجال من بنى المغيره فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو عبد الاسد، قبيله الزوج؛ فانترعوا سلمه من أمه (١).

و أدركت قريش: أن هذه الهجره الواسعه سوف تعقبها هجره الرسول الاعظم نفسه؛ ليمارس بحريه تامه عمليه الرياده، و القياده، و الهدايه بشكل أوسع و أعمق. و لسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم.

فلم يكن لديها همّ إلا المنع من تحقق ذلك بأى وسيله تقدر عليها، أو حيله تهتدى إليها.

١- البدايه ج ٣ ص ١٦٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ١١٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢١٥ / ٢١٦.

ص: ٣٥٤

الفهارس

اشاره

١- الدليل الاجمالي للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج ٥-٥٢

الباب الثاني: حتى وفاه أبي طالب ٥٣-٢٦١

الفصل الأول: حتى الهجره إلى الحبشه ٥٥-١١٥

الفصل الثاني: هجره الحبشه ١١٧-١٤٧

الفصل الثالث: حتى الشعب ١٤٩-١٩١

الفصل الرابع: فى شعب أبي طالب ١٤٣-١٢٤

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش ١٢٥-٢٥٩

الباب الثالث: من وفاه أبي طالب حتى الهجره إلى المدينه ٢٦١-٣٢٧

الفصل الأول: الهجره إلى الطائف ٢٦٣-٢٧٤

الفصل الثاني: حتى بيعه العقبه ٢٧٥-٣٠٤

الفصل الثالث: بيعه العقبه ٣٠٥-٣٢٥

الباب الرابع: من مكه إلى المدينه .. ٣٢٩

الفصل الأول: ابتداء الهجره الى المدينه ٣٣٣

الفهارس ٣٥٥

٢- الدليل التفصيلي للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج ٥- ٥٢

الاسراء و المعراج ٧

متى كان الإسراء و المعراج ٨

الأدله على المختار ٩

تسميه أبي بكر الصديق ١٤

الإسراء و المعراج فى اليقظه أو فى المنام ١٥

الإسراء و المعراج فى القرآن ١٨

سؤال هام و جوابه ١٩

الداعيه الحكيم ٢٠

لا تدركه الأبصار ٢١

الإسراء من المسجد ٢٥

موسى و فرض الصلوات الخمس ٢٦

استبعاد الإسراء و المعراج ٣٠

من أهداف الإسراء و المعراج ٣١

الأذان ٣٤

اليهود و المسجد فى القرآن ٣٥

مفاد الآيات إجمالاً ٣٥

ضرب القاعده و إعطاء الضابطه ٣٦

أقوال الرواه و المفسرين ٤٠

رأى العلامه الطباطبائى ٤١

رأى آخر ٤٤

و ثمه رأى آخر أيضا ٤٦

و الروايات ماذا تقول ٤٧

الرأى الأمثل ٤٧

القميون يقاتلون الإسرائيليين ٤٨

الغرب و اسرائيل ٤٩

الحروب الطويله و الصعبه ٥٠

الفلسطينيون و الأرض ٥١

الباب الثانى: حتى وفاه أبى طالب ٥٣- ٢٦١

الفصل الأول: حتى الهجره إلى الحبشه ٥٥- ١١٥

أهداف الإسلام ٥٧

الحاجه إلى الوزير و الوصى ٥٨

و أنذر عشيرتك الأقربين ٥٩

التعصب الأعمى ٦٢

ابن تيميه و حديث الدار ٦٣

الرد على ابن تيميه ٦٤

نقاط هامه فى حديث الانذار. أ: روايات لا يمكن أن تصح ٦٩

ب: المراد بكونه خليفه فى أهله ٧١

ج: لماذا تخصيص العشيره بالدعوه ٧٢

د: على (ع) فى يوم الإنذار ٧٤

ه: موقف أبى لهب ٧٥

و: الإنذار أولاً ٧٦

ز: ماذا قال النبي صلى الله عليه و آله وسلم فى يوم الإنذار ٧٧

ح: التبشير و الإنذار ٧٨

ط: أخى و وصيى ٨٠

فاصدع بما تؤمر ٨٠

أ: قریش لم تصل إلى نتیجه ٨٤

ب: سر استكبار قریش ٨٥

ماذا بعد فشل المفاوضات ٨٧

المعذبون فى مكه ٨٩

مع المعذبين أيضا ٨٩

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر ٩٠

هل عذب المشركون أبا بكر؟ ٩٤

هل كان أبو بكر رئيسا ٩٨

ملاحظه أخيره ٩٩

أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر ١٠٠

عمار بن ياسر ١٠١

التقيه فى الكتاب و السنه ١٠٢

ملاحظه ١٠٣

و أما من السنه فنذكر ١٠٣

و أما التقيه فى التاريخ ١٠٥

التقيه ضروره فطريه عقليه دينيه إصلاحيه ١١١

الفصل الثاني: هجره الحبشه ١١٧-١٤٧

لا بد من حل ١١٩

سر اختيار الحبشه ١٢٠

الهجره إلى الحبشه ١٢٢

أمير الهجره جعفر ١٢٤

من هو أول مهاجر إلى الحبشه ١٢٤

هجره أبى موسى إلى الحبشه لا تصح ١٢٥

رقه عمر للمهاجرين ١٢٦

هجره أبى بكر لا تصح ١٢٦

فضيله عثمان بن مظعون تجعل لغيره ١٣٠

محاولة قريش اليائسه ١٣١

قريش و خططها المستقبلية ١٣٤

الثوره على النجاشى ١٣٦

عوده بعض المهاجرين ١٣٧

قصه الغرانيق ١٣٧

تساؤلات حائره ١٤٥

حقيقه الأمر ١٤٦

الفصل الثالث: حتى الشعب ١٤٩ - ١٩١

تناقضات فى تاريخ إسلام حمزه ١٥١

إسلام حمزه (رض) ١٥١

إسلام حمزه كان عن وعى لا حميه ١٥٣

سر جبن أبى جهل فى مواجهه حمزه ١٥٤

ملاحظه هامه ١٥٥

عبس و تولى ١٥٥

المذنب رجل آخر ١٦١

سؤال و جوابه ١٦٢

الروايه الصحيحه ١٦٢

اتهام عثمان ١٦٣

تاريخ هذه القضيه ١٦٤

أعداء الإسلام و هذه القضيه ١٦٤

ص: ٣٦١

أكاذيب أخرى مشابهه ١٦٥

قضيه إسلام عمر بن الخطاب ١٦٧

و ثمه أوسمه أخرى ١٧٠

١- متى كان إسلام عمر؟ ١٧١

و نحن نشير هنا إلى: ١٧١

متى أسلم عمر إذن ١٧٢

٢- من سمى عمر بالفاروق ١٧٧

٣- هل كان عمر قارئاً ١٧٧

ملاحظه ١٨٠

ملاحظه أخرى ١٨٠

٤- هل عز الإسلام بعمر حقا ١٨١

٥- غسل عمر لمس الصحيفه ١٨٧

٦- نزول آيه في إسلام عمر ١٨٨

ملاحظات أخيره ١٨٩

خاتمه المطاف ١٩١

الفصل الرابع: في شعب أبي طالب ١٩٣-٢٢٤

المقاطع ١٩٥

أموال خديجه (رض) و سيف على (ع) ١٩٨

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين ٢٠٠

انشقاق القمر ٢٠٢

شبهه و حلها ٢٠٣

انشقاق القمر الحدث الكبير ٢٠٦

إمكان الإنشقاق و الالتئام علميا ٢٠٧

دلالة الآيه القرآنيه على ذلك ٢٠٩

الأساطير ٢١١

نقض الصحيحه ٢١١

حنكه أبى طالب و إيمانه ٢١٣

القبلية و آثارها ٢١٤

ما بعد نقض الصحيحه ٢١٥

وفد من الحبشه ٢١٥

من مواقف أبى طالب ٢١٦

مع توضيحات أبى طالب رضوان الله عليه ٢١٨

عام الحزن ٢٢١

الحب فى الله و البغض فى الله ٢٢٢

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش ٢٢٥-٢٥٩

إيمان أبى طالب ٢٢٧

بعض الأدله على إيمان أبى طالب ٢٢٩

الأدله الواهيه ٢٤٠

١- حديث الضحضاح ٢٤٠

٢- ارث عقيل لأبى طالب ٢٤٢

٣- و هم ينهون عنه و يناون عنه ٢٤٣

آيه النهى عن الاستغفار للمشرك ٢٤٦

الوجه الأخيره ٢٥٢

خطايات و أرجاز المدينى ٢٥٥

سريه إيمان أبي طالب ٢٥٥

ضروره سريه إيمان شيخ الأبطح ٢٥٦

لماذا الافتراء على أبي طالب ٢٥٧

أبو لهب و نصره النبي صلى الله عليه و آله وسلم ٢٥٨

سر افتعال الروايه ٢٥٩

الباب الثالث: من وفاه أبي طالب حتى الهجرة إلى الحبشه ٢٦١-٣٢٧

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف ٢٦٣-٢٧٤

لا بد من تحرك جديد ٢٦٥

الهجرة إلى الطائف في كلمات المؤرخين ٢٦٦

هجرات أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٧

١- ما ذكر عن عداس ٢٦٨

٢- دخوله صلى الله عليه وآله وسلم مكة بجوار ٢٦٩

٣- إسلام نفر من الجن ٢٧٠

٤- الطائف و علاقاتها بمن حولها ٢٧١

٥- الإسلام دين الفطره ٢٧٢

٦- هل كانت هذه سفره فاشله ٢٧٣

الفصل الثاني: حتى بيعه العقبه ٢٧٥-٣٠٤

المجاعة ٢٧٧

عرض الإسلام على القبائل ٢٧٨

بنو عامر بن صعصعه و نصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٠

١- الأمر لله ٢٨١

٢- سمو الهدف و النظره الضيقه ٢٨٢

٣- الدين و السياسه ٢٨٣

٤- نتائج عرضه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته على القبائل ٢٨٣

زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسودة و عائشه ٢٨٤

١- سر عائشه ٢٨٥

من طرائف الروايات الموضوعه ٢٨٧

٢- جمال عائشه و حظوتها ٢٨٩

٣- حسد و غيره عائشه ٢٩١

ص: ٣٦٤

و ماذا بعد ٢٩٩

دخول الإسلام إلى المدينة ٣٣٠

١- إخبارات أهل الكتاب ٣٠٢

٢- المشاكل بين الأوس و الخزرج ٣٠٣

٣- تعاليم الشريعة السمحاء ٣٠٣

٤- المدنيون و المكيون ٣٠٥

الفصل الثالث: بيعه العقبه ٣٠٧-٣٢٧

بيعه العقبه الأولى ٣٠٩

دعوه سعد بن معاذ قومه ٣١١

البيعه ٣١٢

صلاه الجمعة ٣١٣

بيعه العقبه الثانيه ٣١٤

دور العباس في بيعه العقبه ٣١٩

أبو بكر في العقبه ٣٢٢

حمزه و على (ع) في العقبه ٣٢٢

سريه الاجتماع و التقيه ٣٢٣

شروط البيعه ٣٢٤

لماذا النقباء ٣٢٤

المشركون في مواجهه الأمر ٣٢٥

منازعه الأمر أهله ٣٢٦

النبي لم يؤمر بالحرب بعد ٣٢٧

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة ٣٢٩

الفصل الأول: ابتداء الهجره إلى المدينة ٣٣١

حب الوطن من الإيمان ٣٣٣

ص: ٣٦٥

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة ٣٣٥

سر اختيار المدينة ٣٣٩

المؤاخاه بين المهاجرين ٣٤٥

ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة ٣٤٦

المثل الأعلى ٣٤٦

هجرة عمر بن الخطاب ٣٤٧

ما هي الحقيقة إذن ٣٥٠

ماذا عن الهجرة إلى المدينة ٣٥١

قريش و الهجرة ٣٥١

الفهارس ٣٥٣

الدليل الاجمالي للكتاب ٣٥٥

الدليل التفصيلي للكتاب ٣٥٧

و الحمد لله و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩